Converted by Tiff Combine - (no stam, s are a, , lied by re, istered version)

عالم النبات في القرآن الكريم

دكتور
عبد المنعم فهيم الهادي

دكتورة
دينا محسن بركة

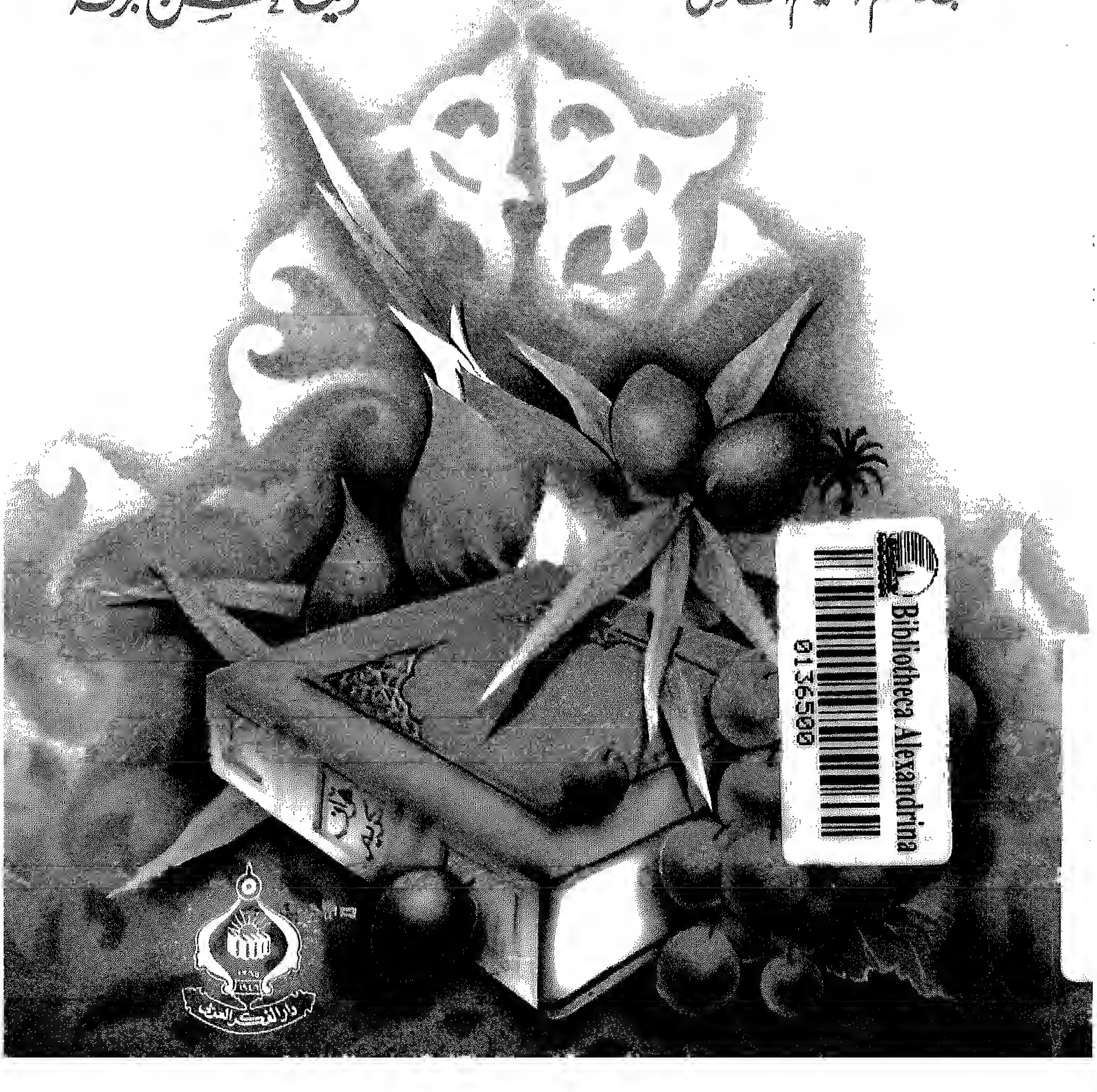

Bibliotheca Alexandrina
0136500

Converted by Tiff Combine - (no stam, s are a, , lied by re, istered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

297266

عالم النبات

فى

القرآن الكريم

دكتور

عبد المنعم فهيم الهادى

كلية العلوم - جامعة الزقازيق

دكتورة

دينا محسن بركة

كلية العلوم - جامعة الزقازيق

فرع بنها

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية

رقم التسجيل 297266

رقم التصنيف ٤٨٠٩١

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت : ٢٧٥٢٩٨٤، فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢٢٩,٤٥٨ عبد المنعم فهيم الهادى.
م ن ع ا عالم النبات فى القرآن الكريم/ عبد المنعم فهيم الهادى، دينا
محسن بركة. - القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٩٨.
٢٢٠ ص : إيض؛ ٢٤ سم .
بيليوجرافية: ص٢٠٧-٢١٢
يشمل على ملحق.
تدمك : ٦ ـ ١١٦٢ ـ ١٠ ـ ٩٧٧.
١ ـ النبات، علم. ٢- القرآن الكريم والطب. أ- دينا
محسن بركة، مؤلف مشارك. ب- العنوان.

تصميم وإخراج فنى
عادل عزب

أميرة للطباعة عابدين - ت : ٣٩١٥٨١٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى زهرة الحياة الدنيا

إلى الأبناء الأعزاء

محمد و مريم

نهدى هذا الكتاب

المؤلفان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المحتويات

الصفحة

الإهداء ٣
مقدمة ٧

الفصل الأول
العمليات الزراعية

الزراعة ١٣
الزراعة فى القرآن الكريم ١٥
الحرث ٢٣
الحرث فى القرآن الكريم ٢٤
الحصاد ٣٠
الحصاد فى القرآن الكريم ٣٢
المرعى ٣٦
المرعى فى القرآن الكريم ٣٧

الفصل الثانى
آيات فى دنيا النبات

النبات ٤٣
النبات فى القرآن الكريم ٤٥
الحبة ٥٠
الحبة فى القرآن الكريم ٥١
الإنبات ٥٧
الإنبات فى القرآن الكريم ٦٠
الساق ٦٦
الساق فى القرآن الكريم ٧١
الورقة ٧٢
الورقة فى القرآن الكريم ٧٩
السنبلة ٨٢
السنبلة فى القرآن الكريم ٨٣
الثمرة ٨٦
الثمرة فى القرآن الكريم ٨٧
الفاكهة ٩٩
الفاكهة فى القرآن الكريم ١٠١
الشجرة ١٠٥
الشجرة فى القرآن الكريم ١٠٦

الفصل الثالث
نباتات جاء ذكرها فى القرآن الكريم

١- الأثل ١٢١
الأثل فى القرآن الكريم ١٢٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢- البصل ١٢٤
البصل فى القرآن الكريم ١٢٥
٣- التين ١٢٧
التين فى القرآن الكريم ١٢٩
٤- الخردل ١٣٠
الخردل فى القرآن الكريم ١٣٢
٥- الخمط ١٣٣
الخمط فى القرآن الكريم ١٣٤
٦- الرمان ١٣٦
الرمان فى القرآن الكريم ١٣٨
٧- الريحان ١٤٠
الريحان فى القرآن الكريم ١٤١
٨- الزقوم ١٤٢
الزقوم فى القرآن الكريم ١٤٣
٩- الزنجبيل ١٤٧
الزنجبيل فى القرآن الكريم ١٤٨
١٠- الزيتون ١٤٩
الزيتون فى القرآن الكريم ١٥١
١١- السدر ١٥٥
السُدر فى القرآن الكريم ١٥٦
١٢- الطلح ١٦٠
الطلح فى القرآن الكريم ١٦٣
١٣- العدس ١٦٤
العدس فى القرآن الكريم ١٦٥
١٤- العنب ١٦٦
العنب فى القرآن الكريم ١٦٧
١٥- الفوم ١٧٥
الفوم فى القرآن الكريم ١٧٥
١٦- القثاء ١٧٧
القثاء فى القرآن الكريم ١٧٧
١٧- الكافور ١٧٨
الكافور فى القرآن الكريم ١٨٠
١٨- المتكأ ١٨١
المتكأ فى القرآن الكريم ١٨٢
١٩- النخيل ١٨٤
النخيل فى القرآن الكريم ١٨٧
٢٠- الرود ١٩٧
الورد فى القرآن الكريم ١٩٨
٢١- اليقين ١٩٩
اليقطين فى القرآن الكريم ٢٠١
خاتمة ٢٠٥
المراجع ٢٠٧
ملحق: ألفاظ عالم النبات الواردة فى القرآن الكريم ٢١٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقدمة

الحمد لله منزل القرآن، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد.. فهذا كتابنا الثالث ضمن سلسلة (عالم النبات) والتى صدر منها الكتاب الأول «عالم النبات فى طب وأمثال الأجداد»، والكتاب الثانى «عالم النبات فى حياة الرسول ﷺ». ولقد اخترنا لهذا الكتاب عنوانًا «عالم النبات فى القرآن الكريم»..

والقرآن الكريم كتاب الإنسانية كلها، أنزله الله تعالى لهدايتها فى جميع عصورها وأجيالها، ذلك الكتاب الذى ختم الله به وحيه، وختم بشريعته شرائعه السماوية، فلا نبوة بعد نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ، ولا كتاب ينزل من السماء بعد القرآن الكريم، ولا شريعة تصلح لسعادة الدنيا والآخرة بعد شريعة القرآن.

والقرآن الكريم كتاب عقيدة وهداية، يخاطب الضمير فيحيى فيه عوامل النمو والارتقاء، وبواعث الخير والفضيلة. وتتدفق من آياته المعانى الفائقة، وتتجلى من آفاقها الأسرار الخارقة، فهو معين لا ينضب، لم يختص به جيل، فهو آية الله السائدة، ومعجزة الرسول الخالدة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم هذه العلوم التى ذخر بها. والتى بلغت من نصاعة البرهان، وقوة الحجة مبلغًا يستحيل على محمد ﷺ وهو رجل أمى نشأ بين الأميين أن يأتى بها من عند نفسه، بل يستحيل على أهل الأرض جميعًا من أدباء وعلماء وفلاسفة وحكماء أن يأتوا بمثل هذه العلوم والمعارف. فكيف يستطيع رجل أمى، لم يقرأ ولم يكتب ولا نشأ فى بلد علم وتشريع، ولا فى بيئة ذات حضارة ومدنية أن يأتى بمثل ما فى القرآن من هذه العلوم والمعارف تحقيقًا وكمالاً، مؤيدا بالحجج والبراهين بعد أن قضى معظم حياته لا يعرف شيئا عنها.

وهذا ليس رأى العرب والمسلمين فحسب، ولكن رأى غيرهم من الغرب أيضا. قال المستشرق الألمانى (د. شوميس) فى القرآن الكريم: يقول بعض الناس أن القرآن كلام محمد، وهو حقا محض افتراء، فالقرآن كلام الله الموحى على لسان رسوله محمد ﷺ، فليس فى استطاعة محمد ذلك الرجل الأمى فى تلك العصور الغابرة أن يأتينا بكلام تُحار فيه عقول الحكماء. وقال الماجور (أرثوليونرد): ليس من بين المكتشفات العلمية الحديثة مسألة واحدة تتعارض مع الأسس والقيم الإسلامية، فالانسجام قائم بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية.

وعلم النبات من العلوم التى تتجلى فيها آيات الله العظيم، ففى كل ورقة من أوراق الشجر، وفى كل بذرة من بذوره دلالات وإشارات تتجه كلها إلى السماء وتقول: سبحان الله الخالق العظيم.

والقرآن الكريم يذخر بآيات كثيرة ذُكر فيها النبات بأجزائه المختلفة وأنواعه المتعددة. وكرم الله سبحانه وتعالى النبات بأن أقسم به فى قرآنه العظيم، وجعله من نعمه على عباده فى الجنة.

ويرى الإنسان أن حياته لا تستغنى عن النبات؛ ففى النبات غذاؤه، وفاكهته، ودواؤه، وملبسه، وفيه لذته ومتعته. وهناك تلاؤم وثيق بين الإنسان والنبات، فلا غنى لأحدهما عن الآخر، فهما يتبادلان المنافع وأسباب الحياة المتبادلة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإننا نسجد لله تعالى شكرًا أن وفقنا إلى جمع مادة هذا الكتاب من مصادره الأساسية. ولقد قسمنا الكتاب إلى ثلاثة فصول. أوضع **الفصل الأول** تحت عنوان «**الزراعة في القرآن الكريم**»، وضم العمليات الزراعية التي ذُكرت في القرآن الكريم كالزراعة، والحرث، والحصاد، والمرعى، وقمنا بشرح هذه العمليات شرحًا علميا مبسطا، ثم تطرقنا لآيات القرآن الكريم التي ذُكرت فيها الزراعة وعملياتها. وحاولنا قدر المستطاع إبراز قدرة الله سبحانه وتعالى، وإعجاز القرآن في هذا المجال. أما **الفصل الثاني** من الكتاب فاخترنا له عنوانا: «**آيات في دنيا النبات**». واشتمل على مبادئ وأسس علم النبات التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، وكذلك أجزاء النبات المختلفة كالسيقان، والأوراق، والحبوب، والثمار. وحاولنا إظهار وجه من أوجه إعجاز القرآن الكريم في هذه الناحية العلمية الدقيقة. أما **الفصل الأخير** فعالجنا فيه النباتات التي ذُكرت تحديدًا بالاسم في القرآن الكريم، واخترنا لهذا الفصل عنوانا «**نباتات جاء ذكرها في القرآن الكريم**».

وضم هذا الفصل واحدًا وعشرين نباتًا رُتبت ترتيبًا أبجديًا. وقمنا بشرح موجز لأهمية كل نبات من الناحية التاريخية والطبية وغيرها، ثم شرحنا الآيات القرآنية الكريمة التي ذكرت أو أشارت إلى هذه النباتات. وحاولنا أن نربط بين آيات القرآن المختلفة خاصة تلك الآيات التي اشتملت على أكثر من نبات لإبراز جانب من إعجاز القرآن الكريم في هذا المجال.

وقد يلاحظ القارئ أن هناك تكرارا لبعض النباتات المذكورة في هذا الكتاب مع الكتب التي صدرت لنا «**في سلسلة عالم النبات**». إلا أنها مشروحة في هذا الكتاب بطريقة مختلفة حتي لا يحدث تكرار.

ولقد راعينا في هذا الكتاب البساطة في العرض والدقة في نقل الآيات القرآنية الكريمة، والأمانة في إبراز آراء العلماء وتفسيرهم لهذه الآيات. وقد ذيلنا الكتاب بملحق به قائمة تشمل كل ألفاظ عالم النبات التي ذُكرت في القرآن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكريم، وعدد مرات ذكرهـا، واسم السورة القرآنية التى ذُكرت فيـها؛ حتى تظهر الصورة واضحة أمام القارئ فى شكل مختصر.

ولقد بذلنا جـهدنا ليخـرج هذا الكتاب فى صـورة أفضل من سابقـيه، ولا ندعى لعملـنا الكمال ولا القرب منه. وندعـو الله أن يكون هذا العمل فى مـيزان الحسنات لنا يوم القيامة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلفات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الأول

العمليات الزراعية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الزراعة

الزراعة من أهم الأنشطة التى يمارسها الإنسان، فهى تمدنا تقريبًا بكل ما نحتاجه من غذاء، بالإضافة إلى توفير مستلزماتنا من الكساء والمأوى، وليس هذا فحسب بل توفر لنا المواد الضرورية لبعض الصناعات الأساسية مثل الدهانات والمواد الطبية. ويقولون: لولا الزراعة ما قامت الحياة البشرية على الأرض بشكلها المعروف لنا الآن.

وحاول علماء الآثار والحفريات والزراعة أن يحددوا بالدقة كيف ومتى وأين بدأت الزراعة على سطح الأرض؟ والحقيقة أنه يصعب الإجابة على هذه الأسئلة على وجه التحديد. ولكن المتفق عليه أن نوعا من الزراعة كان معروفًا منذ ٩٠٠٠ سنة ق م، حيث اتخذ الإنسان أول خطوة نحو الزراعة، عندما اكتشفت بعض القبائل أن النباتات يمكن أن تنمو من البذور، وهذا الاكتشاف رسم الطريق نحو التعرف على كيفية التعامل مع النبات. ومع بداية عام ٨٠٠٠ ق م استطاعت بعض القبائل فى الشرق الأوسط زراعة النباتات.

والزراعة فى الوطن العربى قديمة قدم اكتشاف الإنسان لها، ففى الوطن العربى أقدم الأراضى الزراعية فى العالم والتى يعود تاريخها إلى ١٠٠٠٠ سنة خلت.

وكانت مصر من أول البلاد التى ظهرت فيها الزراعة، فقد عرف قدماء المصريين أهمية الزراعة، وزاولوا نشاطها منذ أكثر من ٦٠٠٠ سنة. وقد وُجدت على مقابرهم رسوم ونقوش ونماذج لطرق البذر والإنبات والحصاد والأدوات والآلات الزراعية التى كانوا يستخدمونها[1].

واعتمدت الزراعة فى بادئ الأمر على قوى الإنسان والحيوان وعلى ما يملكه المزارعون من أدوات قليلة، وعند نهاية القرن السابع عشر بدأ المكتشفون

---

(١) الزراعة (من سلسلة العلم فى خدمة الإنسان) د. محمد الشحات.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تطوير الآلات الزراعية لإعداد التربة والعمليات الزراعية. وخلال القرن العشرين قام العلماء بتهجين أصناف جديدة من النباتات، وكذلك أنواع من السماد والمبيدات الحشرية، وصاحب هذا التطور زيادة فى كفاءة الإنتاج الزراعى.

والحقيقة أن معظم هذا التطور فى مجال الزراعة قد حدث فى الدول الصناعية، وبقى الناس فى الدول النامية يمارسون نمط الزراعة التقليدية التى كان يمارسها أجدادهم منذ مئات السنين.

ويمكن تصنيف معظم الممارسات الزراعية حسب حجم وقيمة السلعة الزراعية المنتجة لكل وحدة من المساحة، ويُسمى هذا النوع من التصنيف «الزراعة المكثفة أو الموسعة»، وهى تُمارس حينما يكون هناك نقص فى مساحة الأرض الزراعية، وتعتبر الحدائق والمزارع الصغيرة الموجودة فى أطراف المدن مثالاً على ذلك. كما يمكن تصنيف أنواع الزراعة حسب الغرض منها إلى: تجارية أو إعاشية. فالزراعة التجارية تمارس من أجل إنتاج محاصيل للغرض التجارى. أما الزراعة الإعاشية فالغرض منها إنتاج ما يكفى لسد حاجة المزارعين.

والمساحة المنزرعة من الكرة الأرضية تبلغ ٤,٥ بليون هكتار، وهذه المساحة تشكل ثلث مساحة الكرة الأرضية، وتشغل المحاصيل الزراعية ثلثى هذه المساحة، بينما يُستغل الباقى فى رعى وتربية المواشى.

وإذا تعرضنا لتوزيع الأراضى المنزرعة على دول العالم نجد أن التوزيع مختل وليس منتظمًا، ففى آسيا مثلا يعيش حوالى ٥٣٪ من سكان العالم، بينما توجد فيها ٣٣٪ من الأراضى المنزرعة، بينما يعيش فى أمريكا ٨٪ من سكان العالم يتمتعون بـ ٢١٪ من المساحة المنزرعة، بمعنى آخر أن ما يخص الفرد فى أمريكا من الأراضى المنزرعة حوالى ثلاثة أضعاف نصيب الفرد فى روسيا مثلا.

ويسعى الإنسان دائما إلى تحويل ما يمكن تحويله من الأراضى الصحراوية إلى أراضى زراعية عن طريق الاستصلاح وتوفير المياه لها، بالإضافة إلى زيادة الأراضى الزراعية عن طريق ردم البرك والمستنقعات.

والحقيقة أن مشاريع استصلاح الأراضى شاقة وتحتاج إلى تكاليف باهظة، ولذلك فإن مايمكن إضافته من أراضى جديدة إلى ما يزرع يُعد ضئيلاً جداً بالنسبة لما تحتاجه الزيادة المضطردة فى عدد السكان فى كل مكان.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الزراعة فى القرآن الكريم

كرم الله سبحانه وتعالى الزراعة والزراع بأن ذكرهم فى كتابه العزيز فى أكثر من موضع. والزراعة هى الحضارة وهى السكن، فأهل الزراعة أهل حضارة، وأينما وجدت زرعًا وجدت شعبًا متحضرًا ووجدت استقرارًا.

ويعلم المزارعون أكثر من غيرهم أن ما يقومون به فى الحقيقة لا يتعدى تهيئة الأرض للزراعة وبذر البذور. أما إنبات الزرع وخروجه من الأرض فلا طاقة لهم به، فالله وحده هوالذى يخرج النبات والزرع. وفى ذلك يقول المولى عز وجل: ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الواقعة].

وتدعو الآيتان الكريمتان الزراع أن ينظروا إلى الزرع الذى ينبت بين أيديهم وينمو ويؤتى ثماره.. ما دورهم فيه؟. إنهم يحرثون ويلقون الحب والبذر التى صنعها الله، فمن منا صنع الحب والبذر؟. وبمجرد إلقاء الحب والبذر ينتهى دور الزراع وتأخذ القدرة الإلهية فى عملها المعجز الخارق العجيب[1]. وفى هذا يقول المصطفى ﷺ: «لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت فإن الزارع هو الله»[2].

وفى مجال سرد جزء من فضل الله على عباده من إنبات النبات وإخراج الزرع يقول تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِى أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [الأنعام]. (جنات معروشات: أى ما عرش الناس من الكرم. غير معروشات: ما لم يُرفع منها. كلوا من ثمره إذا أثمر: من رطبه وعنبه. وآتوا حقه: أدوا زكاته عند الحصاد وعند الجداد. ولا تسرفوا: قيل: نزلت هذه الآية فى ثابت بن قيس بن شماس حين جدّ نخلاً، فقال: لا يأتينى أحد اليوم إلا أعطيته، فأطعم حتى أمسى وليس له ثمر). وفى الآية الكريمة يبين الله تعالى لعباده أنه وحده سبحانه هو الذى أنشأ النخل والزرع مختلفًا فى طعمه، رغم أنه يشرب من ماء واحد وينبت فى مكان واحد. فطعم

---

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد السادس ص ٣٤٦١، ص ٣٤٦٨.

(٢) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الرابع ص ١٦٦. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء السابع عشر ص ١٤١.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الزيتـون يختـلف عن طعم الرمان رغـم وجودهمـا فى نفس المزرعـة وتحت نفس الظروف. كمـا فضل الله بعض النبات على بعض فى الأُكل، فهـذا طعم حامض وآخـر حلو. وفى الآية خص الله تعـالى ﴿النخل والزرع﴾ على اختـلاف أنواعه لكثرة منافـعهما، ولكونهـما القوت لأكـثر الخلق. وأخبر الله تعـالى أنه أنشأ هذا الزرع لمنافع الناس فقال: ﴿كلوا من ثمره﴾. وأمر سبحـانه عباده المؤمنين بإخراج زكاة زرعهم يوم الحصاد(١).

وطلب الله سبحانه وتعالى من عباده أن يتفكروا فى قدرته، فهو وحده الذى يخرج لـنا من الأرض الزرع المختلف الأنواع والأصناف والألوان، رغم أنه يُسقى بماء واحد، وتكمن فى هذا الدلالة الواضحـة على أنه لا إله إلا الله، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ [النحل]. وختم الله الآيات بقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أى إن تحول مياه البـحر المالحة إلى سحب تحملها الرياح إلى جهـات عدة، ثم سقوط المطر الذى أصبح ماؤه عذبًا، فيأخذ طريقه إلى قنوات أو أنهار أو يُختزن فى جوف الأرض، فيستـخدمه الإنسان فى شربه وسقى أرضه ومـواشيه. إن كل تلك المنافع التى ينتفع بها الإنسان فى حياته دلالـة على أن الله سبحانه وتعالى هوالإله الواحد الفرد الصمد(٢). والحقيقة أنه من نعم الله تعالـى على عباده أن التبخر لا يكون إلا فى الماء الخالص دون ما يحويه من أملاح، ولذلك ينزل المطر صافـيًا خالصًا سائغًا للشاربين فيسـقى الأرض العطشى والنبات. ولو كان التبخر للمـاء وما يحتويه من أملاح لكان مـاء المطر ملحا أجاجـا لا يُشرب ولاينفع النبـات، ولذلك ختم الله سبحانه وتعالى الآية الكريمـة بقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. حقا سبحانك يارب.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثانى ص ٨٠.
(٢) تفسير سورة النحل لمحمد البهى ص ١٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويقول تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد]. (قطع متجاورات: متقاربات. صنوان: المتجمع وأصله واحد. وغير صنوان: المتفرق أصله)(1). وتبين الآية الكريمة أنه من عظيم قدرة الله أن الأرض تجاور بعضها مع أن هذه طيبة تنبت ما ينفع، والأخرى سبخة مالحة لا تنبت شيئًا. ويدخل فى هذه الآية اختلاف ألوان بقاع الأرض، فهذه تربة حمراء، وهذه صفراء، وهذه سوداء، وهذه محجرة، وهذه سهلة، وهذه سميكة، وهذه رفيعة. وهذا كله يدل على الفاعل المختار لا إله إلا هو، ولارب سواه. ولذلك ختم الله هذه الآية بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(2).

ويُذكِّر الله سبحانه وتعالى عباده أولى الألباب - مرة أخرى - بقدرته جل شأنه فيقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الزمر]. فالله وحده هو الذى ينزل من السماء الماء فيودعه فى الأرض ينابيع، ثم يُخرج به زرعًا مختلفًا ألوانه، ثم أنه هو وحده القادر على أن يجعل هذا الزرع حطامًا وقتما شاء. وختم الله سبحانه الآية بقوله: «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ» أى أن كل هذه القدرة تدل على أنه لا إله إلا الله، وهذا شىء يستدل عليه بالعقل. فتذكروا يا أولى العقول(3). ويقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [السجدة]. والآية الكريمة تبين لطف الله بخلقه وكمال إحسانه إليهم؛ فهو سبحانه يسوق الماء إلى الأرض الجرز: الميتة البور التى لا نبات فيها فتُخرج به زرعًا ونباتًا مختلفًا ألوانه تأكل منه أنعامهم «وهو العلف» وأنفسهم «وهو

---

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثانى ص ٢٥٦. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الثانى ص ٢٣٨. التصوير الفنى فى القرآن لسيد قطب ص ٦٧.

(2) مصحف الشروق المفسر الميسر ث ٢٧٥.

(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٤٥. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الرابع ص ٣٠٠.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

طعام الآدميين»(١). ونلاحظ من الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى بدأها بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ وختمها جل شأنه بقوله ﴿أَفَلا يُبْصِرُونَ﴾ سبحان الله ما هذا الجمال!.

ولعلنا نلاحظ أيضا أن كل الآيات السابقة اختتمها الله بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ و: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ و﴿أَفَلا يُبْصِرُونَ﴾ و﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ وهذا كله دليل على أن أصحاب الفطرة السليمة والعقول الواعية يسهل عليهم فهم هذه الآيات المحسوسة المرئية ليؤمنوا أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وليس أجمل ولا أفضل من أن تشبه الإنسان الصالح بالزرع، فالزرع فيه النفع كله؛ ولذلك وصف الله سبحانه وتعالى عباده المسلمين فى الإنجيل من خلال آيات القرآن بأنهم (زرع). فقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

وفى الآية الكريمة يصف الله سبحانه وتعالى محمدا ﷺ وأصحابه المهاجرين والأنصار يصفهم فى الإنجيل بأنهم زرع أخرج فرخه من قوته وخصوبته، ولكن هذا الزرع يزداد قوة فهذه الأفراخ لا تضعف العود بل تشده، فيخرج العود مستقيمًا سويًا لا معوجًا ولا منحنيًا. وكذلك الصحابة - رضوان الله عليهم - هم كالزرع فى نفعهم للخلق؛ فهم جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح(٢). وقال قتادة: مثل أصحاب محمد ﷺ فى الإنجيل مكتوب أنه سيخرج من قوم ينبتون نبات الزرع، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر»(٣).

---

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الخامس ص ٢٨١٥. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الرابع عشر ص ٧٢. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الخامس والعشرون ص ١٨٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الخامس ص ٦٦. معانى القرآن للفراء، الجزء الثالث ص ٦٩. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ١٨٤ تفسير النسفى للنسفى، الجزء الرابع ص ١٦٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء السادس عشر ص ١٩٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والزرع من أفضل نعم الله على الإنسان، ولكن بعض الناس يـغترون بالدنيا ويميلون لها ويعـيشون مع النعمة وينســون المنعم. وفى ذلك قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴿٣٧﴾ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الكهف]

وفى الآيات الكريمة يأمـر الله رسوله الكريم ﷺ بتذكير قـومه بما صدر من الرجلين من الأقـوال والأفـعال، ومـا حـدث بسبب ذلك من العقـاب العـاجل والآجل، ليعتبروا ويتعظوا بما حصل لهما. فأحد هذين الرجلين وهو الكافر بنعمة الله قد جـعل الله له جنتـين من أعناب وأحاطهـما بنخل، أى أن العنب بوسطـها والنخيل قد حف ذلك، وجـعل الله بين تلك الأشجار (زرعا) أيضـا. وأخبر الله سبحـانه وتعالى أن تلك الجنتين أعطت ثمـارها وزرعها ضعـفين، ولم تنقص من أكلها أدنى شيء. فـاغتر هذا الرجل وافتـخر وتبجح، ونسى آخـرته وقال للرجل المؤمن مفتخرًا بماله وأولاده وأنصاره من عبيد وأقارب، قال له: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾، واطمأن الرجل إلى الدنيا، ورضى بها، وأنكر البعث فقال: ﴿مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾. ورد عليه صاحـبه المؤمن ناصحًا له، ومنكرًا لـه حاله، وذكّره بأن الله هو الذى أوجده فى هذه الدنيـا؛ حيث خلقه من تراب ثم من نطفـة ثم جعله رجلاً. ثم دعـا الرجل المؤمن على الكافر غضـبا لربه وراجيًـا أن يرجع جاره إلى رشده، فاسـتجاب الله لدعائه، فأحيط بثـمر الجنتين، فلم يبق منهما شـيئًا؛ وهذا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يستلزم تلف جميع الأشجار والثمار والزرع. فندم الرجل كل الندامة، واشتد أسفه. والحقيقة أنه ليس لمعرفة أسماء الرجلين، أو زمانهما أو مكانهما أى فائدة أو نتيجة(1). وإن كان قيل: إنهما أخوان من بنى إسرائيل أحدهما مؤمن، والآخر كافر، وقيل: اسم المؤمن (تمليخا) واسم الكافر (فطروس). وقيل: (يهوذا) و(قطروس) وقيل: كانا شريكين اقتسما المال فاشترى الكافر بماله جنتين وتصدق المؤمن بماله. والله أعلم(2).

ومن هؤلاء الذين اغتروا بالدنيا وزروعها ثمود قوم صالح عليه السلام، وفرعون وقومه. وفى ذلك يقول تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥) أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠) وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ (١٥٢) قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٥٣) مَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٥٤) قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (١٥٥) وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥٦) فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٥٨)﴾ [الشعراء]

وفى الآيات الكريمة يذكّر نبى الله صالح عليه السلام قومه بأنعم الله عليهم ويعظهم ويحذرهم نقمة الله أن تحل بهم، فهم يعيشون بين هذا النعيم الذى يصوره لهم أخوهم صالح، ولكنهم يعيشون فى غفلة ولا يفكرون فيمن وهبهم إياه ولا يشكرون المنعم الذى أنعم عليهم وأعطاهم هذا النعيم. وكان جزاؤهم أن أنزل الله بهم عذابه(3).

---

(1) مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٣٣٣، وتيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثالث ص ١٢٩ - ١٣١ فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الرابع ص ٢٢٧٠ تفسير النسفى للنسفى الجزء الثالث ص ١٢.

(2) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى الجزء الثانى ص ٣٤٢. قصص القرآن لمحمد سليمة، القصة العشرون ص ٣ - ١٥ . مناهج الجدل الكريم لزاهر الألمعى ص ٣٩٧.

(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثالث ص ٣٢٢. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثالث ص ٤٩٩ . فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الخامس ص ٢٦١١.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومما يدعو إلى التأمل أن لفظ (زروع) بصيغة الجمع نفسها والتى وردت فى الآيات السابقة، ورد أيضًا فى قصة نبى الله موسى عليه السلام مع فرعون وقومه. فقال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [الدخان].

يصور الله سبحانه وتعالى فى تلك الآيات حال فرعون وجنوده بعد أن غرقوا وتركوا ما مُتعوا به فى الحياة الدنيا، وأورثه الله بنى إسرائيل الذين كانوا مستعبدين لهم(١). ولتوضيح صورة من صور نعم الله التى أنعم بها على أهل مصر فى عهد فرعون، يُروى عن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما- أنه قال: كانت الجنان بحافتى نهر النيل من أوله إلى آخره فى الشقين جميعًا، والزروع ما بين الجبلين كله من أول مصر إلى آخر ما يبلغه الماء. وكانت جميع أرض مصر تُروى من ستة عشر ذراعًا لما قدروا ودبروا من قناطرها وجسورها وخلجها(٢).

ومن الملفت للنظر أن لفظ (زروع) ورد فى أول الآية (١٤٨) من سورة الشعراء، وجاء أيضا فى أول الآية (٢٦) من سورة الدخان، وفى قصة قومين كفروا بأنعم الله، فأهلكهم بذنوبهم. والله أعلم بمراده.

وجاء لفظ (تزرعون) فى القرآن الكريم على لسان نبى الله يوسف عليه السلام فى تفسيره لرؤيا ملك مصر. والقصة مشهورة حيث رأى ملك مصر فى ذلك الزمان رؤيا هالته وتعجب من أمرها، فجمع الكهنة وكبار دولته، وقص عليهم ما رآه وسألهم تأويلها. فاعتذروا ووضفوها بأنها أضغاث أحلام. وفى ذلك قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [يوسف].

---

(١) البرهان فى علوم القرآن للزركشى، الجزء الثالث ص ٢٢٤. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الرابع ص ٣٣٩. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الخامس ص ٣٢١٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ١٢٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعند ذلك تذكر الذى نجا من الفتيين اللذين كانا مع يوسف عليه السلام فى السجن. فجاء هذا الفتى ليوسف عليه السلام، وذكر له المنام الذى رآه الملك. فذكر له يوسف عليه السلام تعبيرها من غير تعنيف للفتى فى نسيانه ومن غير اشتراط للخروج من السجن. وفى ذلك يقول تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يوسف].

وفى الآيات الكريمة دعوة صريحة للإنسان أن يزرع بعناية ورعاية ودأب، وأن يحاول توفير ما يفيض على الحاجة لمواجهة الظروف الطارئة. كما وجهت الآيات الكريمة النظر إلى اتخاذ كافة الوسائل العلمية لتخزين فائض الإنتاج بحيث يظل طوال مدة حفظه فى حالة سليمة وصالحة للاستهلاك. وأثبت العلم الحديث أن أفضل وسيلة للحفاظ على الحبوب هو تركها فى سنابلها لتحافظ على رطوبتها الطبيعية، وتمنع تأثير الجو على الحبوب مباشرة. وهذا سبق علمى للقرآن، وأحد الأدلة التى لا تحصى على أنه من لدن عليم خبير ، فسبحان الله رب العالمين.

وأشار القرآن الكريم مرتين إلى (العصف)، ففى سورة الرحمن وفى سياق تذكير العباد بأنعم رب العباد عليهم يقول تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾﴾ [الرحمن].

ويصف القرآن الكريم حال أبرهة وجيشه بعد أن منعهم الله من الكعبة[1] فيقول تعالى فى ختام سورة الفيل﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الفيل]. وقال

(١) تقول كتب التفسير: أرسل الله سبحانه وتعالى على جيش أبرهه طيوراً سوداء، وقيل خضراً عند كل طائر ثلاثة أحجار فى منقاره ورجليه، فرمتهم الطيور بالحجارة، فكان الحجر يقتل من يقع عليه وأصبح جيش أبرهه كعصف مأكول أى كالتبن الذى أكلته الدواب ثم راثته، أو كورق الزرع الذى أكلته الدود. (الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء السابع عشر ص ١٠٢، والجزء العشرون ص ١٣٥. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد السادس ص ٣٩٧٩. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الرابع ص ٤٣٠ قصص القرآن لمحمد سليمة، القصة الثلاثون ص ٤ - ١٦.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المفسرون: العصف هو الزرع، وقيل: هو أطراف الزرع قبل أن يُدرك، وقيل: هو بقل الزرع؛ لأن العرب تقول: خرجنا نعصف الزرع إذا قطعوا منه شيئًا قبل أن يُدرك. وقيل: العصف هو التبن. وقيل: هو الجاف من ورق الشجر. وقيل: هو المأكول من الحب. وقيل: العصف والعصيفة الذى يُقصف من الزرع(١).

ومما تقدم يتبين أن القرآن الكريم كرم الزراعة والزرع والزراع بأن ذكرهم ست عشرة مرة فى أربع عشرة سورة من سوره الكريمة، فهل بعد ذلك تكريم؟.

الحرث

الحرث هو أول خطوات عمارة الأرض وتجهيزها للزراعة، ويتم فى هذه العملية تقليب الطبقة السطحية من التربة وتفكيكها مما يؤدى إلى زيادة تهويتها وزيادة نشاط الكائنات الدقيقة فيها، ويؤدى فى الوقت نفسه إلى قطع الحشائش أو اقتلاعها من جذورها.

وكان الإنسان فى بدء عهده بالزراعة يقوم بتسوية الأرض وحرثها بيديه وببعض ما تصنع يداه من أدوات بدائية. ولكن بتوسع المساحة التى أراد الإنسان زراعتها وجد أنه من المستحيل عليه أن يقوم بذلك وحده، فاستعان بالحيوان يجر له المحراث.

ومع نهاية القرن التاسع عشر تم صنع واستخدام محاريث آلية كبيرة تجرها الخيول، ولم يبدأ التفكير فى استبدال الطاقة الحيوانية بالطاقة الآلية الخالصة إلا بعد عام ١٩٣٠م. ويوجد الآن فى متناول الفلاح أحجام وأنواع وتصميمات من المحاريث تلائم كل أنواع الإنتاج.

وتختلف المحاصيل عن بعضها البعض فى درجة إتقان الحرث؛ فالقمح مثلا يحتاج إلى حرث جيد جدًا، بحيث تكون خطوط المحراث متداخلة مع بعضها

---

(١) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الرابع ص ٥٢. معانى القرآن للفراء، الجزء الثالث ص ١١٣، ١١٤. المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى ص ٣٣٦ فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد السادس ص ٣٩٧٩. مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٦٠٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البعض. أما القطن والقصب فيحتاجان إلى حرث الأرض أكثر من مرة، وفى هذه الحالة يكون سير المحراث فى كل مرة مخالف لسيره فى المرة السابقة.

الحرث فى القرآن الكريم

تحدث القرآن الكريم عن الحرث فى أكثر من موضع، وكان المقصود به غالبًا الزرع. ففى سورة الواقعة يخاطب القرآن الكريم أصحاب العقول السليمة ويذكرهم بما يسره لهم من الحرث للزروع والثمار وبما أخرجه لهم من الأقوات والأرزاق والفواكه. وفى ذلك يقول رب العزة: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الواقعة].

والآيات الكريمة فيها تحد للخلق بسؤالهم: أأنتم أخرجتم هذا النبات من الأرض؟ أم أنتم الذين أنبتموه وأخرجتم سنبله وثمره؟. إن العقل والمنطق يقولان أن الله سبحانه وتعالى هو وحده الفاعل لكل ذلك! فغاية ما يفعله الإنسان هو حرث الأرض وإلقاء البذر فيها، ولا علم له بما يكون بعد ذلك، ولا قدرة له على الأكثر من ذلك(1).

ونلاحظ فى الآيات الكريمة أن هناك تقابلاً بين إنشاء الخالق.وعجز الإنسان مما يدل على أن الله هو الذى خلق فهدى، وأنه العليم بما خلق، وأنه بهذا المستحق للعبادة وحده، وأنه ليس كمثله شيء، وأنه الواحد الأحد(2). وفى الآيات الكريمة أضاف الله سبحانه الحرث للناس والزرع إليه تعالى؛ لأن الحرث فعلهم ويجرى على اختيارهم، والزرع من فعل الله تعالى وينبت على اختياره لا اختيارهم. ويُروى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ أنه قال: «**لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت فإن الزارع هو الله**». ويقول بعض أهل العلم: المستحب لكل من يلقى البذر فى الأرض أن يقرأ بعد الاستعاذة ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾،

---

(1) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الخامس ص ١٦٨.
(2) المعجزة الكبرى (القرآن) لمحمد أبو زهرة ص ٣٥٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم يقول: بل الله الزارع والمنبت والنافع. ويقال: إن هذا القول أمان لهذا الزرع من جميع الآفات. ويُروى عن حجر المدرى أنه كان إذا قرأ ﴿أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ يقول: بل أنت يارب[1].

ولأن الله هو مخرج الزرع، ولأن المال مال الله؛ فلا ينبغي لعاقل أن يبخل بجزء من هذا المال على الفقراء والمساكين. ولقد وضح الله سبحانه وتعالى جزاء البخل ومنع الإحسان فقال تعالى:

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لاَّ يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [القلم].

والآيات الكريمة فيها سخرية من الكيد البشرى العاجز أمام تدبير الله وكيده. فأصحاب الجنة الجدد قرروا أن يحرموا المساكين من ثمار جنتهم التى ورثوها عن أبيهم الطيب الصالح، فقرروا أن يقطعوا ثمرها فى الصباح الباكر، وأقسموا ألا يعطوا مسكينًا شيئًا، وانطلقوا يتخافتون، ولكنهم عندما وصلوا إلى جنتهم وجدوا كيد الله أمامهم. لقد طاف عليها طائف بأمر الله فحرمهم من ثمارها كما حرموا هم المساكين[2].

ويبين لنا القرآن الكريم أن الحرث شهوة من شهوات الدنيا بما فيه من شهوة الإنبات والنماء. فقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٢٦٦. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء السابع عشر ص ١٤١. تفسير المراغى للمراغى، الجزء السابع والعشرون ص ١٤٧.

(٢) فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد السادس ص ٣٦٦٥. التصوير الفنى فى القرآن لسيد قطب ص ٥٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) ﴾ [آل عمران].

وقيل فى تفسير ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ**﴾ قيل: المُزين هو الله، وقيل: الشيطان. فتزيين الله بالإيجاد والتهيئة للانتفاع، وتزيين الشيطان بالوسوسة والخديعة(١). وختم الله تبارك وتعالى الآية الكريمة بقوله: ﴿**ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾: أى إنما كل هذا هو زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية الزائلة، والله عنده حسن المآب والمرجع والثواب(٢).

وفى لقطة من لقطات القرآن المعجز يبين لنا جزاء من يكفر بنعم الله ويغتر بحرثه. فقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١٦) مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٧)**﴾ [آل عمران].

والآيات الكريمة تصور لنا حقلاً قد تهيأ للإخصاب، فهو حرث، فإذا بالعاصفة تهب.. إنها عاصفة باردة ثلجية محرقة! تحرق هذا الحرث؛ وإذا الحرث كله مدمر وخراب! ذلك مثل ما ينفق الذين كفروا فى هذه الدنيا. وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون(٣). ثم تكتمل الصورة وضوحًا حيث يقول تعالى فى سورة الشورى: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ (٢٠)**﴾ [الشورى]. يقول المفسرون:

---

(١) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الأول ص ١٨١. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الثالث ص ٣٧٤. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الرابع ص ٢٤. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء السابع ص ٢١٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الأول ص ٣٠٨. تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الأول ص ١٥١.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الأول ص ٣٤٩. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزءالأول ص ٢٠٧. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الثانى ص ٤٥١. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الرابع ص ١١٤. تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الأول ص ١٧٦. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الثامن ص ٢١٢. التصوير الفنى فى القرآن لسيد قطب، ص ٤١. أمثال القرآن لابن قيم الجوزية ص ٥٠.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ ﴾: أى من كان يريد بعمله الآخرة ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ أى نجعل الحسنة عشرا إلى ما شاء الله. ومن كان يريد بعمله الدنيا نؤته منها ما قسمنا له فيها. وحرث الأخرة وحرث الدنيا مستعار من حرث الأرض لأن الحراث يعمل وينتظر المنفعة بما عمل(١).

ويوجه القرآن الكريم أنظارنا إلى الحذر من أقوال المنافقين، فلسان المنافق يعطيك عسلاً مصفى، ويفعل فى الخفاء عكس ذلك. وفى ذلك يقول تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة].

وفى هذه الآيات الكريمة دليل على أن الأقوال التى تصدر عن الأشخاص ليست دليلاً على صدق ولا كذب ولا بر ولا فجور حتى يوجد العمل المصدق لها(٢). وقيل: نزلت هذه الآية فى الأخنس بن شريق الثقفى جاء إلى رسول الله ﷺ وقد أظهر الإسلام وفى باطنه خلاف ذلك حيث خرج فقتل دواب المسلمين وأحرق لهم زرعًا. وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنها نزلت فى نفر من المنافقين تكلموا فى خبيب وأصحابه الذين قتلوا بالرجيع وعابوهم. وقيل: بل ذلك عام فى المنافقين كلهم(٣).

ويأخذنا القرآن الكريم إلى العصر الجاهلى ليبين لنا ما كان عليه المشركون المكذبون للنبى ﷺ من سفاهة العقل وخفة الأحلام والجهل البليغ. وعددت آيات القرآن الكريم شيئا من خرافتهم لينبه بذلك على ضلالهم، وأن معارضة هؤلاء السفهاء للحق الذى جاء به الرسول ﷺ، لا تقدح فيه أصلا، فإنهم لا أهلية لهم

---

(١) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الرابع ص ٣٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الأول ص ١٨٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الاول ص ٢١٥. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الأول ص ١٣٥. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الأول ص ٢٠٤. تفسير البيضاوى للبيضاوى المجلد الأول ص ١١٤. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الخامس ص ٢١٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى مقابلة الحق[1]. فقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأنعام].

وفى الآيات الكريمة إشارة إلى ظاهرة المادية واستغلال الدين معا، فظاهرة تدخل الزعماء فى المجتمع المكى فى أموال الناس، بما يشبه تحويلها إلى ملكية عامة كى يظفروا من ورائها بمزيد من الاستغلال المادى باسم الدين. وكانت أموال المكيين تتمثل فى الزراعة وفى الأنعام. فتدخل الكهان فى شئون الزراعة بتحديدهم الأنصبة التى تخرج منها باسم الله أو باسم الأصنام. وما كان لله يصرف فى أوجه البر والخير وللفقراء والمساكين. وما كان للأصنام يصرف على الخدمة الدينية فى عبادة الأصنام، وكان الكهان أنفسهم هم أصحاب القسط الأوفر فى نصيب الأصنام. وتدخلوا فى تحديد الأنصبة فما كان جيدا حُجر فيه نصيب الأصنام.. وتُرك الردىء لله؛ وبذلك تعود أكبر فائدة على الكهان[2]. وإذا أصابتهم سنة أكلوا نصيب الله وتحاموا نصيب شركائهم. وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: كانوا إذا أدخلوا الطعام فجعلوه حزما، وجعلوا منه لله سهمًا ولآلهتهم سهمًا. وكان إذا هبت الريح من نحو الذى جعلوه لآلهتهم إلى الذى جعلوه لله، ردوه إلى الذى جعلوه لآلهتهم، وقالوا: الله عن ذلك غنى. وإذا هبت الريح من نحو الذى جعلوه لله إلى الذى جعلوه لآلهتهم، أقروه ولم يردوه[3].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثانى ص ٧٨. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الثالث ص ١٢١٤ - ١٢١٧. تصور الألوهية كما تعرضه سورة الأنعام لإبراهيم الكيلانى ص ٨٧ - ٩١.

(٢) تفسير سورة الأنعام لمحمد البهى ص ١٢٤ - ١٢٦.

(٣) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الثانى ص ٤٠. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الثالث ص ١٢١٧. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء السابع ص ٥٩. تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الأول ص ٣٢٢. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الثالث عشر ص ٢١٤. مناهج الجدل فى القرآن الكريم لزاهر الألمعى ص ٣٧٢ أحكام القرآن لابن العربى، القسم الثانى ص ٧٥٢.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتوضح الآيات الكريمة أيضا تدخل الكهان فى توزيع الثروة الحيوانية بتقسيمها إلى أنواع: النوع الأول «حجر» لايباح الأكل منه إلا لأناس معينين وبإذن خاص من الكهان. ونوع ثان لا يُركب ولا يُحمل عليه شيء حتى ولو فى موسم الحج. ونوع ثالث لايُذكر عليه اسم الله عند ذبحه، بل يذكرون عليه اسم صنم من الأصنام، وما يُذكر عليه اسم الصنم يشارك فيه كهان هذا الصنم. ونوع أخير يحدد ما فى بطونه، فإن نزل ما فى البطن حيًّا فهو للذكور خالصة.. وإن نزل ميتًا فهو قسمة بين الذكور والإناث! ويحتمل أن يكون تأويل الآيات الكريمة ما ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال عن الله تعالى: **«أنا أغنى الشركاء عن الشرك، ومن أشرك معى شيئًا تركته وشركه»**(١).

والقارئ المدقق للقرآن الكريم يلاحظ أن الله سبحانه وتعالى ذكر (الحرث) فى سياق قصتين حدثتا مع نبيين من أنبيائه عليهما السلام.

القصة الأولى حدثت مع رسول الله موسى عليه السلام وبنى إسرائيل حين قُتل رجل منهم وكان عقيمًا وذا مال كثير، وكان ابن أخيه وارثه. واختلف الناس على القاتل.. من هو؟. وكادوا أن يقتل بعضهم بعضًا. فقال أصحاب الرأى فيهم: علام يقتل بعضكم بعضًا، وهذا رسول الله - موسى - بينكم؟. فأتوا موسى فذكروا له ذلك. فقال لهم: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة. ودار جدال طويل بين موسى عليه السلام وبين بنى إسرائيل، وخلد الله هذا الجدال فى القرآن(٢) فقال تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾** [البقرة].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثانى ص ٧٨.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الأول ص ٩٦. تفسير البيضاوى للبيضاوى المجلد الأول ص ٦٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتبين الآيات الكريمة أن من صفات البقرة المطلوب ذبحها أنها لا تسقى الحرث(١).

والقصة الثانية حدثت مع نبى الله سليمان وأبيه نبى الله داود - عليهما السلام- إذ تحاكم إليهما صاحب حرث(٢) رعت فيه غنم ليلا فأكلت ما فى أشجاره. فقضى فيه داود عليه السلام بأن الغنم تكون لصاحب الحرث نظرا لتفريط صاحبها. وحكم فيها سليمان عليه السلام بأن أصحاب الغنم يدفعون غنمهم إلى صاحب الحرث فينتفع بلبنها وصوفها، وفى نفس الوقت يقوم أصحاب الغنم على بستان صاحب الحرث حتى يعود إلى حالته الأولى، فإذا عاد إلى حالته تراداً ورجع كل منهما لماله. وقال داود عليه السلام لابنه: وفقت يا بنى، وقضى بينهما بذلك. ويقال فى هذه القصة: كان داود عليه السلام نبيًّا ملكًا وكان ابنه سليمان ابن أحد عشر عاما(٣). وفى ذلك قال تعالى: ﴿**وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾**﴾ [الأنبياء].

الحصاد

من المعروف منطقيًّا أن أول عملية قام بها الإنسان منذ أن وُجد على الأرض هى تناول الغذاء مما وجده حوله متاحًا له من النبات.

ولا شك أنه عندما أراد أن يأكل النبات فإنه قد قطع بعضًا من أفرعه وأغصانه، أو حَشَّ بعض أعواده، أو حصد بعضًا من حبوبه، أو جمع بعضًا من

(١) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الأول ص ٨٩. كلمات القرآن - تفسير وبيان - للشيخ مخلوف. قصص القرآن لمحمد سليمة، القصة الخامسة عشرة ص ١٠.

(٢) قيل أن الحرث كان زرعا وقيل: كان كرما نبتت عناقيده (أحكام القرآن لابن العربى، القسم الثالث ص ١٢٦٦.

(٣) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الثالث ص ٦٤. الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى الجزء الأول، ص ٢٨٠. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثالث ص ١٧٧. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الرابع ص٢٣٨٩. وتفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الثانى والعشرون ص١٩٦: قصص القرآن لمحمد سليمة، القصة السابعة عشرة ص٣ - ٤. تفسير النسفى للنسفى، الجزء الثالث ص ٨٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثماره. وهذه العملية الزراعية - ألا وهى الحش والحصاد والجمع والضم- تمت قبل أن يأكل لأنها سبيل حصوله على ما تناوله.

بل يتعدى الأمر هذا كله، ويقال إن أول عمل قام به الإنسان فى الجنة هو الأكل من الشجر، وهذا استلزم منه جمع الثمار وحصاد النبات.

وعملية حصاد النبات من أهم العمليات الزراعية التى يجب أن تتم فى الوقت المناسب، حيث تُجرى عملية الحصاد عندما يصل المحصول إلى طور النضج؛ حتى يمكن الحصول على أكبر إنتاج ويكون المحصول عالى الجودة. وإذا تم الحصاد فى ميعاد غير مناسب سواء كان بالتبكير أوالتأخير فإن ذلك يؤدى إلى فقد كمية المحصول وجودته.

وتتضح أهمية عملية الحصاد أكثر فى النباتات الطبية حيث تعتبر من أدق العمليات التى يتوقف عليها القيمة الفعلية من زراعة النباتات الطبية. فقد تبين أن النباتات الطبية تختلف فى احتوائها على نسبة المواد الفعالة تبعًا لعمر النبات، وكذلك تبعا للوقت الذى تُجرى فيه عملية الحصاد.

وإذا سألنا المزارع عن أجمل أوقات حياته، لردَّ بلا تردد: أنه وقت الحصاد؛ ففيه جنى ثمرة العرق وتعب الموسم كله. وفى ذلك يقول الشاعر:

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا ∴ ندمت على التفريط فى زمن البذر

واليوم أصبحت عملية الحصاد، وما يليها من عمليات لتذرية البذور وفصلها عن التبن وسيقان النبات وأوراقه، وغير ذلك من العمليات تتم بصورة آلية. وتوجد الآن آلات تجنى كيزان الذرة، ثم تقوم بجمعها وبفصل الحبوب عن القوالح، ثم تنظف تلك الحبوب وتجففها، ثم تقوم بتخزينها بطريقة آلية متتابعة سريعة. كما أصبح من الممكن استخدام آلات لحصاد القمح والشعير بفصل تلك الحبوب عن السنابل، وتذريتها، وفصلها عن التبن، ثم تجفف الحبوب والتبن كل على حدة.

ومن آلات الحصاد ما يتخصص فى جنى الخضراوات، وحشائش الرعى وغيرها. وفى الحقيقة وفرت آلات الحصاد الكثير من الجهد والوقت، فقد مكنت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

آلة جمع القطن مثلا العامل الواحد أن يجنى ما كان يجنيه عشرون عاملاً، وفى ربع الوقت فقط، كما أصبحت بالة القطن تُجمع فى نصف ساعة بدلاً من أضعاف هذا الوقت من الجمع اليدوى.

الحصاد فى القرآن الكريم

ويذُكر الله سبحانه وتعالى الناس بفضله عليهم ليزدادوا منه قربًا. فيقول تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝٩ ﴾ [ق].

وقال بعض المفسرين: حب الحصيد هو القمح والشعير ونحو ذلك مما يُحصد، ويقال: حب الحصيد هو الزرع الذى يُراد لحبه وإدخاره. وفى الآية الكريمة يُذكر المولى عباده بأنه وحده سبحانه وتعالى هو الذى يُنزل من السماء ماء مباركًا طاهرًا فينبت به جنات من كل لون وصنف، وخص الله الحب لأنه هو قوت الناس فى الغالب. ونلاحظ فى الآية الكريمة أن الله تبارك وتعالى تكلم عن نفسه بضمير الجماعة فقال: «وَنَزَّلْنَا» و«فَأَنبَتْنَا» تعظيمًا لقدرته عز وجل؛ ولأن هذه الأعمال وهى إنزال المطر وإنبات النبات لا يقدر عليها أحد غير الله، فتباركت ياربنا.

وحتى تكتمل الصورة تماما يحذرنا الله سبحانه وتعالى من الكفر بنعمته علينا والغرور بما أعطانا، وألا ننسى إحسانه إلينا أو ننسب هذه النعم لقدرتنا وعلمنا وإلا سيكون مصيرنا كالزرع المحصود مقطوعًا من جذوره فيقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢٤ ﴾ [يونس].

وتوضح الآية الكريمة أن الله سبحانه هو مُنزل المطر، وبأمره ينبت فى الأرض النبات مما يأكل الناس كالحبوب والثمار، ومما تأكل الأنعام كأنواع العشب، والكلأ المختلف الأصناف، وبذلك تصبح الأرض جميلة فى منظرها، فإذا أغتر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أهلها بذلك وظنوا أنهم هم السبب فى كل هذا بعلمهم أو بقوتهم، أتاها أمر الله فى الليل أو النهار فقضى بهلاك ما على الأرض من نبات فجعله (حصيدا) أى كالذى حُصدَ وإن كان لم يُحصد أو مقطوعًا مقلوعًا من أصله[1].

وفى القرآن الكريم أمثلة لأمم أهلكها الله بظلمهم فجعلهم (حصيدًا) فقال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأنبياء].

وقال المفسرون: شبه الله سبحانه وتعالى هلاك من كفر بأنعم الله بالزرع المحصود أو ما سُوى من الأرض. ومعنى خامدين أى موتى وهو تشبيه بخمود النار[2].

وفى موضع آخر فى القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾﴾ [هود]. أى أن بعض هذه القرى (قائم) ومنها (حصيد) كالزرع المحصود[3]. ويقول رشيد رضا فى كتابه (تفسير المنار) فى تفسيره للآية الكريمة: أى ذلك الذى قصصناه عليك أيها الرسول بعض أنباء الأمم أى أهم أخبارها وأطوار اجتماعها فى القرى والمدائن من قوم نوح ومن بعدهم نقص عليك فى القرآن للإنذار به، ومن تلك القرى ماله بقايا ماثلة وآثار باقية كالزرع القائم فى الأرض، كقرى قوم صالح، ومنها ما عفا واندثرت آثاره كالزرع المحصود لم يبق منه بقية فى الأرض كقرية قوم لوط[4].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثانى ص ٣٧٥. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثانى ص ٣٢٨. مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٢٣١. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الثانى ص١٦٨. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الثالث ص١٧٧٥ تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الأول ص٤٣٢. تفسير المنار لرشيد رضا، الجزء الحادى عشر ص٢٨٤.

(٢) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الثالث ص ٥٠. صفوة التفاسير للصابونى، المجلد الثانى ص ٢٥٩. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الحادى عشر ص ١٨٢. فى رحاب القرآن الكريم للمحيسن، الجزء الثانى ص ١٤٣.

(٣) تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الأول ص ٤٦٩. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٠٩.

(٤) تفسير المنار لرشيد رضا، الجزء الثانى عشر ص ١٢٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويضع القرآن الكريم الحدود الواضحة للأموال، ومدى التصرف فيها من المالكين لها. وأشار إلى حقيقة هامة يجب أن يعلمها كل إنسان وهى أن النعمة فى هذه الأموال سببها الله، فهو صاحبها الأول وهو الوهاب لها. فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأنعام].

وتؤكد الآية الكريمة أن الله وحده هو الذى أنشأ هذه الجنات المعروشات مثل حدائق العنب الذى يمتد على أخشاب تحته، وهو أيضا الذى أنشأ الجنات غير المعروشات مثل حدائق العنب الأرضى الذى لا يحتاج إلى ما يمتد فوقه. وقيل فى تفسير قوله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ المعروشات ما غرس الله فى العمران، وغير المعروشات ما أنبته الله فى الجبال والبرارى(١). ويقال: أن من فضل الله سبحانه وتعالى أن علم الإنسان كيف يعرش لبعض النباتات.

وأباح الله سبحانه وتعالى لنا التصرف فى هذه الأموال كلٌّ فيما يملك، وأحل الاستمتاع بها، فلا حجر علينا فى البيع والشراء. وكل ما ألزمنا الله فيها هو لصالحنا أولا ولصالح المجتمع ثانيًا. وفرض الله علينا فى الزرع زكاة هى زكاة الزروع، وأمر الزارع أن يخرجها يوم حصاد الزرع فقال تعالى: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١] . وذلك لأن حصاد الزرع بمنزلة حولان الحول؛ ولأنه الوقت الذى تتشوق إليه نفوس الفقراء، ويُسهل حينئذ إخراجه على أصحاب الزرع، ويكون الأمر فيها ظاهرًا، لمن أخرجها، حتى يتميز المخرج ممن لم يخرج(٢).

وعن أنس - رضى الله عنه- قال: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١]: أى الزكاة المفروضة، وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾: أى الزكاة المفروضة يوم يُكال ويعُرف كيله(٣). ويتفق المفسرون

(١) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الثانى ص ٤٢.
(٢) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثانى ص ٨٠، ٨١.
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثانى ص ١٦٨.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن الآية الكريمة دليل على وجوب الزكاة فى الثمار، وأنه لا حول لها، بل حولها هو الحصاد فى الزروع، وجداد النخيل. ولا يشترط مرور عام على زكاة الزروع، ولا تتكرر الزكاة فى الزروع، ولو مكثت عند صاحبها أحوالاً كثيرة إذا كانت لغير التجارة؛ لأن الله تعالى لم يأمر بالإخراج منه إلا وقت حصاده(١). ويتضح من الآية الكريمة أيضا أنه لا يجوز الأكل من النخيل والزرع قبل إخراج الزكاة(٢).

وأمر الله سبحانه وتعالى بالاعتدال حتى فى الإحسان فقال عز من قائل ﴿وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾. ويُقال نزلت هذه الآية فى ثابت بن قيس خلَّى بين الناس وبين نخله، فذهب به كله ولم يبق لأهله منه شيئا(٣). ويقول ابن كثير - رحمه الله - الظاهر من قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ أن يكون الإسراف عائداً على الأكل، أى لا تسرفوا فى الأكل؛ لما فيه من مضرة للعقل والبدن(٤). ويقول الأستاذ سيد قطب فى كتابه «فى ظلال القرآن»: قوله ﴿وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ينصرف إلى العطاء، كما ينصرف إلى الأكل. فقد روى أنهم تباروا فى العطاء حتى أسرفوا فنزلت هذه الآية(٥).

وفى آية قرآنية هى إعجاز علمى فى حد ذاتها ورد لفظ (حصدتم) ففى سياق تفسير نبى الله يوسف عليه السلام لرؤيا ملك مصر يقول تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧)﴾ [يوسف].

ففى الآية الكريمة يرشدهم سيدنا يوسف عليه السلام إلى ما يفعلون فى سنين الجدب، فقال ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾. وأثبت

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثانى ص ٨٠، ٨١.
(٢) المرجع السابق.
(٣) معانى القرآن للفراء، الجزء الأول ص ٣٥٩.
(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، المجلد الثانى ص ١٦٨.
(٥) فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الثالث ص ١٢٢٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العلم الحديث أن أفضل الوسائل لتخزين الحبوب هو تركها فى سنابلها لتحافظ على رطوبتها الطبيعية وتمنع تأثير الجو المباشر على الحبوب. وتعتبر هذه الآية سبقا علميا للقرآن، وأحد الأدلة التى لا تحصى على أن هذا القرآن من لدن عليم خبير، فسبحان الله رب العالمين.

المرعى

كان الإنسان فى أطواره الأولى على الأرض يسعى إلى فريسته ليقتنصها ليسد بها أوده يومًا بيوم. ثم تجمعت لديه على مر الأجيال معارف ببعض الحيوانات ما ينفعه منها وما يضره.

ووجد الإنسان أن صيده غير ميسور فى كل حين، فتساءل لماذا لا يربى بعض ما يصيد بعد أن يستأنسه؟. فجرب استئناس بعض الحيوان، وفشل، ثم جرب مرارا حتى نجح. فبدأ يربى ما استأنس من حيوان، وبدأ هذا الحيوان يتوالد ويتكاثر، وهنا شعر الإنسان بشىء من الاطمئنان.

وظهرت مشكلة أمام الإنسان. وهى أن ما ربى من حيوان يحتاج هو الآخر - مثله - إلى طعام، فأخذ يبحث مع الحيوان على الطعام، فبدأ يخرج إلى الحشائش والمروج ليرعى الكلأ، وبدأ يتعرف على مواطن الرعى يقطن فيها مع حيوانه حتى تجدب فيرحل عنها إلى مستقر جديد. وعاش الإنسان راعيا آلاف السنين، وخلال ذلك كان يرى الكلأ يكثر حيث يوجد الماء فكان يختزن من موسم الوفرة لمواسم الجفاف ليضمن لحيوانه العلف.

وتمثل اليابسة حوالى ٢٩٪ من مساحة الأرض، وهناك ٢٠٪ من مساحة اليابسة عبارة عن مراعٍ طبيعية تنتج كمية كبيرة من غذاء الحيوان بصفة مستمرة.

ويمكن تقسيم أنواع المراعى حسب التباين فى الأشكال النباتية السائدة الذى أحدثه الاختلاف فى الظروف المناخية إلى: مراعى الأعشاب ومراعى الشجيرات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصحراوية ومراعى السفانا ومراعى الغابات ومراعى التندرا[1]. ومراعى الأعشاب أو مراعى البرارى والسهوب هى أغنى مناطق المراعى فى العالم، وتسودها الأعشاب النجيلية بالإضافة إلى أشباه النجيليات. وتمتاز مراعى الأعشاب بأنها تكاد تخلو من الأشجار والشجيرات. ومن أبرز أمثلة مراعى الأعشاب فى العالم منطقة السهوب الكبرى فى أمريكا الشمالية وسهوب البامبا فى الأرجنتين. أما مراعى الشجيرات الصحراوية فهى أكبر مناطق المراعى مساحة وأشدها جفافًا، وتكدس هذه المراعى بالشجيرات التى يقل ارتفاعها عن المترين مع قليل من النباتات العشبية، ومن أمثلة مراعى الشجيرات الصحراوية مراعى الصحراء الغربية والصحراء الكبرى. أما النوع الثالث من المراعى فهو مراعى السفانا ويغلب على هذه المراعى وجود الأشجار القصيرة المتناثرة والتى يقل ارتفاعها من ١٢م، ويوجد تحت هذه الأشجار غطاء عشبى كثيف غزير الإنتاج. ومن أشهر أمثلة مراعى السفانا المراعى الإفريقية الواقعة على جانبى خط الاستواء. أما مراعى الغابات فهو تعبير مجازى يقصد به رعى الماشية فى الغابات ذات الأشجار الطويلة والتى يزيد طولها عن ١٢م، والحقيقة أن كثيرًا من هذه الغابات يُستغل فى رعى الماشية المحلية كما هو الحال فى كثير من الغابات الإفريقية. أما مناطق التندرا والتى تقدر مساحتها بحوالى ٥٪ من مساحة اليابسة فإنها لا تُستغل كمراعى إلا فترة وجيزة لا تتعدى تسعين يومًا نظرًا للظروف المناخية السائدة فيها.

المرعى في القرآن الكريم

من ينظر إلى كتاب الكون المفتوح بقلب مطمئن يرى الأدلة الشاهدة بالقوة والتدبير والتقدير للألوهية المنشئة لهذا الكون، والمهيمنة على مصائره. ومن يتأمل السماء وخلقها، والأرض وماءها ومرعاها يؤمن تمامًا بوحدانية الإله القادر الفاعل. وفى ذلك يقول تعالى تبارك وتعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾﴾ [النازعات]. وفى الآيات نسب الله سبحانه وتعالى الماء والمرعى إلى الأرض لأنهما يخرجان منها[2]. وفى الآيات الكريمة دل

(١) مجلة العلوم والتنمية، العدد الثالث عشر، أغسطس ١٩٩٠م ص ٢٤.

(٢) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الرابع ص ٣٣٨.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الله سبحانه وتعالى بأمرين (الماء والمرعى) على جميع ما أخرج من الأرض قوتاً ومتاعًا للأنام من العشب والشجر والحب والثمر والعصف والحطب[١].

ويأمر الله سبحانه وتعالى الناس بأن يتفكروا فى خلقه وعظيم قدرته؛ فهو الذى يُنزل من السماء ماءً مباركًا، وهوالذى يخرج من الأرض شتى أنواع النبات مما يأكل الناس والأنعام. وأمرهم فى الوقت نفسه أن يأكلوا من هذه النعم وأن (يرعوا) أنعامهم، ويتكفروا ويشكروا الخالق العظيم، فقال تعالى: ﴿الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِى النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [طه].

ويقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [النحل]

ويقول المفسرون: «تسيمون» أى: ترعون أنعامكم[٢]. والآيات الكريمة تبين فضل الله على الناس فى إنزال المطر الذى هو شراب لنا وتجرى به الأنهار، ومن هذا الماء يخرج الله لنا النباتات والمراعى التى ترعى فيها أنعامنا[٣].

وإذا كان الأمر كذلك فمن واجبنا أن نسبح خالق هذا الكون ونعبده ونخضع لجلاله ونستكين لعظمته، فهو وحده الذى يستحق ذلك؛ لأنه هو الذى خلق الخلق كلهم من إنسان وحيوان ونبات، وهو الذى قدّر فهدى، وهو الذى أخرج المرعى بعد إنزال المطر فأنبت به أصناف النبات والعشب تعيش عليه الناس والبهائم وجميع المخلوقات[٤]. وفى ذلك يقول رب العزة: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [الأعلى].

---

(١) البرهان فى علوم القرآن للزركشى، الجزء الثالث ص ٢٢٦. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٤٢٤. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء التاسع عشر ص ١٣٤. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد السادس ص ٣٨١١

(٢) كلمات القرآن - تفسير وبيان - للشيخ مخلوف. تفسير المراغى للمراغى، الجزء الرابع عشر ص ٥٩.

(٣) فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الرابع ص ٢١٦٢. تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الأول ص ٥٣٩.

(٤٢) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الخامس ص ٣٩٢.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجاء فى تفسير ﴿غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾: هو النبات اليابس المحطم الذى تحول لونه إلى السواد. والمعنى الإجمالى للآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى هو الذى أخرج المرعى أخضر، فجعله بعد خضرته غثاء أميل إلى السواد فهو أحوى، وقد يصلح لأن يكون طعامًا وهو أخضر، ويصلح أن يكون طعامًا وهو غثاء أحوى، ويصلح لأن يكون طعامًا بين الحالتين، فهو فى كل حالة صالح لأمر من أمور الحياة بتقدير الذى خلق فسوى وقدر فهدى[(1)].

وفى القرآن الكريم جاءت ألفاظ فسرها بعض المفسرين على أنها المرعى أو العلف الذى تأكله الأنعام. فيقول تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾﴾ [عبس].

قال بعض المفسرين: القضب هو العلف الرطب للدواب كالبرسيم[(2)]. وقيل: القضب هو الفصفصة التى تأكلها الدواب رطبة، ويقال لها القت أيضًا، قال ذلك ابن عباس وقتادة والضحاك والسدى، وقال الحسن البصرى: القضب: العلف[(3)]. وقيل القضب: هو ما يؤكل رطبًا غضًّا من الخضر التى تُقطع مرة بعد أخرى[(4)]. وقيل (قضبًا) رطبة سُمى بمصدر قضبه أى قطعه لأنه يُقضب مرة بعد مرة[(5)].

وفى نفس السورة يقول تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٤٥٤. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء العشرون ص ١٣. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد السادس ص ٣٨٨٨. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الرابع ص ٣٧٤. صفوة التفاسير للصابونى، المجلد الثالث ص ٥٤٨.

(٢) كلمات القرآن - تفسير وبيان - للشيخ مخلوف.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٤٢٨. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء التاسع عشر ص ١٤٤.

(٤) فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد السادس ص ٣٨٣٣.

(٥) تفسير النسفى للنسفى، الجزء الرابع ص ٣٣٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واختلف المفسرون فى تفسيرهم لمعنى (أبا)، فقال بعضهم: أبا: كلأ وعشب أو هو التبن خاصة[1]. وقيل: هو ما ترعاه البهائم أو هو التبن[2]. وقيل (الأبّ): ما تأكله الأنعام، وهكذا قال ابن عباس[3]. وقيل (الأب): هو ما تأكله الأنعام من العشب والنبات[4]. وقيل (الأب): المرعى المتهيئ للرعى والجز، من قولهم أبّ لكذا: أى متهيأ، أبا وإبابه وإبابا. وقال الضحاك: كل شىء أنبتته الأرض سوى الفاكهة هو الأبّ[5].

وعن أنس - رضى الله عنه - أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قرأ على المنبر ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾، فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟. ثم رجع إلى نفسه. فقال: إن هذا لهو الكلف يا عمر[6]. وأخرج أبو عبيد القاسم بن سلام أن أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - سُئل عن الأب فى قوله تعالى ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾. فقال: أى سماء تظلنى؟ وأى أرض تقلنى؟ إذا قلت فى كلام الله مالا أعلم[7].

وإن كان هناك ملاحظة، فالملاحظ أن الله سبحانه وتعالى ذكر «أَبًّا» فى الآية [٣١ من سورة عبس]، وذكر «مرعاها» فى الآية [٣١ من سورة النازعات] وإننا نتأسى بالمروى عن أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما- ونقول: الله وحده أعلم بمراده.

---

(١) كلمات القرآن - تفسير وبيان - للشيخ مخلوف. الإعجاز البيانى للقرآن لبنت الشاطئ ص ٤٧٠.
(٢) تفسير الجلالين. لجلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطى..
(٣) معانى القرآن للفراء. الجزء الثالث ص ٢٣٨ . الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء التاسع عشر ص١١٤ تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء السابع ص ٥٧١.
(٤) مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٦٧٨.
(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٤٢٨.
(٦) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى، المجلد الأول ص ٢٤٥. مباحث فى علوم القرآن للقطان ص ٣٣٥. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٤٢٨.
(٧) رواه ابن أبى شيبة والطبرى. مباحث فى علوم القرآن للقطان ص ٣٥٢. لمحات فى علوم القرآن واتجاهات التفسير لمحمد الصباغ ص ١٤٥. الإعجاز البيانى للقرآن لبنت الشاطئ ص ٤٧٠.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثاني

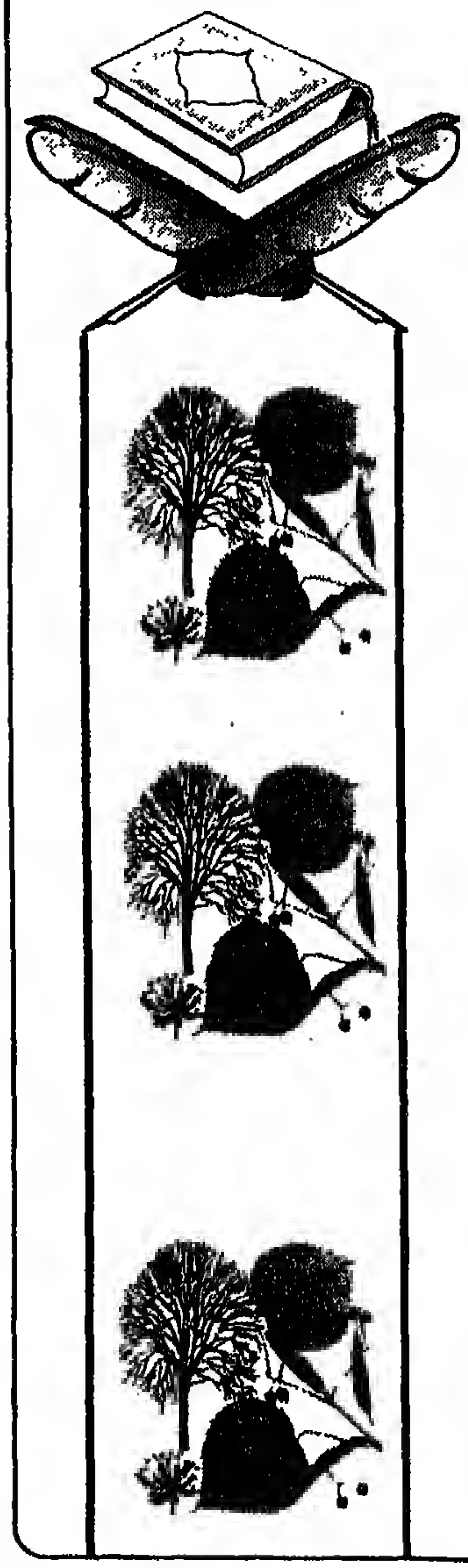

آيات في دنيا النبات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النبات

النبات كـائن حى يبدى مظاهر الحـياة التى يبديهـا الحيـوان. ويتكون جسم النبات من وحدات أساسية هى الخـلايا. وقد يكون النبات مكونًا من خلية واحدة كالبكتريا وبعض أنواع الطحالب والفطريات أو يتكون من عديد من الخلايا.

وينمو النبـات فى جميع بقـاع العالم تقريبًـا، ونرى النبات فى كل يوم فى صـورة أزهار وأعشـاب وأشجـار. كمـا تنمو الـنباتات على قـمم الجبـال، وفى المحيطات، وفى العديد من الصحارى، والمناطق القطبية.

ولا يمكن أن توجد فى الأرض حياة بدون النباتات، فكما لا يستطيع الناس الحيـاة بدون الهواء أو الطعام، فـإنهم لا يستطيعـون الحياة كـذلك بدون النباتات؛ فالأكســجين الذى نتنفســه ينتج عن النباتات، ونحصل على الطعـام من النبات أو الحيوان الذى تغذى بدوره على النبات، ونبنى المـساكن ونصنع العديد من المنتجات النافعة من الأخشاب، ونصنع غالبية ملابسنا من ألياف القطن أو الكتان[1].

وليـست جميـع النباتات ذات فـائدة للناس، حيث تنمـو بعض الأنواع فى الحقول والحدائق كالحشائش التى تضر بالنباتات النافعة. كما قد تسبب حبوب لقاح نباتات معينة مشكلات صحية كالحساسية والربو. كما أن بعض النباتات سامة.

والحركـة فى عالم النبات مـحدودة فمـعظم النباتات ليس لهـا القدرة على الحركة، بل تقضى فتـرة حياتها مثبتة فى التـربة أو على أى سطح يمتاز بالصلابة. وتحتوى النباتات على مادة الكلوروفيل، وبذلك تستطيع أن تبنى غذاءها بنفسها فى وجود ضوء الشمس والماء وثانى أكـسيد الكربون فى عملية معقدة تعـرف بالتمثيل الضوئى. وتمتاز النبـاتات بنموها غير المحدود؛ وذلك لوجود أنسـجة نشطة موزعة فى مناطق خاصة ويستمر نشاطها طوال حياة النبات.

ويوجد مـا يزيد على ٣٥٠,٠٠٠ نوع من النباتات حسب تقـدير العلماء، غير أن الأمر لا يُعـرف على وجه الدقة. ولقد اختلفت وجهـات النظر بالنسبة إلى

---

(١) الموسوعة العربية العالمية، المجلد الخامس والعشرون.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أسس تقسيم هذا العدد الهائل من النباتات. وظهرت عدة تصنيفات يعتمد كل منها على أساس معين. ووفق النظام الحديث يمكن تقسيم عالم النبات أو ما يُسمى بالمملكة النباتية إلى[1]:

١- قسم النباتات المنشقة (البكتريا).

٢- قسم الطحالب الخضراء المزرقة.

٣- قسم الطحالب الخضراء.

٤- قسم الطحالب الصفراء.

٥- قسم الطحالب البنية.

٦- قسم الطحالب الحمراء.

٧ - قسم الفطريات الحقيقية، وتشمل الطوائف التالية:

أ- طائفة الفطريات الزيجوية.

ب- طائفة الفطريات البيضية.

جـ- طائفة الفطريات الزقية.

د- طائفة الفطريات البازيدية.

هـ- طائفة الفطريات الناقصة.

٨- قسم النباتات الحزازية، وتنقسم إلى طائفتين:

أ- طائفة الحزازيات المنبطحة.

ب- طائفة الحزازيات القائمة.

٩- قسم النباتات الوعائية، وتنقسم إلى عدة تحت أقسام أهمها تحت قسم النباتات التريدية، وأهم الطوائف التى يشملها:

أ- طائفة السراخس.

ب- طائفة معراة البذور.

جـ- طائفة مغطاة البذور.

---

(١) الأطلس العلمى - علم النبات - لزهير الكرمى وآخرين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتنقسم طائفة مغطاة البذور إلى:

أ - طويئفة ذوات الفلقتين.

ب- طويئفة ذوات الفلقة الواحدة.

ومن الضرورى أن نؤكد أن مسألة تصنيف النباتات فى غاية الصعوبة، وكثيرة الاختلاف من مرجع إلى آخر؛ نظرا لاختلاف الأسس التى يُصنف على أساسها عالم النبات. ولكن على العموم نستطيع أن نؤكد أن عدد أفراد المملكة النباتية بجميع طوائفها وأقسامها يفوق أعداد البشر فى كل قارات الدنيا.

النبات فى القرآن الكريم

من نعم الله سبحانه وتعالى على عباده وإحسانه إليهم أنه يُنزل من السماء ماءً متتابعًا تفرح به قلوبهم، وبسببه ينبت الزرع والشجر والنبات على اختلاف أنواعه. وفى ذلك يقول ربنا عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام]

ويقول المفسرون فى قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، : أى رزق كل شىء، يريد ما ينبت ويصلح غذاء لكل شىء[1].

وفى تفسير بعض معانى الآية الكريمة يقول الأستاذ سيد قطب فى كتابه (فى ظلال القرآن): وكل نبت يبدأ أخضر، واللفظ (خضر) أرق ظلا، وأعمق ألفة من لفظ (أخضر). ومن هذا النبت الأخضر يُخرج الله منه الحب والسنابل والنخل والأعناب والزيتون والرمان ومختلف فصائل النبات وسلالاته. وفى نفس الآية الشريفة يطلب الله سبحانه وتعالى منا أن ننظر إلى هذا الإعجاز بالحس البصير والقلب اليقظ، فالله لا يقول كلوا من ثمره ولكنه يقول: ﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ أى انظروا إلى النبات فى ازدهاره وعند اكتمال نضجه.. انظروا إليه

(١) معانى القرآن للفراء، الجزء الأول ص ٣٤٧. ملاك التأويل للعاصمى، الجزء الأول ص ٤٦٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واستمتعوا بجماله؛ فالمجال هنا مجال جمال ومتاع كما أنه مجال تدبر فى آيات الله وبدائع صنعته. ويختم الله سبحانه وتعالى الآية بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فالإيمان هو الذى يفتح القلب وينير البصيرة(١).

ولأن الله رحمن رحيم بعباده ولا يرضى لهم الكفر بنعمه، فإنه يذكرهم -مرة أخرى - بفضله عليهم فيقول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾﴾ [النبأ]. وفى قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾: يقول العوفى عن ابن عباس - رضى الله عنهما -: المعصرات الريح والرياح، وهكذا قال عكرمة ومجاهد وغيرهما. وقال الفراء هى السحاب التى تتحلب بالمطر ولم تمطر بعد وماء ثجاجًا أى ماء منصبا. ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ أى لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع حبًّا يُدخر للناس والأنام ونباتًا أخضر يؤكل رطبا(٢).

والحقيقة التى يعلمها الجميع أن إخراج النبات من الأرض عملية لا يقدر عليها إلا الله وحده. فما يقوم به الناس ما هو إلا وضع البذور فى التربة ثم الرى. أما عملية إخراج النبات من الأرض فذلك شىء آخر، وذلك قدرة لا يدعيها أحد. ولذا قال نبى الله موسى عليه السلام لفرعون فى الحوار الذى سجله رب العزة إذ يقول: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾﴾ [طه].

ففى الآية يُذكر موسى عليه السلام فرعون وقومه والناس جميعًا بفضل الله عليهم؛ فهو الذى جعل لهم الأرض مهدًا وقرارًا يستقرون عليها ويقومون وينامون عليها ويسافرون على ظهورها وسلك لهم فيها سبلاً وطرقًا يمشون فى مناكبها، ونفذ لهم الطرق الموصلة من أرض إلى أرض ومن مكان إلى آخر، وهو الذى أنزل لهم من السماء ماء «فأخرج لهم» به أزواجا من نبات شتى أى من أنواع النبات من زروع وثمار، ومن حامض وحلو وسائر الأنواع طعامًا لهم ولأنعامهم. ويؤمن

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الثانى ص ١١٦١. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء السابع ص ٣٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٤١٨.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أصحـاب العقول بأنه لا إله إلا الله فلم يدع أحـد أنه هو الذى يُنزل المطر ويخرج لنا النبات[1]. وفى الآية الكريمة إشارة إلى حقيقة علمية لم تُعرف إلا حديثا وهى أن النبات ككائن حى يتكون من أزواج (ذكر وأنثى) كما هو الحال فى عالم الحيوان تمامًا. وهذا لم يكن معروفًا من قبل حيث كان سائدًا أن النباتات أنثى فقط. ولكن الآية الكريمة تـشير فى قـوله تعالى: ﴿أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ إلى هذه الحقـيقة العلمية التى لم تُعرف إلا حديثًا[2].

وفى موضع آخر من القرآن الكريم يحث المولى سبـحانه وتعالى عباده على التفكير والتفكر فى آلائه، والنظر إليها بعين الاعـتبار والاستدلال، لا بعين الغفلة والإهمال. وفى نفس الوقت ينبه القـرآن الكريم إلى حقيقة علمـية ألا وهى تأثير اختـلاف أصناف التربة، وتأثيـر البيئـة على النـبات فـيقـول رب العزة: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأعراف] (البلد الطيب: طيب التـربة. الذى خبث: ذو التربة الرديئة والمـاء المالح. لا يخرج إلا نكدا: لا يخـرج إلا نباتًا خسًّا لا نفع فـيه ولا بركة[3]. وفى الآيات تتجلى قدرة الله تبارك وتعالى على إخراج النبات، ولذا قال (بإذن الله). وتلفت الآية النظر إلى أن الأرض الطـيبـة تُخرج لنا نبـاتًا طيبًـا ينفع الناس وذلك كله (بإذن الله) أى بإرادة الله ومـشيـئته، فليـست الأسبـاب مـستقلة بوجود الأشياء حـتى بإذن الله بذلك. أما الأرض الخبيثة السبخـة المالحة فلا تُخرج إلا نباتًا خسًّا لا نفع فيه ولا بركة. ولذلك ختم الله سبحانه وتعالى بقوله ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ أى أننا ننوع الآيات ونبينهـا ونضرب فيهـا الأمثال ونسوقها لقوم يشكرون الله على نعمه ويصرفونها فى طاعته ومرضاته[4]. والحقيقة أن التنويع بين الطيب والخبيث والمقارنة بين الأشيـاء على العموم هى آيات ينوعها الله ويصرفها لـقوم يشكرون بتوجيه عبـادتهم لله وحده؛ لأنهم وحدهم هم الذين

---

(١) تفسير القرآن العظيـم لابن كثير، المجلد الثالث ص ١٤٨. تيسير الكريم الرحـمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثالث ص ٢٠٨. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الثالث ص ٢٩.

(٢) الإسلام والعلم التجريبى ليوسف السويدى ص ٦.

(٣) مصحف الشروق المفسر الميسر ص ١٧٣. كتاب التسهيل لـعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الثانى ص٦٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى ، الجزء الثانى ص ١٢٦.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يدركون أن تنوع الآيات فى الكون دليل على الخالق فى وحدته وقدرته[1]. وفى تفسير الآية الكريمة: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِى خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأعراف]. يقول على بن أبى طلحة عن ابن عباس - رضى الله عنهما- هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر[2].

والقارئ للقرآن الكريم يلاحظ أن الله تبارك وتعالى شبه (الحياة الدنيا) (بالنبات) فى أكثر من موضع. والحقيقة أنه تشبيه بليغ صادق لا يصدر إلا من خالق عليم؛ فالنبات قصير الأجل مهما طال عمره وهكذا الدنيا. ويقول رب العزة: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس]. ففى الآية الكريمة يضرب الله عز وجل مثلاً لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها بالنبات الذى أخرجه الله من الأرض بماء أنزله الله من السماء. وفى الوقت نفسه يحذر الله سبحانه عباده من الغرور بهذه الزينة والكفر بهذه النعمة، لأن جزاءهم سيكون زوالها. وقال قتادة: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾: كأن لم تنعم وكأنها لم تكن[3].

وفى سورة الحديد يشبه الله سبحانه الدنيا بالزرع الذى ينبته الغيث فى سرعة تغيره بعد حُسنه وتحطمه بعد ذلك. ودارس علم النبات يعلم أن هناك نباتات حولية تظهر عقب سقوط المطر بفترة وجيزة وتكمل هذه النباتات دورة حياتها بسرعة وخلال موسم سقوط المطر الذى لا يتعدى بضع أسابيع. وهكذا الدنيا مهما طالت فعمرها قصير كعمر تلك النباتات.

قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ

(١) تفسير سورة الأعراف لمحمد البهى ص ٥٣. وفى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الثالث ص ١٣٠٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثانى ص ٢٠٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثانى ص ٣٧٥. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثانى ص ٣٢٨. مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٢٣١. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الثامن ص ٢٠٩. أمثال القرآن لابن قيم الجوزية ص ٢٠.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد].

ويقول المفسرون: الدنيا تكون أولاً شابة، ثم تكتهل، ثم تكون عجوزًا شوهاء، والإنسان يكون كذلك فى أول عمره وعنفوان شبابه بهى المنظر، ثم أنه يشرع فى الكهولة فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه ويصير شيخًا كبيرًا ضعيف القوة قليل الحركة، تمامًا مثل النبات قصير الأجل الذى يظهر بسرعة ويختفى أسرع(١).

ويصور الله تبارك وتعالى الدنيا فى سورة الكهف أحسن تصوير ليعرفها الناس حق المعرفة، يعرفوا ظاهرها وباطنها، ويقيسوا بينها وبين الدار الباقية، ويؤثروا أيهما أولى بالإيثار فيقول تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف].

فالعاقل لا يغتر بالدنيا لأن الدنيا مهما طالت فعمرها كعمر النبات، يأتى عليه يوم فيصبح حطامًا تفرقه الرياح(٢).

وورد لفظ (نبات) فى القرآن الكريم ولكن لا يُقصد به النبات المعروف، ولكن قد يكون القصد منه تشبيه نمو الإنسان بنمو النبات والله أعلم بمراده، ففى سياق قصة السيدة مريم عليها السلام يقول تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران]. وقيل: «وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا» عبارة عن حسن النشأة(٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص٢٨٢، التصوير الفنى فى القرآن لسيد قطب ص ١٣٠. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الخامس ص١٨٤. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الرابع ص١٨٠. ملاك التأويل للعاصمى، الجزء الثانى ص٩٨٨. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد السادس ص ٣٤٩١. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الحادى والعشرون ص ١٣١.

(٢) مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٣٣٤. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثالث ص ١٣٢ - ١٣٣. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الرابع ص ٢٢٧١. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء العاشر ص ٢٦٨.

(٣) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الأول ص ١٨٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى قصة نبى الله نوح عليه السلام مع قومه قال تعالى فى سياق حوار نبى الله مع قومه لإبراز نعمة الله عليهم وتذكيرهم بها قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ [نوح].

قال النحويون: قوله تعالى: «نَبَاتًا» موضوع موضع الإنبات وهو مصدر. وقال غيرهم قوله «نَبَاتًا» حال لامصدر، ونبه بذلك أن الإنسان- من وجه نبات- من حيث أن بدأه ونشأته من تراب، وأنه ينمو نموه، وإن كان له وصف زائد على النبات، وعلى هذا نبه بقوله ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [غافر: ٦٧]، وعلى ذلك قوله «وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا»(١). والتعبير عن نشأة الإنسان من الأرض بالإنبات تعبير عجيب موح. وهى ظاهرة تستدعى النظر ولا ريب. فهى توحى بالوحدة بين أصول الحياة على وجه الأرض، وأن نشأة الإنسان من الأرض كنشأة النبات(٢). فسبحان الخالق الواحد.

الحبة

نتيجة لعمية التلقيح فى النبات تتحد نواة الخلية الأنثوية فى البويضة الموجودة فى مبيض الزهرة مع نواة الخلية الذكرية الناشئة من حبة اللقاح لتكوّن نواة الخلية الجديدة والمسماة بالخلية المخصبة. وبعد عمليات انقسامية متعددة يتكون الجنين النباتى، ولهذا الجنين غذاء مخزون يُسمى الإندوسبيرم وغلاف قوى يحميه. وتكوّن الأجزاء الثلاثة: الجنين والإندوسبيرم والغلاف كائنًا يُسمى البذرة أو الحبة.

والأصح أن نُسمى بذرة النباتات ذات الفلقة الواحدة حبوبا؛ وذلك لأنها عبارة عن ثمرة تحتوى على بذرة واحدة اندمجت قصرتها مع الغلاف الثمرى وكونت غلاف الحبة.

---

(١) المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى ص ٤٨٠.

(٢) فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد السادس ص ٣٧١٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولدراسة المكونات الداخلية لحبة نبات ذات فلقة واحدة تُنقع الحبة فى الماء، فتتفتح وتزداد حجمًا. وإذا ما نُصفت الحبة طوليًا بمستوى موازٍ للسطح الضيق فإنه يمكن ملاحظة الأجزاء الداخلية. ونلاحظ وجود إندوسبيرم كبير فى معظم الحبة، بينما يشغل الجنين الحيز القريب من طرف الحبة المدبب، كما يمكن تمييز الريشة والجذير.

وتظهر طلاقة قدرة الخالق العظيم فى تباين الشكل الظاهرى والتركيب الداخلى للحبوب، فمثلاً حبة القمح يتراوح طولها من ٣ إلى ١٠ ملم، وقطرها من ٣ إلى ٥ ملم. وهى تتركب من الغلاف الثمرى الذى ينشأ من جدار المبيض، ويليه طبقة القصرة وهاتين الطبقتين ملتحمتين. وتوجد طبقة الأليرون أسفل القصرة، وهى عبارة عن صف واحد من الخلايا تحتوى على مواد بروتينية ودهنية. وتلى طبقة الأليرون طبقة الإندوسبيرم وبها حبيبات النشا الملتصقة. ويوجد فى حبة القمح جنين يتكون من ريشة وجذير وسويقة جنينية.

أما حبة الذرة فيتراوح طولها من ١٠ إلى ١٥ ملم، ويبلغ عرضها من ٥ إلى ٨ ملم، وسمكها من ٣ إلى ٥ ملم، ويكون الجنين حوالى ١١٪ من وزن الحبة. وتتكون الحبة من غلاف ثمرى ملتحم مع القصرة والجنين والإندوسبيرم.

وإذا ما سمحت الظروف البيئية للحبة بالإنبات، فإن غلافها يفرز الإنزيمات، اللازمة لهضم المواد المختزنة فى الإندوسبيرم، فتصبح هذه المواد سهلة الامتصاص، وبذلك ينمو الجنين ويتحول إلى نبات صغير.

وترجع القيمة الغذائية للحبوب لاحتوائها على الماء والبروتين النباتى والنشا والسكريات والزيوت النباتية والفيتامينات والأملاح المعدنية.

وتُستخدم الحبوب عادة كغذاء آدمى فى كثير من دول العالم، كما أنها تُستخدم كعلف مركز للحيوانات فى الدول الغنية.

الحبة فى القرآن الكريم

من فضل الله وكرمه على الناس أنه سبحانه خلق الأرض وهيأها لهم ووضع فيها رزقها قبل أن يخلقهم، وفى ذلك يقول رب العزة: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لِلأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرحمن].

وقيل فى تفسير قوله تعالى: «وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ»: الحب هو حب الشعير والقمح والذرة والأرز والدخن وغير ذلك. وذو العصف: أى المأكول من الحب أو هو بقل الزرع[1].

ولأن الله تعالى اسمه الكريم يحب الكرم ويكره لعباده البخل؛ فإنه سبحانه يُحفز همم عباده المؤمنين على الإنفاق فى سبيله، ويحثهم على ذلك، ويعدهم أن النفقة بسبعمائة ضعف وإلى أضعاف أكثر من ذلك. ويقول تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [البقرة]. وقيل نزلت هذه الآية الكريمة فى عثمان بن عفان، وقيل نزلت فى على بن أبى طالب رضى الله عنهما. وقد جاء فى الحديث أن رجلاً جاء بناقة فقال هذه فى سبيل الله. فقال رسول الله ﷺ: لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة[2].

ويبين الله تعالى لعباده صورة من صور قدرته الربانية والتى لا يدعى أحد أنه يشبهه فيها. تلك القدرة هى (خلق الحب والنوى). يقول العلماء: ليس هناك ما هو أقوى ولا أمتن من نوى النبات وحبوبه، فمثلا عُثر على حبات من الغلال فى قبور الفراعنة يرجع تاريخها إلى خمسة آلاف سنة، وخلال هذه الفترة ما كان موجودًا من أحجار تحللت ومن صخور تفتت ومن حديد تغير وصدأ. إن قوة الحبوب والنوى أكبر مما يدركه العقل، وأما ما بداخل الحب والنوى من قوى فأمر يفوق كل ما هو معروف؛ والدليل على ذلك أن حبوب القمح والشعير والأرز الرقيقة استخدمت أثناء الحرب العالمية الأولى فى فك ألواح الغواصات الغارقة تحت الماء بوضع بذورها فى ثنايا الألواح، وتُركت ليفك إنباتها تلاصق الألواح[3].

---

(١) كلمات القرآن - تفسير وبيان - للشيخ مخلوف. معانى القرآن للفراء، الجزء الثالث ص ١١٣، ١١٤. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الخامس ص ١٥٢. مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٣٠٧. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد السادس ص ٣٤٥٠.

(٢) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الأول ١٦٢.

(٣) دنيا الزراعة وما فيها من آيات لعبد الرزاق نوفل ص ١٣٦.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والقـرآن الكريم أكد فى آياته الكريمـة أن الله وحده هو فـالق الحب والنوى فـقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنعام]. يقول المفسرون: الحب فى الآية الكريمة شامل كل الحبوب التى يباشر الناس زرعها والتى لا يباشرونها كالتى تنبت فى البرارى والقفار، فيفلق الحب عن الزروع والنباتات على اختلاف أنواعها وأشكالها، ويفلق النوى عن الأشجار والنخيل والفواكه وغير ذلك فينفع بها الخلق من الآدميين والأنعام(١).

وفى الآية الكريمة يخاطب القرآن الكريم أصحاب العقول والفطرة السليمة ويخبرهم أن الله هو وحده القادر على فلق الحب والنوى، وأنه هو وحده القادر على أن يخلق الشىء من نقيضه، ولهذا فسر قوله ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ بقوله ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾، أى يخرج النبات الحى من الحب والنوى الذى هو كالجماد الميت. ويقول الإمام الرازى فى تفسير هذه الآية: إذا وقعت الحبة أو النواة فى الأرض الرطبة، ثم مر بها قدر من المدة أظهر الله تعالى فى تلك الحبة أو النواة من أعلاها شقًّا، ومن أسفلها شقًّا آخر، فالأول يخرج منه الشجرة الصاعدة إلى الهواء (الساق وما يحمله)، والثانى يخرج منه الشجرة الهابطة من الأرض (الجذر). ثم إن هاهنا عجائب منها أن باطن الأرض جرم كثيف صلب لا تنفذ المسلة القوية فيه، ولا يغوص السكين الحاد القوى فيه، إلا أننا نشاهد أطراف تلك الجذور الرقيقة الدقيقة اللطيفة والتى لو دلكها الإنسان بأصبعه بأدنى قوة لصارت كالماء، نشاهدها وهى تنفذ من تلك الأرض الصلبة وتغوص فى باطن تلك الأجرام الكثيفة، فحصول هذه القوى الشديدة لهذه الأجرام الضعيفة لابد وأن يكون بتقدير العزيز الحكيم(٢). ولهذا خُتمت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ﴾ أى فاعل هذا هو الله وحده لا شريك له ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: أى كيف تصرفون عن الحق وتعدلون عنه إلى الباطل(٣).

---

(١) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الثانى ص ٢٨. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الثالث عشر ص ٩٤.

(٢) تصوير الألوهية كما تعرضه سورة الأنعام لإبراهيم الكيلانى ص ٧٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثانى ص ١٤٧. تفسير سورة الأنعام لمحمد البهى ص ٩٥. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء السابع ص ٣٠. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الثانى ص١١٥٦. ملاك التأويل للعاصمى، الجزء الأول ص ٤٦٤.

ومن اللافت للنظر أن جبابرة الماديين والملحدين أمثال النمرود بن كنعان وفرعون وغيرهما ممن أدعوا الألوهية وقالوا نحن نحيى ونميت لم يتجرأ أحد منهم على الادعاء بأنه قادر على فلق الحب والنوى. فهذه قدرة تُنسب لخالق الحب والنوى، فهو وحده القادر على ذلك، فسبحان الله رب العالمين.

ويؤكد القرآن الكريم على وحدانية الخالق وقدرته. فلم يدَّعِ أحد من الناس مهما بلغ من العلم أنه ينزل المطر من السماء، ولا أنه ينبت لنا الحب من الأرض. والحقيقة التى لا تقبل جدالا هى أن الله سبحانه هو وحده منزل المطر ومنبت الحب، وفى ذلك يقول المولى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾﴾ [النبأ]. ويقول سبحانه: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾﴾ [عبس].

ويقول الخالق سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾﴾ [ق].

والنبات فى الآيات يشمل سائر أنواع النبات، أما حب الحصيد فهو القمح والشعير ونحو ذلك مما يحصد[1].

ويدلل القرآن الكريم على وحدانية الله فى مواجهة الشرك والمادية، وأكبر دليل ما يتجلى فى عالم الرزق للإنسان من تنوع واختلاف وتشابه. وفى ذلك يقول رب العزة: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام].

وما تشير إليه الآية الكريمة من أنواع الرزق للإنسان فى أصناف النبات المختلفة لا تدل على سعة الرزق فحسب، إنما تدل فى الوقت نفسه على بعدها عن

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ١٩٩. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الخامس ٨٨، ٣٣٠، ٣٥١ . كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الرابع ص ١١٤، ٣٣٠.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كل خبيث يؤذى الإنسان ويضره(١). والملاحظ أن الله تعالى ختم الآية الكريمة بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أى إن هذا كله دلالات على كمال قدرة الخالق وحكمته ورحمته.

وتشير الآية الكريمة إلى حقيقة علمية فى غاية الأهمية وهى أن ما يميز النبات عن غيره من الكائنات هو أنه ذاتى التغذية؛ بمعنى أنه يستطيع تكوين غذائه بنفسه والسبب فى ذلك هو احتواؤه على المادة الخضراء (الكلوروفيل) والتى تُسمى بالعربية (اليخضور). وليس دليلا على أهمية هذه المادة للحياة عمومًا وللنبات خاصة من أن القرآن الكريم يوجه إليها النظر حيث أنها تقوم بعمليات معقدة جدا. تعرف علميًا باسم «التمثيل الضوئى». وفى هذا يقول تبارك تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾(٢).

وتشير الآية الكريمة أيضا إلى أنه من عظيم فضل الله سبحانه على الناس أن أخرج لهم ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ أى متراكمًا كسنابل الحنطة وغيرها.

وإذا كان من بين بنى البشر من ينكر البعث والنشور فإن الله الذى لا يرضى لعباده الكفر يوضح لهم أن البعث وخروج الموتى من القبور له صور تحدث أمامهم كل يوم. ومن هذه الصور التى تحدث يوميًا أننا نرى الأرض هامدة ميتة لا شىء فيها من النبات، فإذا أنزل الله عليها المطر اهتزت الأرض وأنبتت وأخرجت رزقا لنا ولأنعامنا. وفى هذا يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [يس].

وتوضح الآية الكريمة أن دليل البعث والنشور والقيام بين يدى الله عز وجل للجزاء على الأعمال أن الأرض الميتة التى أنزل الله عليها المطر تنبت وتخرج لنا أنواع الزروع والحبوب(٣).

---

(١) تفسير سورة الأنعام لمحمد البهى ص ٩٥.

(٢) دنيا الزراعة وما فيها من آيات لعبد الرزاق نوفل ص ١٤٢ - ١٤٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الرابع ص ٢٢٥ . الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الخامس عشر ص ١٨.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويأخـذنا القرآن الكريم إلى صـورة أخرى جـميلة تبـين لنا علم الله الواسع الذى لا يدعيه أحد مهما كـان. فالله وحده هوالظاهر والباطن والبصير بكل شىء حـتى (الحبـة) تسقط فـى ظلمات الأرض أو فى الماء أو فى اليـابس يعلم مكانهـا ومستقرها، فهل من أحد يدعى هذا العلم؟. وفى ذلك يقول رب العزة والجلال:

﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٥٩)﴾ [الأنعام]

وفى شرح الآية الكريمة يُروى عن عبـد الله بن الحارث قال: ما فى الأرض من شجرة ولا مغـرز إبرة إلا وعليها ملك موكل بها يأتى الله بعلمـها فى رطوبتها إذا رطبت ويبوستها إذا يبست(١). والآية الكريمة أحـد الأدلة التى لا تحصى على مصدر هذا القرآن، فهذا الكلام ليس كلام بشر، وليس عليه طابع البشر. فمن من البشر يهتم بحـبة سقطت فى الماء وحملتها الأمواج؟. من يهـتم بهذه الحبة ويدعى أنه يعلم مكانها ومـستقرها؟. إن هذا علم الإله العالم العليـم. ويقول تعالى على لسان لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦)﴾ [لقمان].

وروى أن ابن لقمـان سأل أباه عن الحبة التى تقـع فى سفل البحر أيعلمـها الله؟ فراجعه لقمان بهذه الآية(٢). وتؤكد الآية الكريمة أن الله اللطيف الخبير عليم بمكان أى حبـة فى السموات أو فى الأرض وقادر على اسـتخراجها بلطـفه، فمن يدعى هذا العلم؟

ويخبر الله تعالى عن حكمه العدل وقضائه القسط بين عباده إذا جمعهم يوم القيامة، وأنه يضع لهم الموازين العادلة التى يبين فـيها مثاقيل الذرة الذى تُوزن بها الحسنات والسـيئـات فلا تظلم نفس شيـئًا. ويقـول رب العزة: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧)﴾ [الأنبياء].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثانى ص ١٢٨. تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الأول ص٤٠٣.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الرابع عشر ص ٤٥.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويخبر الله سبحانه وتعالى أنه العدل فلا يظلم نفسًا شيئًا، وإن كان وزن (حبة) من خردل ليجازى بها صاحبها[1].

والقارئ المدقق للقرآن الكريم يلاحظ أنه الله سبحانه وتعالى ذكر (الحب والحبة) فى مجال تذكير خلقه بنعمه عليهم، وفى مجال الإخبار عن كرمه، وعلمه، وقدرته، ووحدانيته وعدله.

الإنبات

تعتبر عملية إنبات البذور من أعقد العمليات التى تتم فى عالم النبات، وفيها تتجلى بوضوح قدرة الخالق العظيم. ومن قدرة الله سبحانه وتعالى وعلمه ورحمته أن الجنين الموجود فى البذرة يعتمد أثناء فترة الإنبات على الغذاء الذى خزنه له الله فى الفلقات فى حالة النبات ثنائى الفلقة، أو فى الإندوسبيرم فى حالة النبات أحادى الفلقة. وعندما تتكون الأوراق الفلقية وعندها فقط يستطيع النبات النامى القيام بعملية البناء الضوئى وتكوين غذائه بنفسه.

وتحدث فى البذور النامية ثلاثة أنواع من التغيرات. أولها التغيرات الفيزيائية والتى تتلخص فى دخول كميات من الماء للبذور بواسطة ظاهرة التشرب؛ وينتج عن ذلك انتفاخ البذور وازدياد حجمها، مما يؤدى إلى زوال التجعدات الموجودة عليها، وقد يؤدى إلى تمزق القصرة فى بعض الأحيان، وقد ترتفع درجة حرارة البذور نسبيا. وثانى هذه التغيرات هى التغيرات الكيميائية، وتتلخص فى تحول المواد الغذائية المخزونة فى البذرة من صورة غير ذائبة إلى صورة ذائبة سهلة الذوبان ويتم ذلك بواسطة الإنزيمات التى تفرزها أنسجة الجنين. أما التغيرات الحيوية التى تحدث أثناء عملية الإنبات فينتج عنها نشاط المرستيمات الأولية للجنين وانقسامها انقسامات متتالية. ثم تمر الخلايا الناتجة بمراحل النمو الأخرى من استطالة وتميز؛ حيث يظهر الجذير مخترقا حبيبات التربة إلى أسفل، وهو أول ما يظهر من البذرة،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثالث ص ٢٥٣. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الحادى عشر ص ١٩٥.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم تظهر الريشة على سطح التربة، وتتفادى خلال ذلك بطرق مختلفة أضرار احتكاكها بحبيبات التربة.

ولنجاح عملية إنبات البذور يجب توفر شروط هامة منها أن يكون جنين البذرة حيًّا، كما يجب أن تكون البذور ناضجة، فهى وحدها التى يستطيع جنينها الإنبات. ويجب توفر درجة حرارة ملائمة ورطوبة وأكسجين فهى من العوامل الخارجية التى تؤثر تأثيرًا كبيرًا على إنبات البذور.

وتختلف مراحل الإنبات حسب نوع النبات، ففى النباتات ذات الفلقتين يبدأ إنبات البذرة بامتصاصها للماء عن طريق النقير، فتنتفخ الفلقتان وتتمزق القصرة. ويخرج الجذير من الجزء الممزق من القصرة وينمو إلى أسفل، وتتكون عليه فيما بعد بعض الجذور الثانوية، وبهذا الشكل يتكون المجموع الجذرى فى النبات. ثم تنمو الريشة وتخترق حبيبات التربة متجهة إلى أعلى وتتكون عليها فيما بعد الأوراق، وبهذا الشكل يتكون المجموع الخضرى للنبات. ونتيجة لذلك تضمر الفلقتان حيث يستهلك الجنين الغذاء المخزون فيهما، وبعد أن تتكون الأوراق يقوم النبات بصنع غذائه بنفسه عن طريق عملية البناء الضوئى. وأثناء عملية الإنبات إذا بقيت الفلقتان تحت سطح التربة يُسمى هذا الإنبات «إنباتًا أرضيًّا». أما إذا ظهرت الفلقتان فوق سطح التربة يُسمى هذا «إنباتا هوائيا».

أما فى حالة النباتات ذات الفلقة الواحدة فيبدأ إنبات حبوبها بامتصاص الماء وانتفاخها ثم يتمزق غلاف الحبة. ويخرج الجذير من الغمد المحيط به، وينمو إلى أسفل، ويتكون عليه الجذور الجنينية. ثم تنمو الريشة وتخترق الغمد المحيط بها متجهة إلى أعلى، وتتكون عليها الأوراق؛ وبهذا الشكل يتكون المجموع الخضرى فى النبات، ويضمر نسيج الإندوسبيرم ثم يتلاشى فيما بعد؛ وذلك لاعتماد الجنين أثناء نموه على الغذاء المخزون فى هذا النسيج، وبعد ذلك تتكون الأوراق الخضراء فيستطيع النبات صنع غذائه بنفسه. وعندما يكتمل نمو النبات يتلاشى الجذير وتتلاشى الجذور الجنينية، ويتكون بدلا منها الجذور الليفية التى تخرج غالبا من قاعدة الساق.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

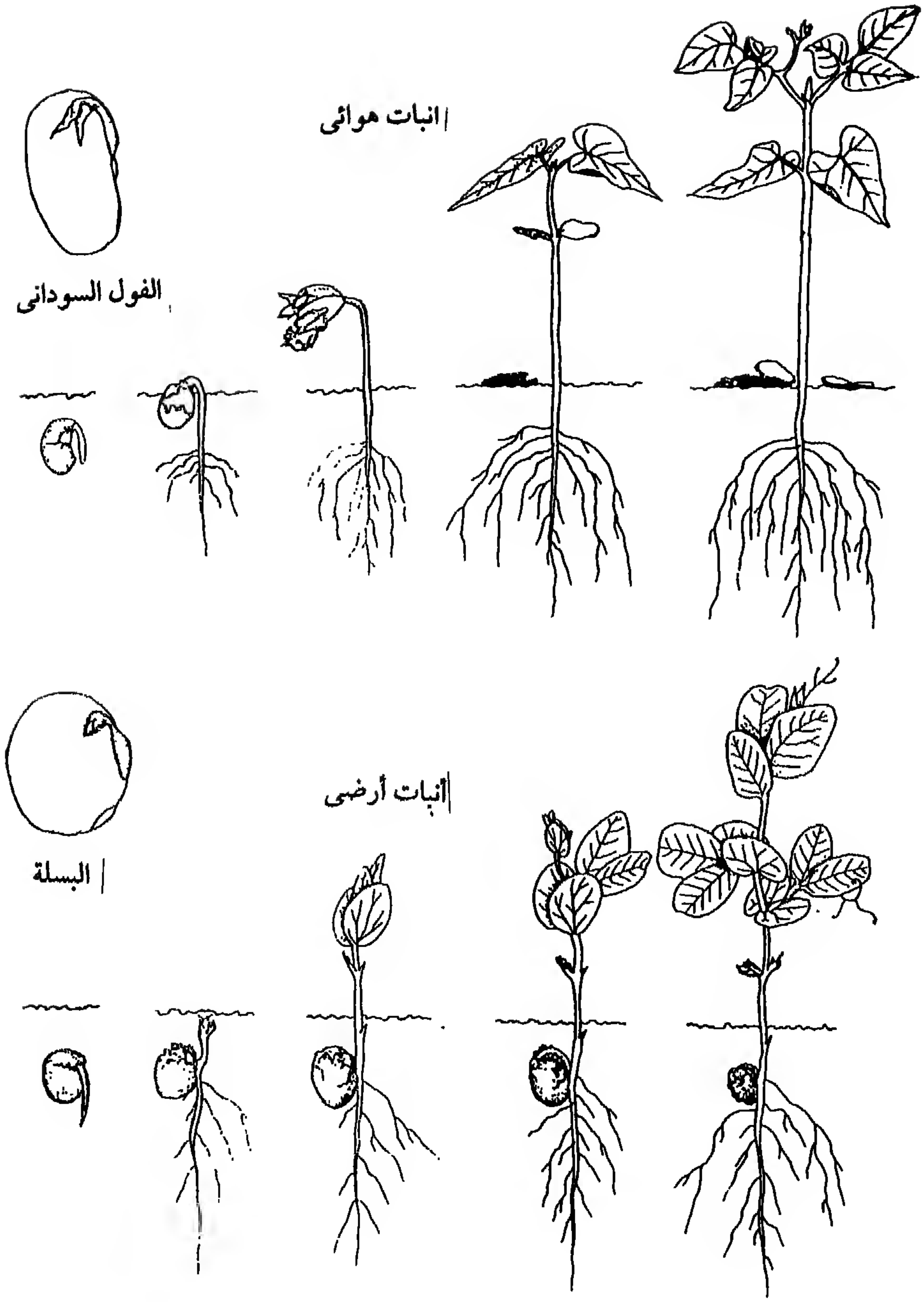

رسم تخطيطى توضح المراحل المتتالية فى عملية إنبات البذور

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

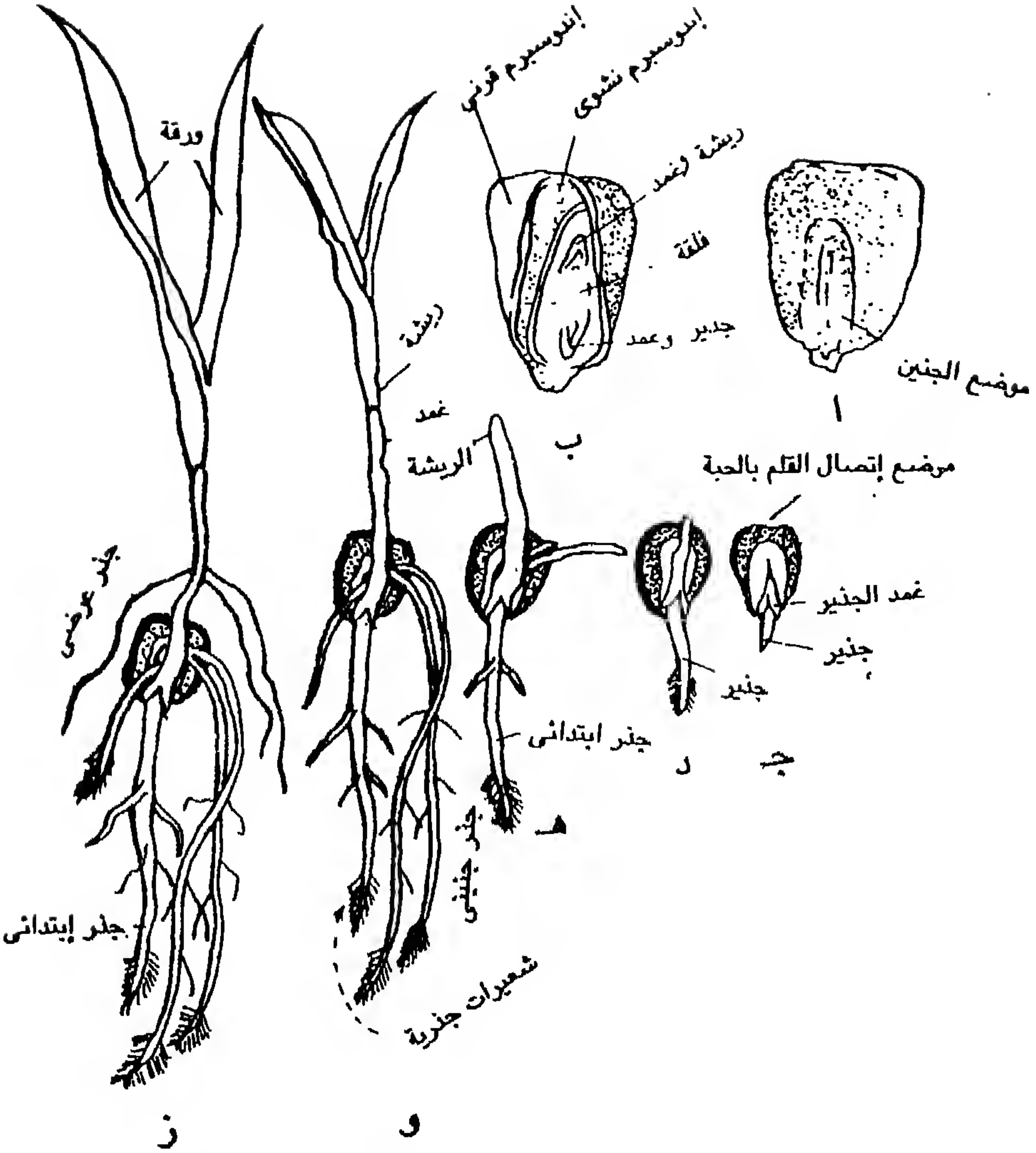

مراحل إنبات بذرة الذرة (نبات ذو فلقة واحدة)

الإنبات فى القرآن الكريم

الإنبات كعملية حيوية تحدث فى بذور النبـاتات تعتبر معجزة فى حد ذاتها، ولم يدّع أحد أنه ينبت لنا هذه الزروع والنبـاتات. والمنطق يقرر أنه لن يدعى أحد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذه القدرة لنفسه. والقارئ المدقق للقرآن الكريم يلاحظ أن المولى سبحانه وتعالى ذكر الإنبات وإخراج النبات فى مواضع كثيرة ونسبها إليه حيث يقول تعالى فى معظمها «أنبتنا».

ويُذكرالله سبحانه وتعالى عباده ببعض فضله عليهم فيقول: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾﴾ [الحجر]. ففى الآية الكريمة يُذكر رب العزة عباده ببعض نعمه عليهم، فهو الذى وسع الأرض سعة يتمكن الآدميون والحيوانات كلها من الانتشار بأرجائها والتناول من أرزاقها والسكون فى نواحيها، ومن فضله وعلمه أنه خلق الجبال العظام كأوتاد تمسك هذه الأرض أن تزول. ثم إنه عز وجل أنبت لنا من هذه الأرض كل شيء موزون ومحسوب بحساب دقيق تحتار فيه العقول[1].

ودارس علم النبات يعلم أن الشجر وسائر النبات يحتاج إلى التوازن لأمرين أساسين: أولهما قيام الأشجار والفصائل النباتية على وجه الأرض فتمتد بنموها إلى العلو بقدر امتداد جذورها فى باطن الأرض للتماسك والثبات. وثانيهما أن الجذور تمتص الماء والأملاح من التربة، ثم ينتقل الماء وما به من أملاح عبر خلايا الخشب إلى كل جسم النبات. أما فى الأوراق فتتم عملية البناء الضوئى ويتكون الغذاء الذى يتوزع على جميع أجزاء النبات عن طريق أنسجة اللحاء. وبهذا التعادل فى النقطتين السابقتين يكون التوازن البديع الذى نطقت به الآية الكريمة ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾.

ومن أجمل ما قرأنا فى هذا الموضوع ما كتبه الشيخ المراغى فى تفسيره فقال: إن كل نبات قد وزنت عناصره وقدرت تقديرا، فترى العنصر الواحد يختلف من نبات عنه إلى آخر بوساطة امتصاص الغذاء من العروق الضاربة فى الأرض، ومنها يُرفع إلى الساق والأغصان والأوراق. والذى حد هذا الاختلاف تلك الفتحات الشعرية التى فى ظواهر الجذور وثقوب كل نبات لا تسع إلا المقدار اللازم لها من العناصر وتطرد ما سواه، لأنه لا يلائمها إذا هى قد كونت على هيئة خاصة بحيث لا تبتلع إلا تلك المقادير بعينها. وهناك عنصر البوتاسيوم مثلاً نراه

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثانى ص ٥٠٢. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء العاشر ص ١٠. تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الأول ص ٥٢٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يدخل فى حب الذرة الذى نأكله بمقدار ٣٢٪ من العناصر، وهو فى القصب ٣٤,٤٪ وفى البرسيم ٣٤,٦٪ وفى البطاطس بمقدار ٦١,٥٪، وبهذا التفاوت صلح القصب لأن يكون سكراً، والبرسيم لأن يكون قوتًا للبهائم، والذرة والبطاطس لأن تكون قوتا للإنسان(١)، وصدق الله حين يقول: ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾.

والحقيقة أن معجزة إنبات النبات وإخراجه من الأرض وجعله ذكرا أو أنثى أما منفصلين كما فى بعض فصائل النبات، وإما مجتمعين كما هو الغالب فى عالم النبات تحتاج من الإنسان بصر وبصيرة؛ ولهذا ينبهنا ربنا سبحانه إلى النظر والتأمل فى نعمه علينا فيقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [الشعراء].

يقول المفسرون: فى تفسير فى قوله تعالى ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: من كل صنف من النبات فيشمل ذلك الأقوات والفواكه والأدوية والمرعى أيضا. ووصفه الله بـ ﴿زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ أى كريم بما فيه من حياة صادرة عن الله الكريم... واللفظ يوحى إلى النفس باستقبال صنع الله بما يليق من التكريم والحفاوة والاحتفال(٢).

ويقول تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ۝٣٢﴾ [عبس].

ونلاحظ أن الآيات بدأت بقوله تعالى ﴿فَلْيَنظُرِ﴾ للدلالة على أن إنبات النبات من الأرض يحتاج إلى نظر وبصر وبصيرة.

ولأن الله يحب لعباده الإيمان ولا يرضى لهم الكفر؛ فإنه ينبههم إلى قدرته العظيمة على خلق السموات والأرض وإنزال المطر وإنبات النبات فيقول رب العزة: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝١٠﴾ [لقمان].

---

(١) تفسيرالمراغى للمراغى، الجزء الرابع عشر ص ١٥.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الثالث عشر ص ٦٢.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والنص القرآني يقرر أن الله أنبت النبات أزواجًا وهى حقيقة علمية اهتدى إليها العلم حديثًا[1]. ويقول سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يس].

وتبدأ الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ﴾ أى تنزيه الله عن كل نقص وعيب وتعظيم قدرته، وختم الله الآية بقوله: ﴿مِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ مما يدل على أن هناك أزواجًا خلقها الله نعلم بعضها ويخفى عنا منها الكثير. وهذا حق وصدق؛ فاليوم نحن نعلم أن هناك أزواجًا من الشحنات الكهربائية، ونعلم أن هناك البروتون الموجب والإلكترون السالب. . .إلخ. وكل هذا لم يكن معلوما لأجدادنا، وسيظل هناك الكثير غائبا عنا ربما يظهره الله لأحفادنا.

وفى آية هى من أجمل آيات القرآن الكريم - وإن كان كله جميلا - يبين الله سبحانه وتعالى أنه وحده الإله الحق المستحق للعبادة، وأن عبادته هى الحق وعبادة ما سواه باطل، فيقول تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [النمل].

وفى الآية يُذَكِّر الله تعالى خلقه بأنه هو الذى خلق السموات والأرض، وأنه هو الذى يُنزل لنا المطر فأنبت لنا بساتين ذات منظر بهيج. ولننظر إلى آثار الإبداع فى الحدائق ونمجد الصانع الذى أبدع هذا الجمال، وننظر إلى ألوان زهرة واحدة من صنع كل هذا الجمال؟. وفى الآية الكريمة ينفى الله عز وجل عملية الإنبات عن غيره فيقول تعالى: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ فهل من شريك مع الله يدعى أنه فعل هذه الأشياء[2].

وكما هو معروف فإن كثيرًا من الناس ينكر البعث والنشور، وقضية الإنكار هذه قضية أزلية تتكرر فى كل العصور. إلا أن الله الرحمن الرحيم بعباده والذى

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثالث ص ٤١٤. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الرابع عشر ص ٤٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الثالث ص ١٤٧. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الخامس ص ٢٦٥٦. معانى القرآن للفراء، الجزء الثانى ص ٢٩٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يحب لهم الإيمان يعطيهم أمثلة واضحة تؤكد حقيقة البعث والنشور، وهذه الأمثلة تتكرر يوميًّا أمام أبصارهم.. فمن منا لم يرى الأرض الميتة القاحلة وهى تنبت لنا النبات بعد سقوط المطر، فمن أخرج هذه النباتات من الأرض؟ إن الذى أخرجها لهو القادر على إخراج الموتى يوم القيامة. وفى هذا يقول المولى عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٥﴾ [الحج].

يقول ابن كثير وغيره: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ أى دليل آخر على قدرته تعالى على إحياء الموتى كما يحيى الأرض الميتة الهامدة المقحلة التى لا ينبت فيها شىء. فإذا أنزل الله عليها المطر اهتزت أى تحركت بالنبات، وحيت بعد موتها، وربت أى ارتفعت لما سكن فيها الثرى، ثم أنبتت ما فيها من مختلف الثمار والزروع مختلف ألوانها وأشكالها وطعومها وروائحها ومنافعها. ثم أعقب الله تعالى بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ [الحج]. أى أنه الخالق المدبر الفعال لما يشاء فهو القادر على أن يعيد الموتى من العدم[1]. ولنا أن نتأمل افتتاح الآيات بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ﴾ وختامها بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾[2]. ياربنا ما هذا الجمال!.

يقول الأستاذ/ محمد على الصابونى فى كتابه «البيان فى علوم القرآن»: إن من خصائص أسلوب القرآن أنه يخاطب العقل والقلب معا، ويجمع الحق والجمال معا، وانظر إليه وهو حين يقيم الدليل العقلى على البعث والنشور فى مواجهة المنكرين والمكذبين، كيف يسوق استدلاله سوقًا يهز القلوب هزًّا، ويمتع العاطفة

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثالث ص ١٩٧ كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الثالث ص ٧٦.

(٢) ملاك التأويل للعاصمى، الجزء الثانى ص ٨٥٨.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إمـتاعـا، وتأمل هذا الأسلوب البـارع الذى أمتع العـقل، وأمـتع العاطفـة فى آن واحد. وتعال نقرأ قول الله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝٩ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ۝١١﴾ [ق]

وتبين الآيات الكريمة أن الأرض وهى الأكثر جمـودًا وخمودًا ينبت الله فيها أنواع النباتات فتنمو وتتزايد، فكذلك الإنسان تعود إليه الحياة(١).

والقـارئ المدقق للقـرآن الكريم يلاحظ ورود ألفـاظ مخـتلفة مـشـتقـة من (الإنبـات). فلفظ (تنبت) مثـلا أورده الله سبـحانـه على لسان بنى إسـرائيل فى جدالهم الشهير مع رسول الله موسى - عليه السلام - والذى سجله الله عليهم فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝٦١﴾ [البقرة]. ولعلنا نلاحظ أن حـوار بنى إسـرائيل مع موسى عليـه السلام كان جافًا فظًا يفتقـر إلى الأدب فقالوا: ﴿مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ﴾ فنسـبوا الإنبـات إلى الأرض رغم علمـهم أن الله هو صاحب الأرض وصـاحب النبات.

وورد لفظ «تنبت» أيضا فى قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ۝٢٠﴾ [المؤمنون].

وسوف نتعرض لشرح هذه الآية الكريمـة بشىء من التفصيل إن شاء الله فى الفصل الأخير من هذا الكتاب عند الحـديث عن نبات (الزيتون). أما لفظ «أنبتت» فقد ورد فى قوله سـبحانه وتعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ

(١) مناهج الجدل فى القـرآن الكريم لزاهر الألمعى ص ٥ ، ٣٠٣، ٣٠٨. مناهل العرفـان للزرقانى، المجلد الثانى ص ٣١٤ تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء السابع ص ١٤٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [البقرة]. ولقد تعرضنا لشرح هذه الآية فى مجال الحديث عن موضوع (الحبة).

وجاء ذكر لفظ ﴿أنبتها﴾ و﴿أنبتكم﴾ فى القرآن الكريم كتعبير مجازى فقال تعالى فى سورة آل عمران فى سياق الحديث عن العذراء مريم عليها السلام: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران].

وقيل فى تفسير ﴿وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾: سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان(١).

أما فى سورة نوح وفى مجال الحديث عن عناد قومه، وعن الأدلة التى ساقها نوح عليه السلام لقومه ليبين لهم أن الله هو الإله الحق، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ﴾ [نوح].

ومن الآيتين الكريمتين نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى شبه نشأة الإنسان من الأرض بالإنبات، وهو تعبير غريب موح يستدعى النظر والتأمل، ويدل فى الوقت نفسه على الوحدة بين أصول الحياة على وجه الأرض، وأن نشأة الإنسان من الأرض تشبه نشأة النبات(٢).

الساق

الساق هو ذلك الجزء من النبات الذى ينمو غالبا فوق سطح التربة، وينتج من نمو الريشة فى جنين البذرة، ويعتبر الساق المحور الرئيس للمجموع الخضرى،

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الرابع ص ٤٥.

(٢) فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد السادس ص ٣٧١٤. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٣٨٤. صفوة التفاسير للصابونى، المجلد الثالث ص ٤٥٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد ينمو من البراعم الجانبية سوق فرعية فى الهواء. كما أن سيقان نباتات أخرى كالبطاطس تنمو جزئيا تحت سطح التربة.

والسيقان النباتية شديدة التباين فى مختلف أنواع النبات؛ فمن حيث الشكل يبلغ طول سيقان بعض النباتات أكثر من ١٠٥م وعرضها ٣,٥م، وفى بعض النباتات الأخرى مثل الكرنب والخس تكون السيقان قصيرة والأوراق كبيرة لدرجة يبدو معها أنه ليس ثمة سيقان على الإطلاق. ومن حيث الملمس تبدو سيقان بعض النباتات عارية من الأشواك أو الشعيرات مثل الفول أو الكافور، وقد يكون شوكيا حيث يُزود الساق ببعض الأشواك الحادة كما فى نباتات التمرحنة والسنط. وقد يكون الساق مُشعرًا أى مغطى بشعيرات متباعدة وقصيرة ورقيقة مثل نبات تبّاع الشمس، أو قد يكون الساق زغبيا أى تكسوه طبقة من الشعيرات القصيرة والرقيقة بحيث تكسبه لونًا أقرب إلى البياض كما فى نبات المنثور.

ويمكن تصنيف السيقان الهوائية من حيث قدرتها على الاستقامة إلى قسمين: سيقان قائمة قوية، وهى التى تنمو قائمة مستقيمة، وبشكل رأسى؛ وذلك لكثرة الأنسجة الدعامية بها. وسيقان ضعيفة وهى لا تقوى على النمو فى وضع قائم، بل تحتاج إلى سند أو دعامة. ومن أنواع السيقان الضعيفة: السيقان المتسلقة مثل ساق العنب التى تلتف حول الدعامة وتثبت نفسها بالمحاليق. والساق الملتفة التى تلتف حلزونيًا حول الدعامة كالعليق. والساق الزاحفة أو المدادة وهى التى تنمو وتمتد أفقيًا بمحاذاة سطح الأرض وتنتج نباتات جديدة عند العقد التى تلامس سطح الأرض مثل البطيخ والنعناع والفراولة.

والوظيفة الأساسية للسيقان هى إنتاج وتدعيم كلٌ من البراعم والأوراق والأزهار والثمار. وتحمل معظم السيقان الأوراق فى وضع يسمح باستقبال ضوء الشمس اللازم لصنع الغذاء، كما تقوم السيقان أيضا بتوصيل الماء والأملاح المعدنية من الجذور إلى الأوراق، كما يتم عن طريقها توصيل الغذاء المنتج فى الأوراق إلى بقية أجزاء النبات.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد تتحور سوق بعض النباتات فتأخذ أشكالاً خاصة لتؤدى وظائف معينة يحتاج إليها النبات. ففى بعض النباتات ذات الأوراق الحرشفية أو صغيرة الحجم والتى لا تفى باحتياجات النبات من الغذاء يتفلطح ساق النبات إلى ما يشبه الورقة ليقوم بعملية البناء الضوئى كما فى نبات السفندر. وفى النباتات الصحراوية لابد أن يُختزل السطح الناتج بسبب قلة موارد المياه، فيتحور الساق إلى أشواك لحماية النبات كما في نبات العاقول. كما قد يتحور الساق بغرض تخزين المياه والقيام بعملية البناء الضوئى كما في نبات التين الشوكى. أو قد يتحور الساق إلى محاليق لتساعد النبات على التسلق كما فى العنب.

وبعض النباتات تتغلب على الظروف المناخية غير الملائمة بأن تنمو سوقها تحت سطح الأرض حاملة البراعم والأوراق الحرشفية، وتظل البراعم كامنة في فصل الشتاء تحميها الأوراق الحرشفية حتى إذا جاءت ظروف النمو الملائمة فى الربيع نشطت البراعم ونمت وأنتجت فروعا هوائية خضراء تحمل الأوراق التي تقوم بعملية البناء الضوئى. وقبل انتهاء فصل النشاط الخضرى يبدأ النبات بتخزين المواد الغذائية في سوقه الأرضية لكى تتغذى عليها البراعم عند نشاطها فى الربيع القادم. وعلى ذلك تكون وظائف السوق الأرضية هي التعمير، والتخزين، والتكاثر الخضرى.

ومن ناحية أخرى تمد السيقان الإنسان بعدد من الأغذية، فالبصل والبطاطس والقلقاس هى فى الحقيقة سيقان. كما يُستخرج السكر من نبات قصب السكر والذرة السكرية.

ويستخدم الخشب الناتج من السيقان الخشبية في صناعة كم هائل من المنتجات مثل الأثاث، والورق، ومواد البناء، ويُستخدم الفلين الناتج من شجرة البلوط الفليني في عمل مواد العزل وأغطية الأرضيات، وسدادات الزجاجات. وتُنتج ألياف الأقمشة مثل الخيش والكتان من ألياف موجودة في لحاء بعض السيقان، وغير ذلك من الاستخدامات الطبية والصناعية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

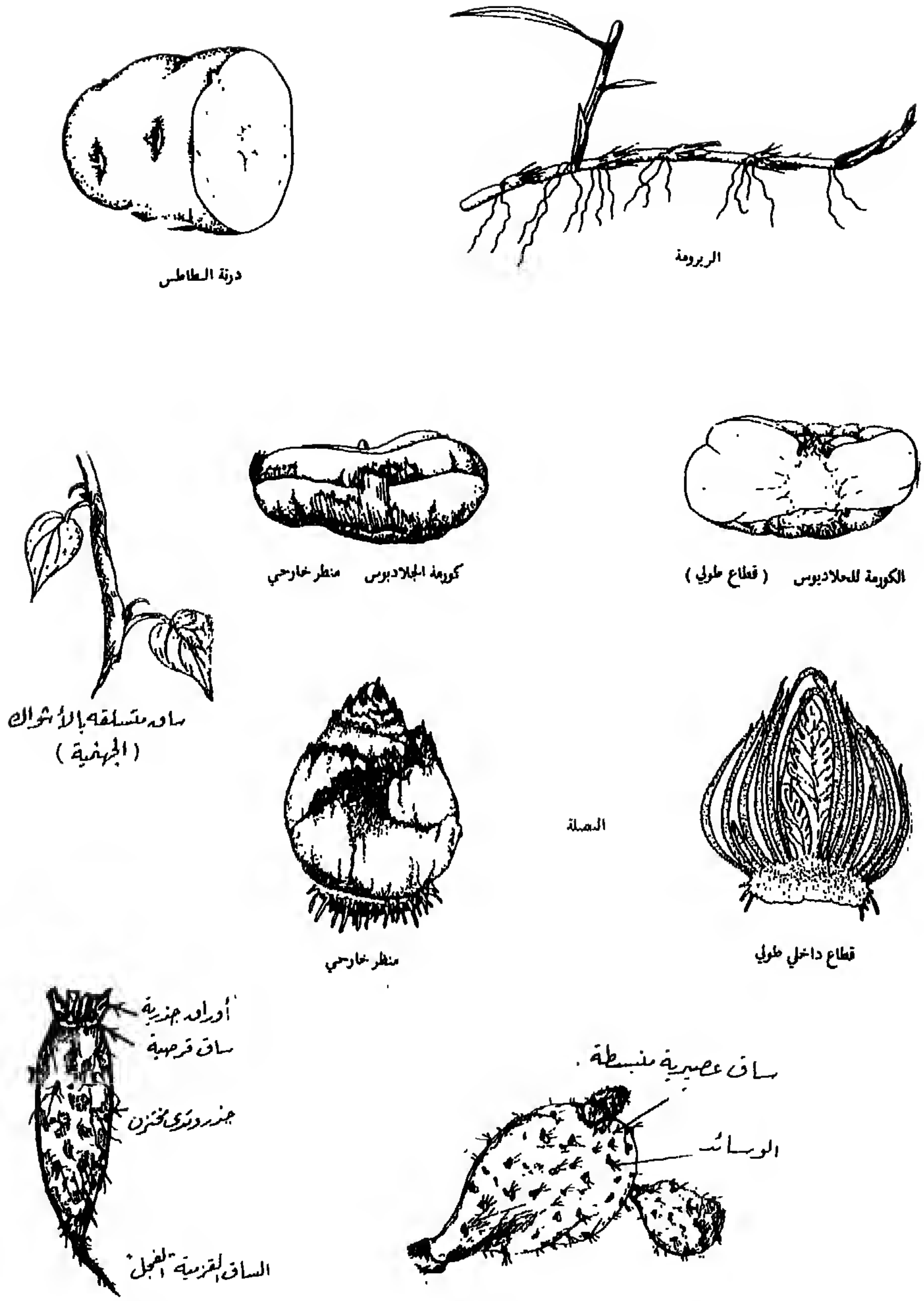

أشكال السوق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

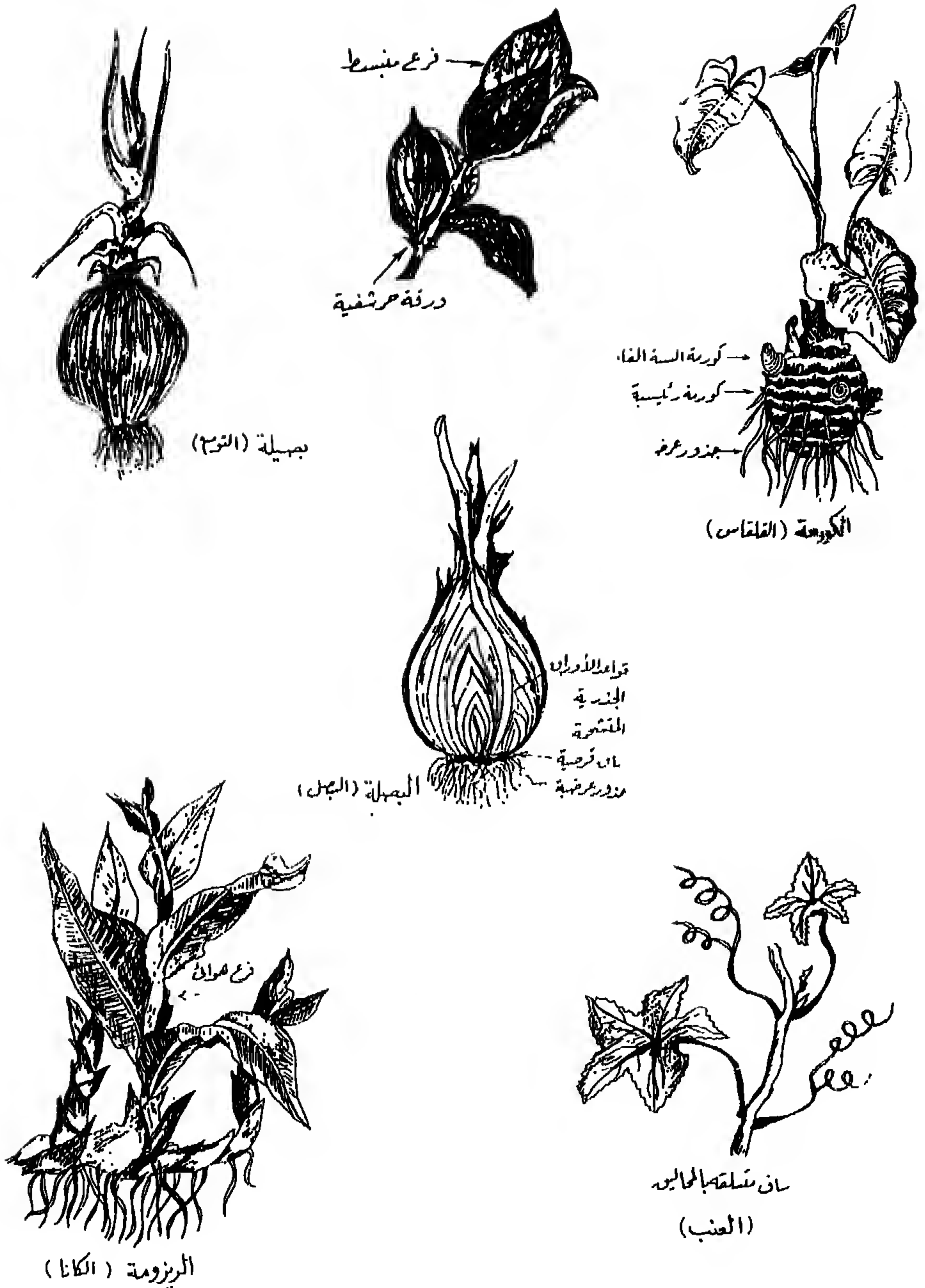

تابع أشكال السوق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الساق فى القرآن الكريم

ضرب الله سبحانه وتعالى أمثالاً كثيرة للناس فى القرآن الكريم. وهذه الأمثال تُبرز المعقول فى صورة المحسوس الذى يلمسه الناس فيتقبله العقل؛ لأن المعانى المعقولة لا تستقر فى الذهن إلا إذا صيغت فى صورة حسية قريبة إلى الفهم(١). ونحن هنا نخص بالذكر هذا المثل الذى ضربه الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم محمد ﷺ وأصحابه - رضى الله عنهم - حيث ورد لفظ (سوقه) - وهو جمع - في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

وتؤكد الآية الكريمة أن هذا المثل ليس مستحدثًا، فهو ثابت فى صفحة القدر، ومن ثم ورد ذكره قبل أن يجىء محمد ﷺ ومن معه إلى هذه الدنيا. وثابت فى التوراة والإنجيل فى بشارتهما بمحمد ﷺ ومن معه حين يجيئون(٢). ويقال مَثلُ رسول الله ﷺ وأصحابه أنهم قوم ينبتون نبات الزرع، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر(٣).

وقال المفسرون فى قوله تعالى: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾: هذا مَثلُ ضربه الله سبحانه وتعالى للإسلام؛ حيث بدا ضعيفا ثم قوى. وقيل الزرع مَثلُ للنبى ﷺ لأنه بُعث وحده وكان كالزرع حبة واحدة ثم كثر المسلمون وجعلوا يتزايدون وتدخل الجماعة بعد الجماعة، فهم كالشطء وهو فراخ السنبلة التى تنبت حول الأصل(٤). وقيل الصحابة - رضوان الله عليهم - هم

---

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد السادس ص ٣٣٣٢. مباحث فى علوم القرآن للقطان ص ٢٢٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء السادس عشر ص ١٩٤. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء السابع ص ١١١.

(٣) تفسير المراغى للمراغى، الجزء السادس والعشرون ص ١١٥.

(٤) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الرابع ص ١٠٢ . تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤١٤. صفوة التفاسير للصابونى، المجلد الثالث ص ٢٢٨.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كالزرع فى نفعهم للخلق فهم جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح[١]. وقيل: كزرع يعنى النبى ﷺ، (أخرج شطأه) بأبى بكر، «فآزره» بعمر، (فاستغلظ) بعثمان، (فاستوى على سوقه) بعلى بن أبى طالب[٢]. والله تعالى أعلم بمراده.

الورقة

الورقة هى ذلك الجزء الأخضر من النبات والتى تُحمل على الأفرع والسيقان. ولكن ليست كل الأوراق خضراء، فمنها الأحمر والأصفر والبنفسجى وغير ذلك.

والأوراق إما مستديمة على النبات وتموت بموته، أو تستمر فى نشاطها مدد تتفاوت تبعًا لنوع النبات والظروف البيئية. والنباتات التى تحتفظ بأوراقها خضراء طوال العام تسمى بالنباتات مستديمة الخضرة مثل أشجار الموالح. وقد تتساقط الأوراق خاصة عندما يحل الخريف والشتاء، وتُسمى النباتات عندئذ بمتساقطة الأوراق. ولكن عمومًا لا تسقط كل الأوراق فى وقت واحد، إذ إن لكل ورقة عمرًا محددًا وتختلف فترة الحياة فى الأوراق المختلفة.

وتُحمل الأوراق على السيقان فى أماكن تُدعى العقد. وتتكون الورقة من ثلاثة أجزاء أساسية هى القاعدة، والعنق، والنصل. فالقاعدة هى ذلك الجزء المتفخ الذى يصل الورقة بالساق. والزاوية المحصورة بين الورقة والساق تُسمى «إبط الورقة». وتوجد فى بعض النباتات زائدتان على جانبى القاعدة تدعيان بالأذينتين تساعدان فى حماية البراعم الإبطية. وتختلف الأذينات فى الشكل فهى شعرية كما فى الملوخية، أو ورقية كما فى البسلة، أو عادية كما فى الورد.

أما عنق الورقة فهو الجزء الطويل من الورقة الذى يحمل الورقة بعيدًا عن محور الساق لتأخذ ما تحتاجه من ضوء وهواء. وليست كل الأوراق ذات أعناق، فبعضها لاعنق له.

---

(١) مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٥٨٦. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الخامس ص ٦٦.

(٢) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الرابع ص ١٠٢.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونصل الورقة هو الجزء الأخضر المفلطح المحمول على العنق، ويؤدى النصل دوراً أساسيًّا فى عملية البناء الضوئى. وفى بعض الأحيان يكون النصل بسيطًا ومكونًا من قطعة واحدة فتسمى الورقة بسيطة، وهى إما غير مفصصة كالملوخية، والتوت والكتان؛ أو مفصصة إلى عدة فصوص بحيث لا يصل التفصيص إلى العرق الوسطى. وفى أحيان أخرى يكون النصل مقسما إلى عدة أجزاء مستقلة تُعرف بالوريقات، وتُسمى الورقة حينئذ بالورقة المركبة.

وتختلف الأوراق كثيرا فى الحجم، ويقل طول أوراق بعض النباتات وعرضها عن ٢,٥سم. وتنمو أكبر الأوراق، كأوراق بعض أنواع النخيل إلى ٢٠م فى الطول و٢,٥م فى العرض.

وهناك اختلاف وتباين فى أشكال الأوراق، فمنها الشكل الإبرى كأوراق الصنوبر، والشريطى كأوراق القمح، والأنبوى كما فى البصل، والبيضاوى كالتين، والقلبى كالأيبوميا، والملعقى كما فى الأقحوان، والمزراقى كأوراق العليق.

ويوجد أيضا اختلاف فى قمة الورقة، وحافتها، وتعرقها. فقمة الورقة قد تكون حادة أو مدببة كما فى الملوخية أو مدببة ومستطيلة قليلاً كما فى ورق التين، أو غائرة حيث تنخفض القمة عن مستوى الحافة كما فى أوراق خف الجمل.

أما حافة الأوراق فتكون إما مستوية بدون نتوءات مثل أوراق الكافور، أو بنتوءات كما فى الورد، أو تكون متعرجة، كما فى البلوط، أو شوكية كما فى نبات شوك الجمل.

أما تعرق الورقة فإما أن يكون شبكيًّا، وهو صفة تتميز بها النباتات ذات الفلقتين، أو أن يكون التعرق متوازيًا مع حافة الورقة، وهو ما يميز النباتات ذات الفلقة الواحدة.

وتتوزع الأوراق على السيقان بطرق مختلفة، فقد يكون التوزيع متبادلاً، حيث تخرج الأوراق من عقد متعاقبة على طول الساق كما فى الملوخية والقطن. وقد يكون التوزيع متقابلاً حيث تخرج ورقتان من كل عقدة بشكل متبادل كما فى الياسمين. وقد يكون التوزيع محيطًا بحيث تكون الوريقات موزعة حول الساق كما فى الدفلة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والورقة هى الجزء الرئيس لـتصنيع الغذاء فى الغالبيـة العظمى من النباتات. وتعتـمد أزهار الحدائق والنجـيليات والشـجيرات والأشـجار الكبيـرة والسراخس والخـضراوات والنبـاتات المعتـرشة والأعـشاب الضـارة وأنواع عديدة أخـرى من النباتات، تعتمد على أوراقها لتصنيع الغذاء لبقية أجزاء النبات[1].

وتعمل الأوراق كأنها مصنع صغـير للغذاء. وتحصل على الطاقة اللازمة من ضوء الشمس، وتستعملهـا فى تصنيع الغذاء من الماء الذى تحصل عليه من التربة، وثانى أكسيد الكربون الذى تحصل عليه من الهواء. ويمد هذا الغذاء النبات بالطاقة اللازمة للـنمو وإنتاج الأزهار وتـكوين البذور، ولتمـكن النباتات من أداء جـميع وظائفهـا الأخرى. وتخـتزن النباتـات الغذاء المصنوع بوساطـة الأوراق فى ثمارها وجذورها وبذورها وسيقانها، وحتى فى الأوراق نفسها.

وقد يتحور شكل الورقة فى نباتات معـينة لتأدية وظائف خاصة، ففى نبات التين الشوكى مثـلا تتحور الأوراق إلى أشواك لتأدية وظيفة الحـماية. أما فى نبات البازلاء فـتتحور الورقـة وتأخذ شكل المحاليق لتـساعد النبات على التـسلق. وقد تتشـحم الورقة لتختـزن الماء والمواد الغذائية كـما فى الصبـار. وفى النباتات أكلة الحشـرات تأخذ الأوراق أشكالاً شتى، وتكون مـغطاة بزوائد حساسـة تساهم فى اقتناص الفريسة كما فى نبات الدوسيرا.

ولأوراق النبات الصغيرة أيضًا أهميتـها، إذ تلتف بإحكام حول قمم السيقان النامية، وبذلك تحافظ على رطوبة هذه القمم الحساسة، وتساعد على حمايتها من الآفات الحشرية، والبرد، والأخطار الأخرى.

والأوراق ضرورية أيضـا للحيوانات، إذ إن الحيـوانات لا تستطيع أن تصنع غذاءها، وتـعتمـد على النبات لـتوفيـر غذائهـا الأساسى. والناس أيضـا يأكلون الأوراق، مثل أوراق الكرنب والخس والسـبانخ. ولكن حتى عندمـا يأكل الإنسان والحيوان ثمار وجذور وبذور وسيقان النباتات فهم يتناولون طعامًا مصنوعًا بوساطة الأوراق. وعليه فإنه يمكن القول أن الورقة الخـضراء هى مصدر غذاء لكل ما دب على الأرض من حيوان، وما طار فى الفضاء من طائر. ولولا الورقة الخضراء وما

(١) الموسوعة العربية العالمية. المجلد السابع والعشرون.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

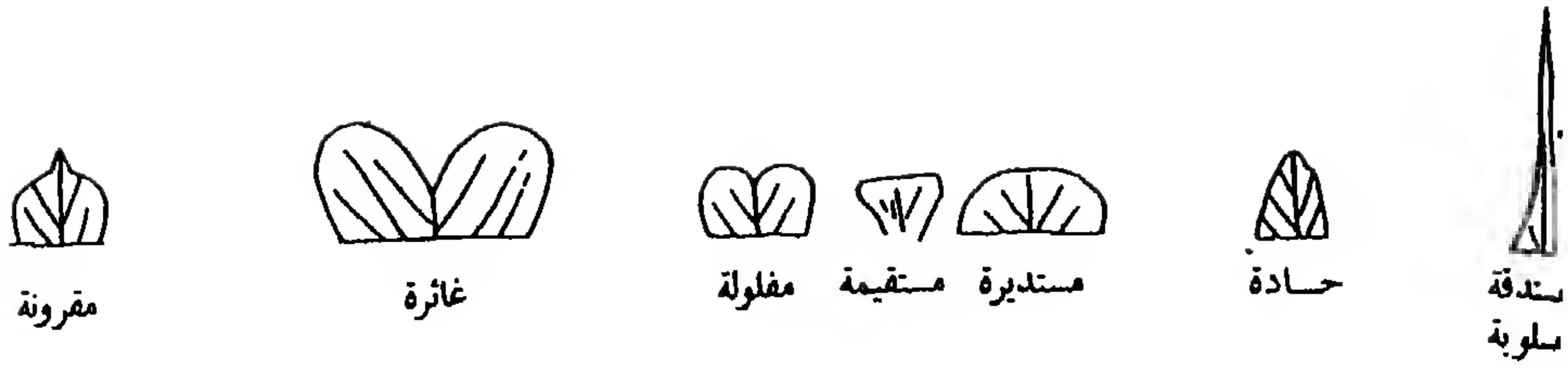

بعض أنواع القمم

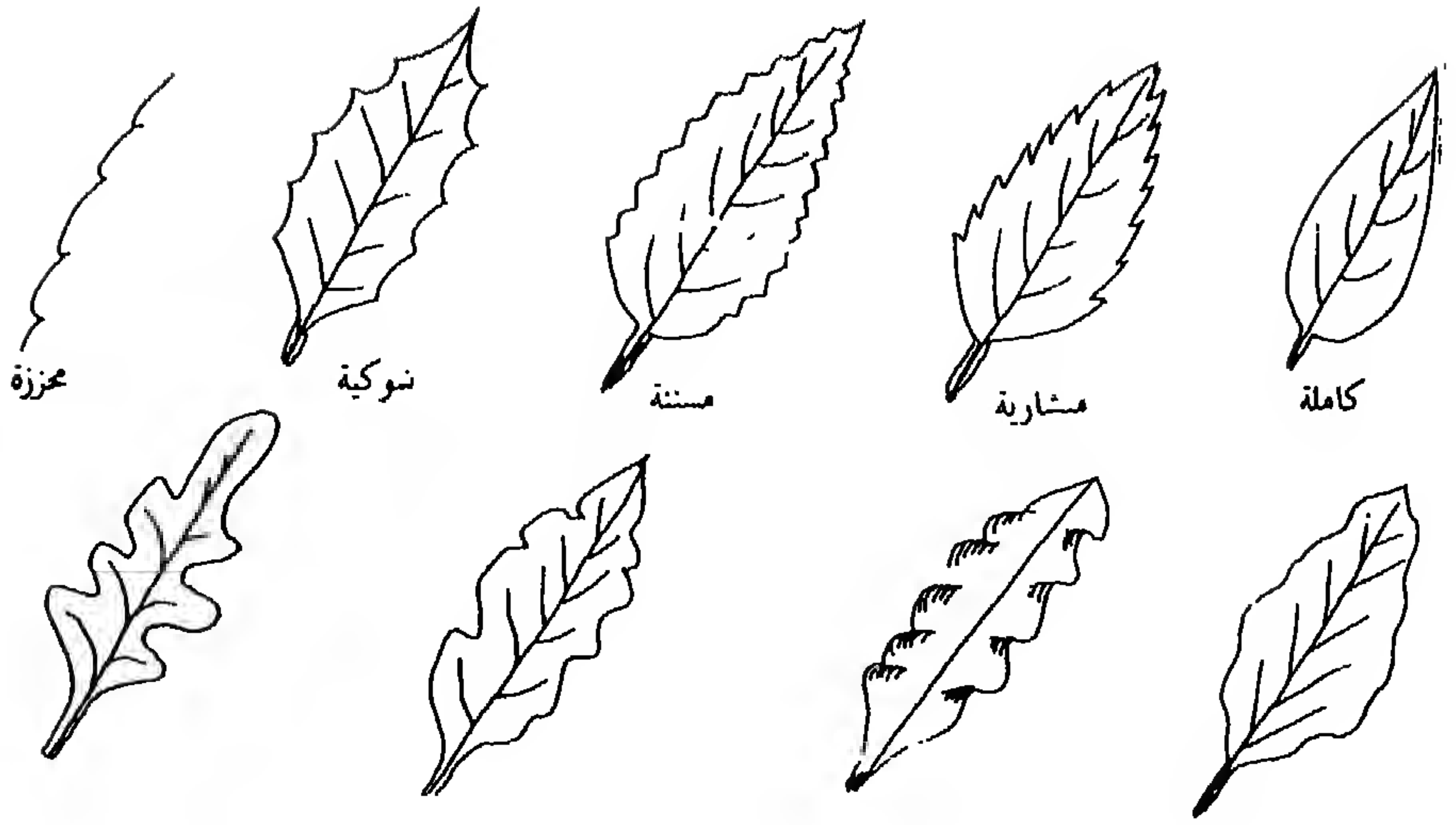

بعض أنواع الحواف

Converted by Tiff Combine

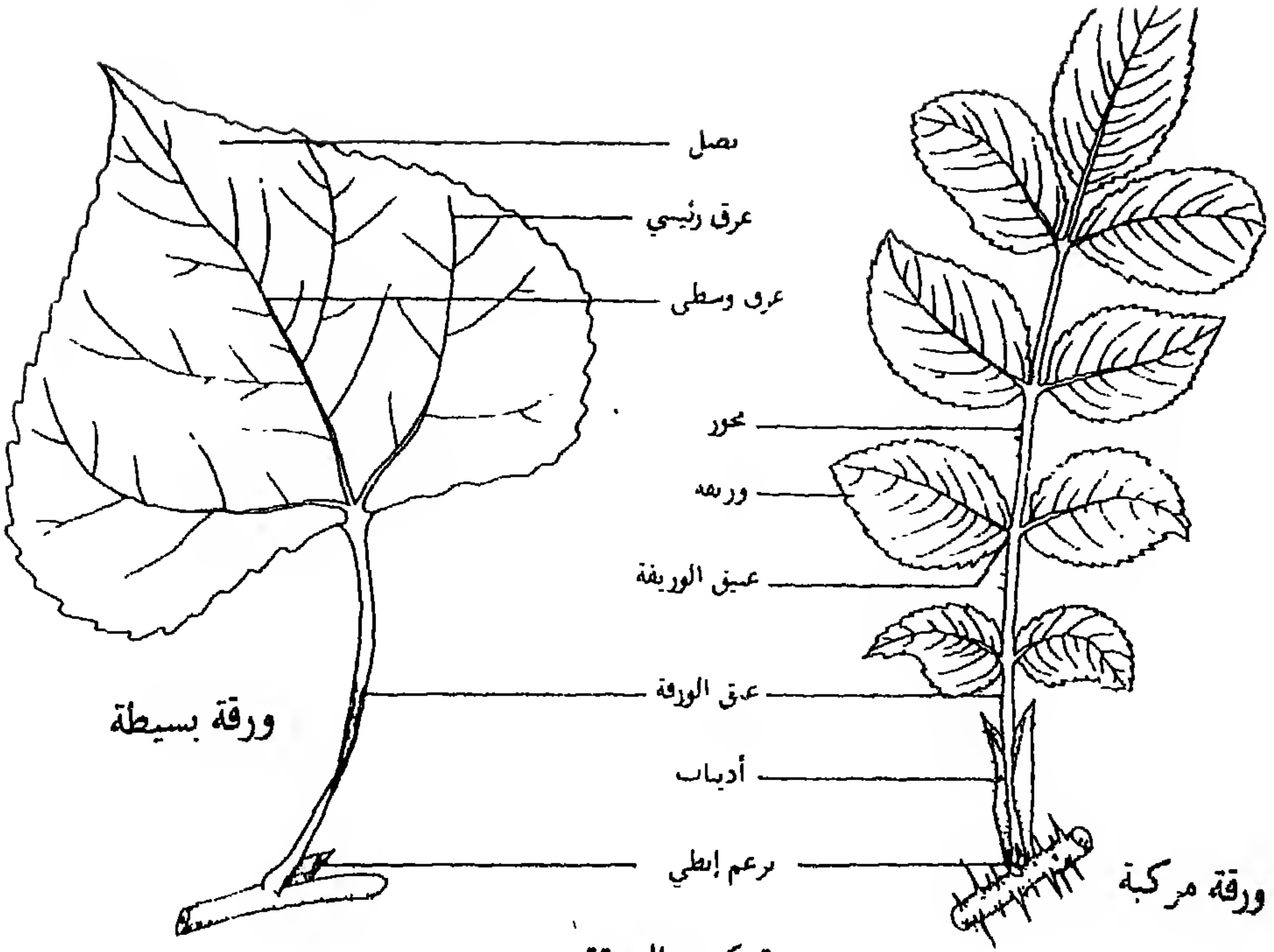

تركيب الورقة

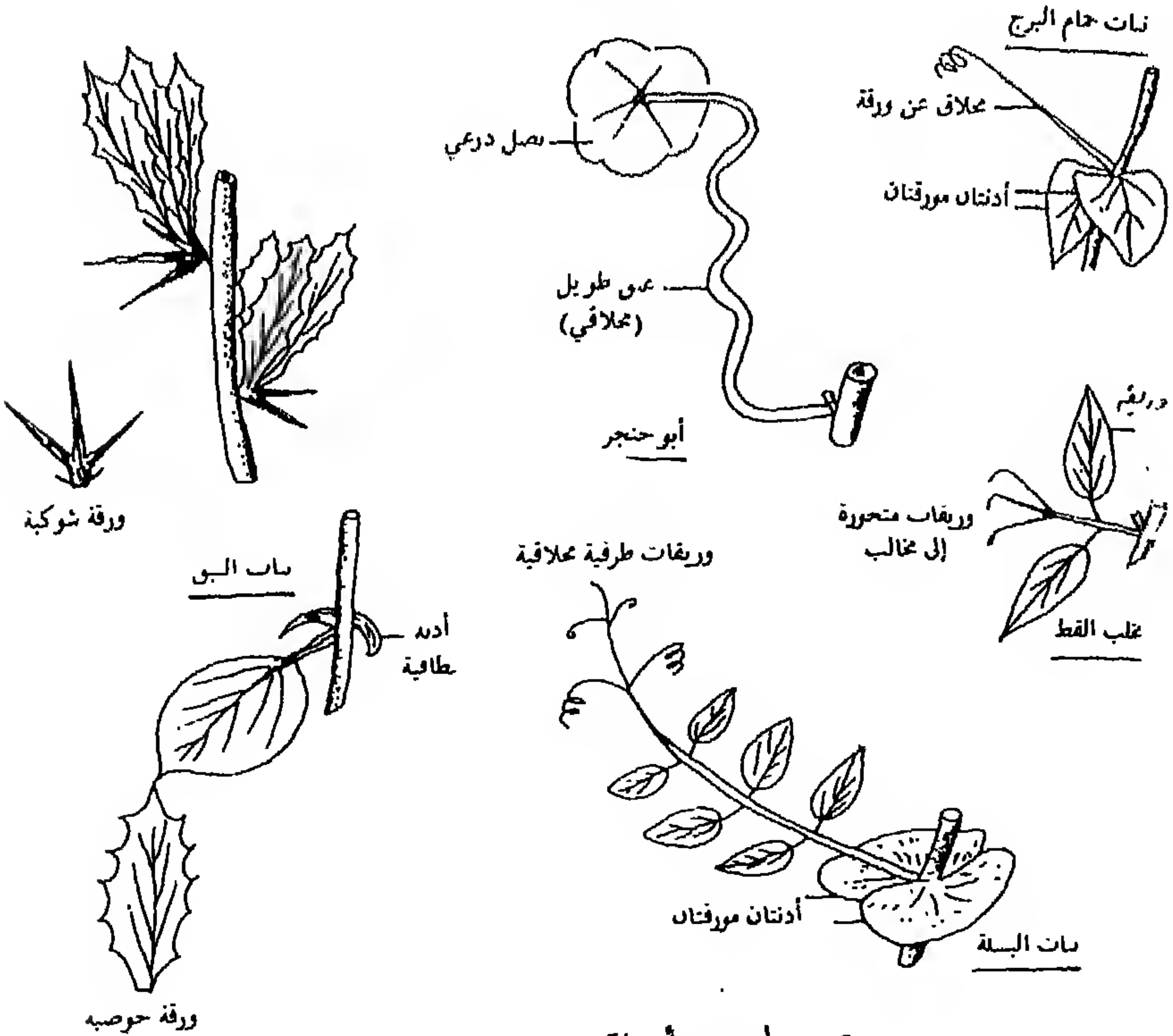

صور لتحور أوراق بعض النباتات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

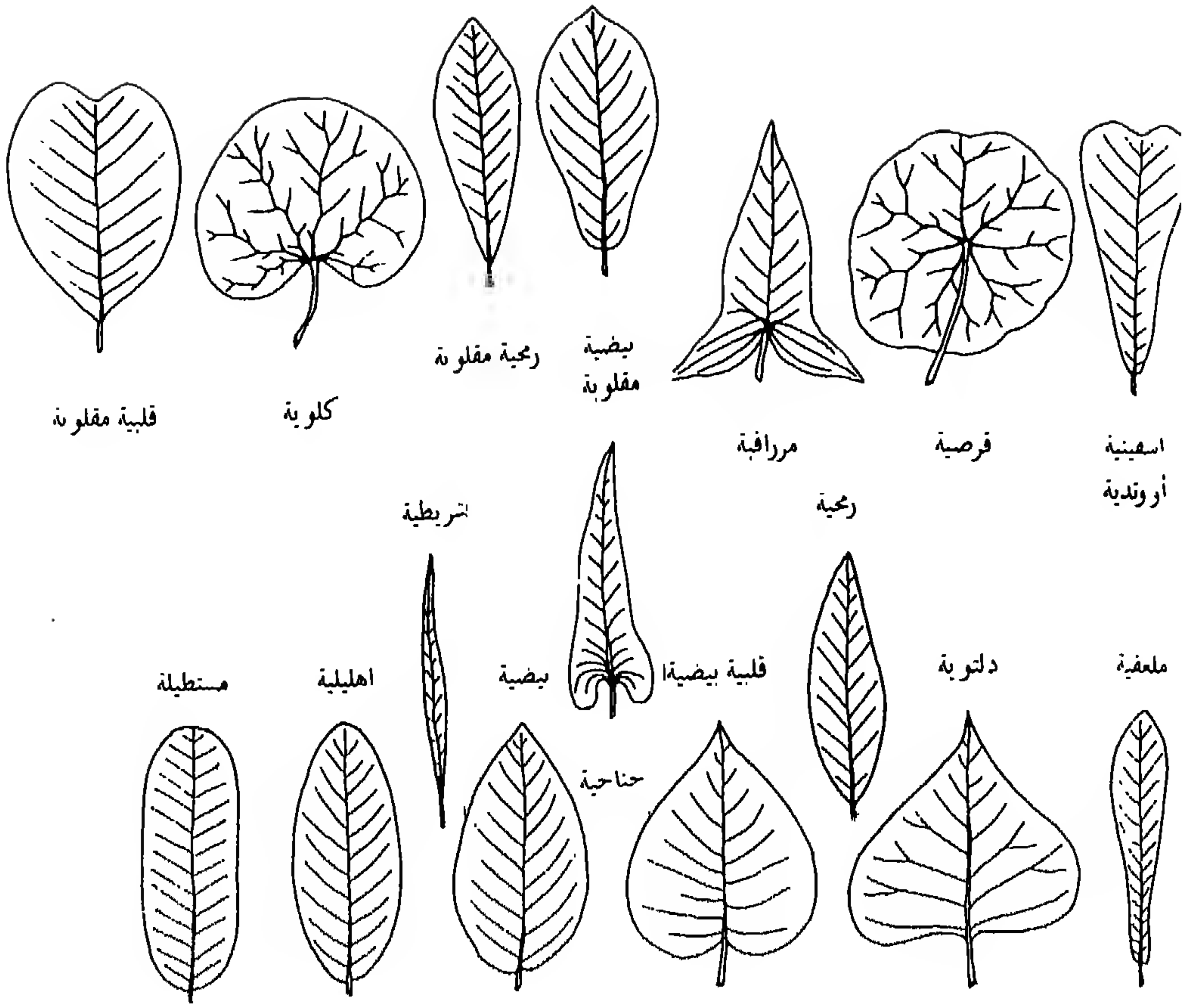

أشكال الورقة البسيطة

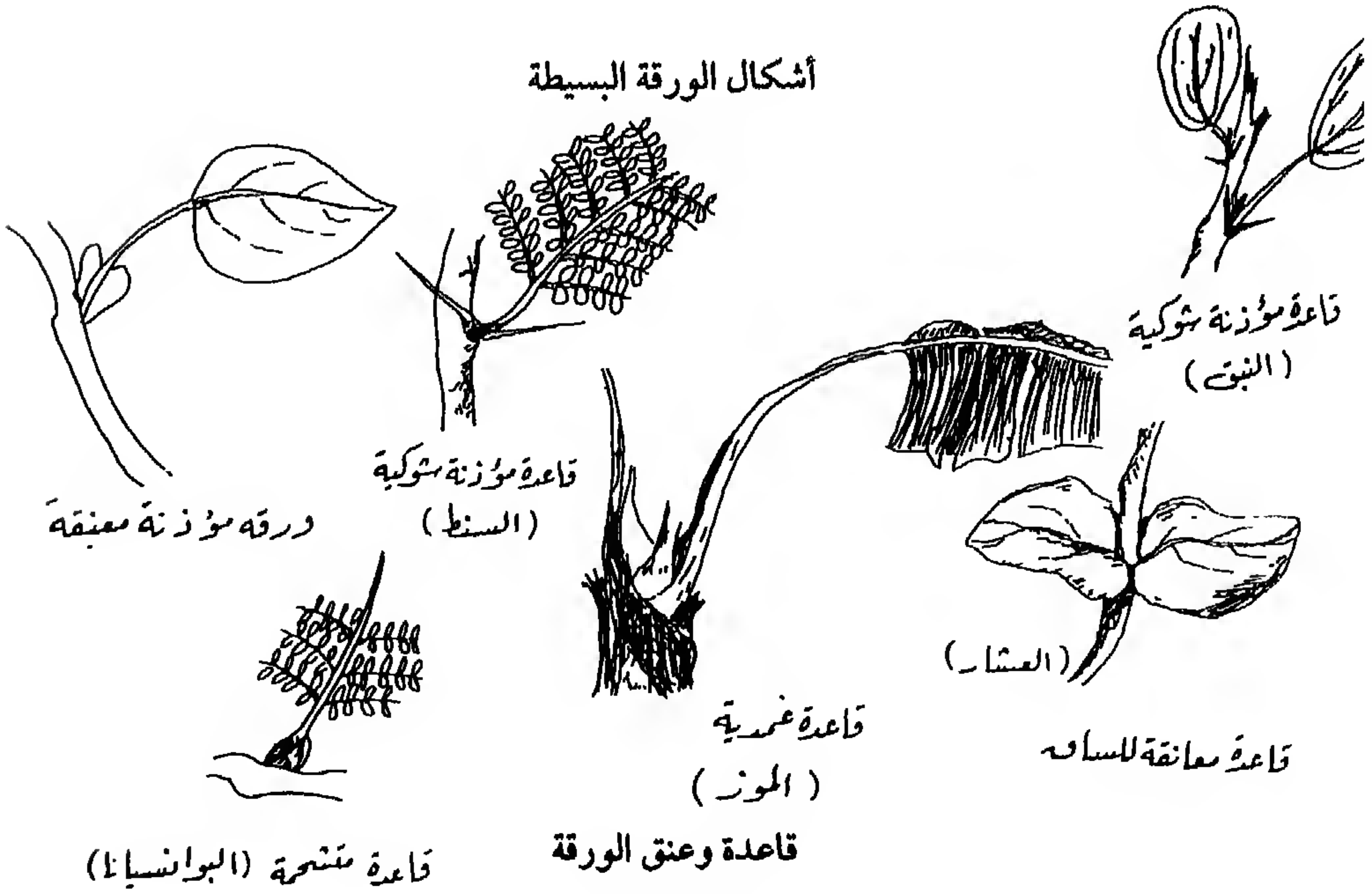

قاعدة وعنق الورقة

نماذج توزيع الأوراق

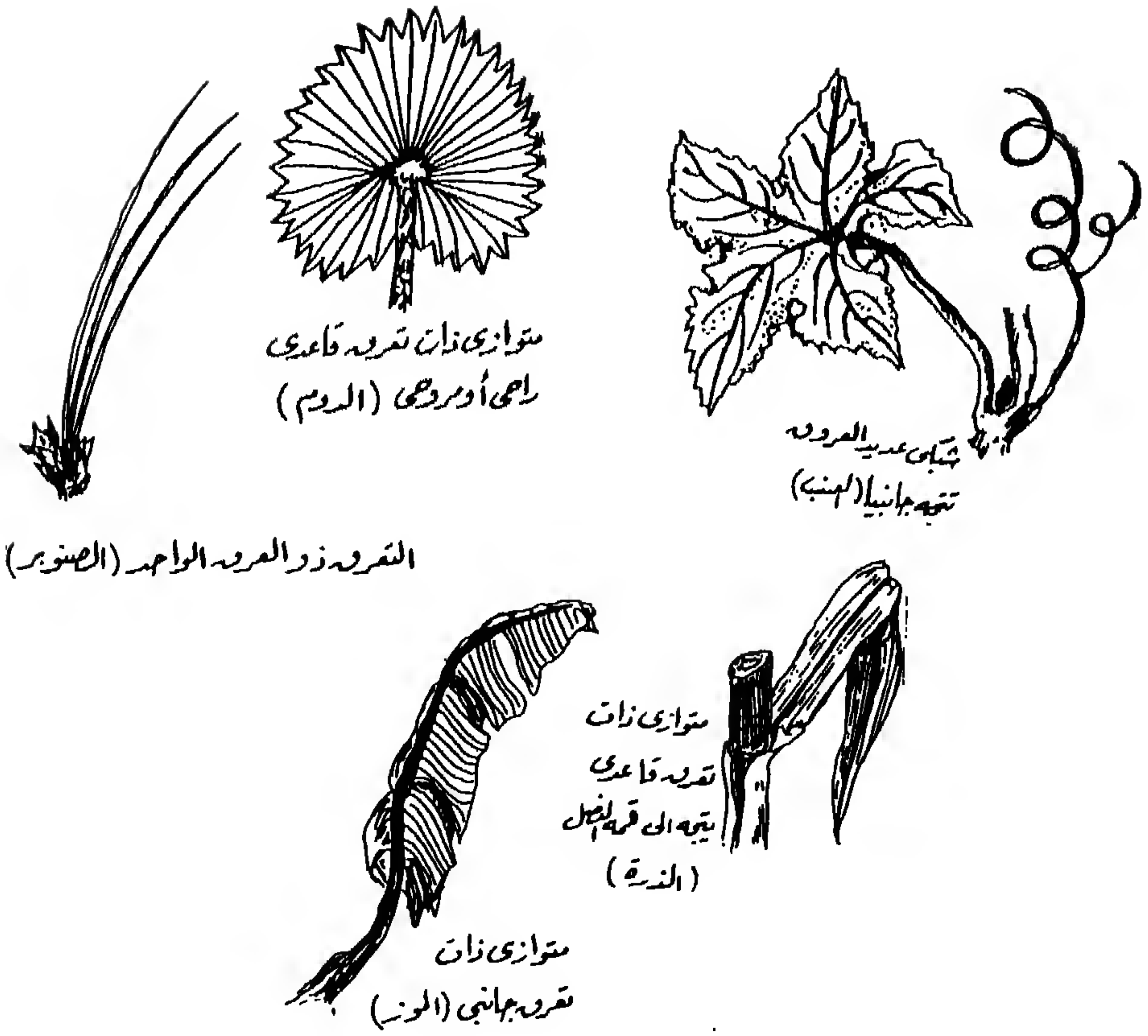

تعرق الأوراق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أنتجته من ثمر وحب لما وجد الحيوان غذاءه، ولما أعطانا لحمًا ولبنًا ودهنًا وبيضا[١].

وأوراق النبات هى التى تجعل الهواء صالحًا للتنفس، حيث تُطلق الأكسجين أثناء عملية التركيب الضوئى. ويجب أن يتوافر الأكسجين للإنسان والحيوان لكى يعيشا. وبدون العمليات التى تؤديها الأوراق تنفذ كميات الأكسجين المتوفرة للتنفس على سطح الأرض فى وقت وجيز.

وبالإضافة إلى الغذاء، على سبيل المثال، تُستعمل أوراق نبات الشاى لعمل الشاى الذى نشربه. وتحتوى أوراق النعناع الفلفلى والسنبلى على زيوت تستعمل لإعطاء نكهة لأنواع الحلوى. كما تُستعمل أوراق نبات الغار والزعتر فى الطبخ لإعطاء نكهة. وتُستخلص بعض الأدوية من الأوراق، وتُصنع من بعض الأوراق حبالاً. وأخيراً تستعمل أوراق نبات التبغ فى صناعة السجائر والسيجار ومنتجات التبغ الأخرى[٢].

الورقة فى القرآن الكريم

ورد لفظ (ورقة) بصيغة المفرد فى القرآن الكريم مرة واحدة، أما صيغة الجمع (ورق) فقد ورد مرتين. ففى بيان علم الله المحيط بدقائق الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الحوادث، يخبرنا الله سبحانه أنه وحده المتفرد بتدبير شئون عباده فى يقظتهم ومنامهم، فيقول الله عز وجل فى كتابه الكريم: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام]

ويخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه عليم بكل شىء حتى الورقة من أوراق أشجار البز أو البحر والبلدان والقفار يعلم أين وكيف ومتى سقطت[٣]. وفى

(١) الموسوعة العلمية المصورة للنشء الحديث لعز الدين فراج وآخرين.

(٢) الموسوعة العربية العالمية. المجلد السابع والعشرون.

(٣) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثانى ص ٣٢. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الثانى ص ٢٠.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تفسير قوله تعالى: «وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ» قال ابن عباس - رضى الله عنهما - هن خمس يجمعها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾(١) [لقمان].

وفى تفسير قوله تعالى: «وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا» قال ابن عباس - رضى الله عنهما - «ما من شجرة فى بر ولا بحر إلا وملك موكل بها يكتب ما يسقط منها» رواه ابن أبى حاتم. وقال رضى الله عنه: خلق الله النون وهى الدواة وخلق الألواح، فكتب فيها أمر الدنيا حتى ينفض ما كان من خلق مخلوق، أو رزق حلال أو حرام، أو عمل بر أو فجور، ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٢). ولقد وفت هذه الآية بتفاصيل المغيبات وحصرها والإحاطة بها بكل جهاتها، فكل جوانب الحياة التى تحيط بالإنسان هى فى متناول علم الله وحده، وأنه وحده عنده مفاتح الغيب، لا يعلمها أحد غيره كان ما كان(٣).

والحقيقة أن هذه الآية الكريمة إعجاز ناطق بمصدر القرآن، وتجزم بأن هذا كلام لا يقوله بشر فليس عليه طابع البشر. فمن منا اهتم أو سيهتم بالورق الساقط من الشجر فى كل أنحاء الأرض؟. إن هذه المسألة لا تخطر على بال الفكر البشرى، فمن يخطر بباله أن يتتبع الورق الساقط فى أنحاء الأرض؟. إن الذى يختص بكل هذا ويسجله هو صاحب المُلك الذى لا يغيب عنه شيء(٤) فسبحانك اللهم.

وفى تفسير قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا

---

(١) مصحف الشروق المفسر الميسر ص ١٤٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثانى ص ١٢٨.

(٣) تفسير سورة الأنعام لمحمد البهى ص ٦٦. ملاك التأويل للعاصمى، الجزء الثانى ص ١١٠٥. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء السابع ص ٤.

(٤) التصوير الفنى فى القرآن لسيد قطب ص ٢٣٦. فى ظلال القرآن، لسيد قطب، المجلد الثانى ص١١١٣. والمجلد الثالث ص ١٩٧١. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الثالث عشر ص ١١١.

Converted by Tiff Combine - (no stam, s are a, , lied by re, istered version)

فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام]. يقول الدكتور إبراهيم الكيلانى فى كتابه «تصور الألوهية كما تعرضه سورة الأنعام تبين هذه الآية الكريمة شمول علم الله تعالى للكائنات جميعا، ما غاب عنا وما ظهر، وما دق وما استتر، كبيرها وصغيرها، كليها وجزيئها؛ فالله وحده هو الذى يستحق العبادة وهو وحده العليم بشئون خلقه، والمدبر لها، فلا تغيب عنه غائبة فى الأرض ولا فى السماء مهما كان أمرها ضئيلاً فى عيون الناس كورقة شجرة من أشجار الأرض وغاباتها، أو حبة صغيرة غابت فى بطون الأرض[١].

ويُستفاد من الآية الكريمة أن علم الله سبحانه وتعالى شامل لجميع الكائنات كبيرها وصغيرها، دقيقها وجليلها، ولا يغيب عن الله شىء من خلقه، فهو سبحانه قد أحاط بكل شىء علما.

وورقة الشجر جمعها ورق وأوراق، وورقت الشجرة أى أخذت ورقها، والوارقة: الشجرة الخضراء[٢]. وجاء لفظ (ورق) فى القرآن الكريم بصيغة الجمع فى سياق إخبار الله سبحانه وتعالى عن حال آدم وزوجه حواء - عليهما السلام - بعد أن أكلا من الشجرة التى حرمها الله عليهما فى الجنة فقال تعالى: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [طه].

والآيتان الكريمتان توضحان حال آدم وزوجه - عليهما السلام - بعد أن أكلا من الشجرة حيث ظهرت عوراتهما بعد أن كانا مستورين، وشعرا بالخجل، وجعلا يخصفان على عوراتهما من أوراق شجر الجنة ليسترا بذلك. أى أنهما جعلا يرقعان ويضمان بعض الورق إلى بعض ليسترا عوراتهما[٣]. وقال مجاهد: جعلا يخصفان عليهما من ورق الجنة كهيئة الثوب. وقال وهب بن منبه: كان

---

(١) تصور الألوهية كما تعرضه سورة الأنعام لإبراهيم الكيلانى ص ٥٩، ٦٠.

(٢) المفردات فى غريب القرآن لأصفهانى ص ٥٢٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثانى ص ١٠٦ ص ٢٢٨. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الثالث ص ١٢٦٩، والمجلد الرابع ص ٢٣٥٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لباس آدم وحواء - عليهما السلام - نوراً على فروجهما لا يرى هذا عورة هذه، ولا هذه عورة هذا، فلما أكلا من الشجرة بدت لهما سوآتهما. وقال النورى عن ابن أبى ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ قال: ورق التين صحيح إليه[1]. وقيل: لما ظهرت عورة آدم ـ عليه السلام ـ طاف على أشجار الجنة يَسُلّ منها ورقة يغطى بها عورته، فزجرته أوراق الجنة حتى رحمته شجرة التين فأعطته ورقة[2]. وسوف نتعرض لهذا الموضوع بشىء من التفصيل عند الحديث عن موضوع «الشجرة» فى هذا الفصل من الكتاب إن شاء الله.

السنبلة

يطلق الناس اسم سنبلة على نورات النجيليات عموماً خاصة الحبوب، وأشهر مثال شائع على ألسنة الناس هو سنابل القمح، والتى هى فى الحقيقة عبارة عن نورة.

وتختلف أشكال النورات من نبات إلى آخر، فهى فى نبات القمح عبارة عن سنبلة مركبة، لها محور متعرج، يتكون من عقد وسلاميات. والسنبلة تحمل حوالى ٢٠ سنيبلة، وتحتوى كل سنيبلة على ٢ - ٨ زهرة محمولة على محور السنيلة، وأزهار السنيبلة موجودة بين قنبعتين، وهى أزهار جالسة.

أما فى نبات الأرز. فالنورة طرفية، عنقودية، سائبة، ومحور النورة يحمل عددا من الفروع الأولية، والتى بدورها تحمل عددا من الفروع الثانوية القصيرة، وهذه الفروع تحمل فى نهايتها السنيبلات. وتحتوى كل سنيبلة على زهرة، ونادراً ما تحمل زهرتين. وتتكون السنيلة من زوج من القنابع التى توجد بداخلها عصافتان؛ إحداهما خارجية، والأخرى داخلية.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثانى ص ١٩٢. وتفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الأول ص ٣٣٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء السابع ص ١١٧. وتفسير النسفى للنسفى، الجزء الثالث ص ٦٨.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما فى نبات الشعير فالنورة سنبلة مركبة، وتتكون من عدد من السنيبلات، وتوجد ثلاث سنيبلات عند كل عقدة من محور السنبلة، وتحتوى كل سنيبلة على زهرة واحدة. ويحتوى محور السنبلة على ١٠ - ٣٠ عقدة. ويحيط بكل سنيبلة زوج من القنابع الضيقة.

أما الذرة الشامية فهو نبات وحيد المسكن لأنه يحمل النورات المذكرة، والنورات المؤنثة على نفس النبات. والنورة المذكرة عنقودية، وتوجد عليها السنيبلات فى أزواج؛ واحدة من كل زوج جالسة، والأخرى معنقة بعنق قصير، وكل سنيبلة معلقة بزوج من القنابع البيضية الشكل. أما النورة المؤنثة فعبارة عن سنبلة ذات محور سميك، والسنيبلات محمولة على أزواج فى صفوف طولية.

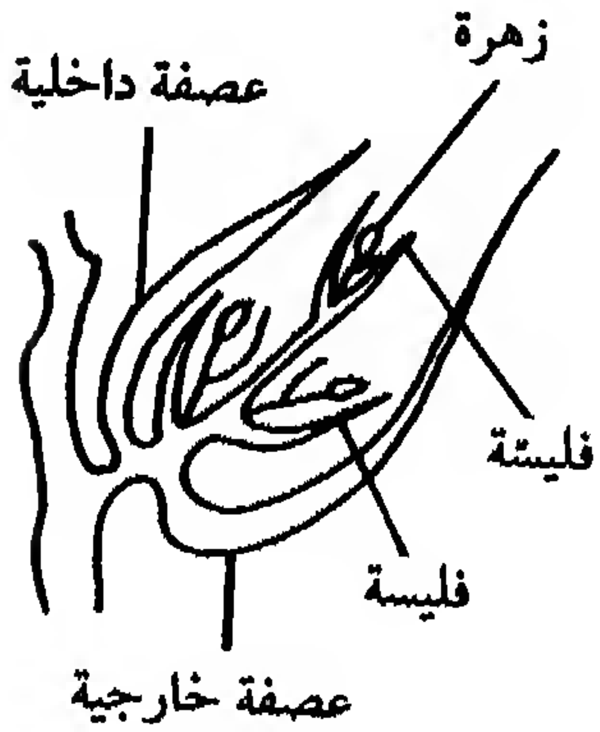

السنبلة فى القرآن الكريم

القارئ المدقق للقرآن الكريم يلاحظ أن الله سبحانه وتعالى ذكر السنبلة فى القرآن الكريم بصيغة المفرد (سنبلة) وبصيغة الجمع (سنابل) و (سنبلات).

ففى سورة البقرة يضرب الله سبحانه وتعالى مثلا لتضعيف الثواب لمن أنفق فى سبيله وابتغاء مرضاته. وأشار الله إلى أنه يضاعف الأعمال الصالحة وينميها لأصحابها، كما ينمى الزرع لمن زرعه فى الأرض الطيبة، فالحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف[1].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الأول ص ٢٧٨. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الثالث ص ١٩٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يقول تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)﴾ [البقرة].

وختم الله الآية بقوله: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أى واسع لا يضيق عطاؤه ولا يكف ولا ينضب، ويعلم النوايا ويثيب عليها ولا تخفى عليه خافية(١).

وفى الآية الكريمة شبه الله سبحانه وتعالى المتصدق بالزارع، وشبه الصدقة بالبذر فيعطيه الله بكل صدقة له سبعمائة حسنة.

ويقول الإمام الرازى: فإن قيل فهل رأيت سنبلة فيها مائة حبة حتى يُضرب المثل بها؟. فالجواب أنه لو علم إنسان يطلب الزيادة والربح أنه إذا بذر حبة واحدة أخرجت له سبعمائة حبة ما كان ينبغى له ترك ذلك ولا التقصير فيه، فكذلك ينبغى لمن طلب الأجر فى الآخرة عند الله أن لا يتركه إذا علم أنه يحصل له على الواحدة عشرة ومائة وسبعمائة. وإذا كان هذا المعنى معقولاً سواء وُجد فى الدنيا سنبلة بهذه الصفة أو لم يوجد كان المعنى حاصلاً مستقيمًا. وإن كان قيل شوهدت سنبلة الجاورس فيها مائة حبة(٢).

أما فى سورة يوسف فقد ورد لفظ «سنبلات» مرتين، ولفظ «سنبلة» مرة واحدة وذلك فى سياق رؤيا الملك التى خلدها القرآن الكريم حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (٤٤) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧)﴾ [يوسف].

---

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب، الجزء الثالث ص ٣٠٦.

(٢) تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء السابع ص ٤٨. أمثال القرآن لابن قيم الجوزية. ص ٥٠.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتوضح الآيات الكريمة أنه لما أراد الله أن يُخرج يوسف عليه السلام من السجن أرى الملك هذه الرؤيا العجيبة، وليكون تأويلها على يد يوسف. فيُظهر من فضله، ويبين من علمه. وأعجب ما فى رؤيا الملك أن البقرات الهزيلات يأكلن السبع السمان، وأن السبع سنبلات اليابسات يأكلن السبع الخضر، والقصة معروفة ومشهورة، ولكن ما يُستفاد من هذه الرؤيا هو أن من لطف الله بيوسف أن الملك نفسه لم يُعَبرها - ابتداء - ثم عرضها على علماء قومه فلم يستطيعوا تعبيرها، فعبرها يوسف فوقعت عندهم موقعا عظيما(١).

ويبين الله سبحانه وتعالى فى قوله: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ﴾ أن الحبوب كالقمح والشعير وغيرهما تُحفظ لسنوات إذا بقيت فى غلاف السنابل؛ وذلك لأن الحبوب إذا بقيت فى سنابلها مُنع عنها الهواء وحفظها من الفساد والسوس وحماها من الرطوبة والحرارة(٢). ويقال أن أرض مصر فى عهد يوسف عليه السلام كان لا يبقى فيها الطعام عامين فعلمهم الله على لسان يوسف أنه يمكن حفظ الغلال خمسة عشر عاما(٣). فهل من البشر فى ذلك الوقت من يعرف هذه الحقيقة العلمية؟ فسبحانك اللهم.

والقارئ المدقق للقرآن يلاحظ أن رب العزة والجلال قال فى الآية (٢٦١) من سورة البقرة: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)﴾ [البقرة]

وقال سبحانه فى سورة يوسف: ﴿وَسَبْعَ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ﴾. فالمعدود فى الآيتين واحد «السنابل» والعدد فيهما واحد «سبعة» ولكن اختلف المفسر للمعدود فورد فى سورة البقرة «سنابل» وبنيته: فعالل من أبنية جمع الكثرة، أما فى سورة يوسف: سنبلات وباب ما يُجمع بالألف والتاء أن يكون للقليل. وفسر المفسرون ذلك بقولهم: إن آية البقرة مبنية على ما أعد الله للمنفق فى سبيله وما يضاعف له

---

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثانى ص ٤٣٠ - ٤٣١. تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الأول ص ٤٨٥.

(٢) تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الثامن عشر ص ١٥٣

(٣) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الثانى ص ١٢١. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء التاسع ص ١٣٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من أجر إنفاقه وإن ذلك ينتهى إلى سبعمائة ضعف، وقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ قد يُفهم الزيادة على ما نص عليه من العدد، فبناء هذه الآية على التكثير فناسب ذلك ورد المفسر على ما هو عن أبنية جموع التكثير. أما فى سورة يوسف فإنما بناؤها على إخبار الملك عن رؤياه ﴿سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ﴾ فلا طريق هنا لكثرة ولا قلة فتفرق القصدان وجاء كلٌ على ما يجب ويناسب[1]. والله أعلم بمراده.

ومن هذا يتضح أن كل حرف وكل لفظ من ألفاظ القرآن الكريم جاء موافقًا تماما للمعنى المقصود. ولو حدث تبديل أو تغير لحرف واحد لاختل المعنى، فسبحانه مُنزل القرآن.

الثمرة

يتُحول مبيض الزهرة بما يحوى من بويضات بعد عملية الإخصاب إلى الثمرة. فما الثمرة سوى جدار المبيض النامى، وتُسمى فى هذه الحالة بالثمرة الحقيقية أو الصادقة. وقد تشترك مع المبيض أجزاء أخرى من الزهرة مثل التخت أو الكأس، وهنا تُسمى الثمرة بالثمرة الكاذبة. فالجزء الذى يؤكل فى ثمرة التفاح مثلاً هو التخت المتضخم، أما الثمرة الحقيقية التى تحتوى على البذور فتوجد داخل الثمرة الكاذبة[2].

ويختلف شكل الثمرة من نبات إلى آخر، فبعض الثمار تحتوى على جدار صلب جاف، وبعضها الآخر له جدران رقيقة طرية أو لحمية.

ويصنف علماء النبات الثمار إلى قسمين: الثمار البسيطة وتتطور من مبيض واحد، والثمار المركبة وتتطور من مبيضين أو أكثر. وتشكل الثمار البسيطة المجموعة الكبرى من الثمار، وتنقسم إلى قسمين اعتمادًا على ما إذا كانت قشرتها الخارجية طرية أو صلبة. وتمثل الثمار ذات القشرة الطرية معظم أنواع الثمار

---

(١) البرهان فى علوم القرآن للزركشى، الجزء الرابع ص٢٢. ملاك التأويل للعاصمى، الجزء الأول ص٢٧٥.
(٢) النباتات الغذائية والطبية لمحمد الشافعى وحلمى شاروبيم. مقدمة فى تصنيف النباتات الزهرية لفوزى محمود سلامة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتنقسم بدورها إلى ثلاثة أنواع رئيسية هى: الثمار اللبية (العنبية)، والثمار الحسلة، والثمار التفاحية[1].

الثمار اللبية: وتتميز بأن قشرتها الخارجية طرية بشكل كامل. ويصنف علماء النبات الموز والعنب والفلفل الأخضر والشمام والبرتقال والطماطم والبطيخ كثمار لبية. وبعض الثمار اللبية كالبطيخ والشمام تكون ذات قشرة قوية، وتُسمى الثمار من هذا النوع بطيخية. وتكوّن بعض الثمار اللبية الأخرى كالموالح قشرة جلدية تُسمى البرتقالية.

الثمار الحسلة: وتتميز بأن قشرتها الخارجية تكوِّن جلدًا رقيقًا، ويتطور الغلاف الداخلى ليكوِّن نواة أو تجويفا؛ وبذلك يكون الجزء اللبى هو الغلاف الأوسط فقط. وتشمل تلك الثمار المشمش والكرز والكمثرى والبرقوق.

الثمار التفاحية: وهى ثمار لبية ذات قلب ورقى، ومن هذه الثمار التفاح والخوخ. أما إذا كانت قشرة الثمرة الخارجية صلبة فإنها تُسمى **الثمار الجافة البسيطة** وتشمل قرون نبات الفاصوليا والبازلاء وحبوب الذرة الشامية والقمح والأرز وثمار الجوز. ومن ناحية أخرى فإن **الثمار المركبة** تتكون من مجموعة من المبايض الناضجة، وهناك نوعان رئيسيان من الثمار المركبة: **الثمار المتجمعة والثمار المتضاعفة**. ويُعد ثمر العليق وتوت العليق من الثمار المتجمعة، كما أن الفراولة نوع خاص من الثمار المتجمعة؛ فكل بذرة فى الفراولة هى فى الحقيقة ثمرة كاملة، وينمو اللب المحيط بالحبوب من قاعدة الزهرة بدلا من المبايض. أما الثمار المتضاعفة فتتطور من مجموعة من الأزهار من ساق واحدة، والتوت والتين والأناناس من الثمار المتضاعفة.

الثمرة فى القرآن الكريم

الثمر اسم لكل ما يُتطعم من أعمال الشجر. ويقال ثَمرَ مثل شَجَر، ويقال ثُمُر مثل خُشُب، ويقال ثُمْر مثل بُدْن. والواحدة ثمرة والجمع ثمار وثمرات[2].

(١) الموسوعة العربية العالمية، المجلد الثامن.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الأول ص ١٦٠، الجزء العاشر ص ٢٦٢.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

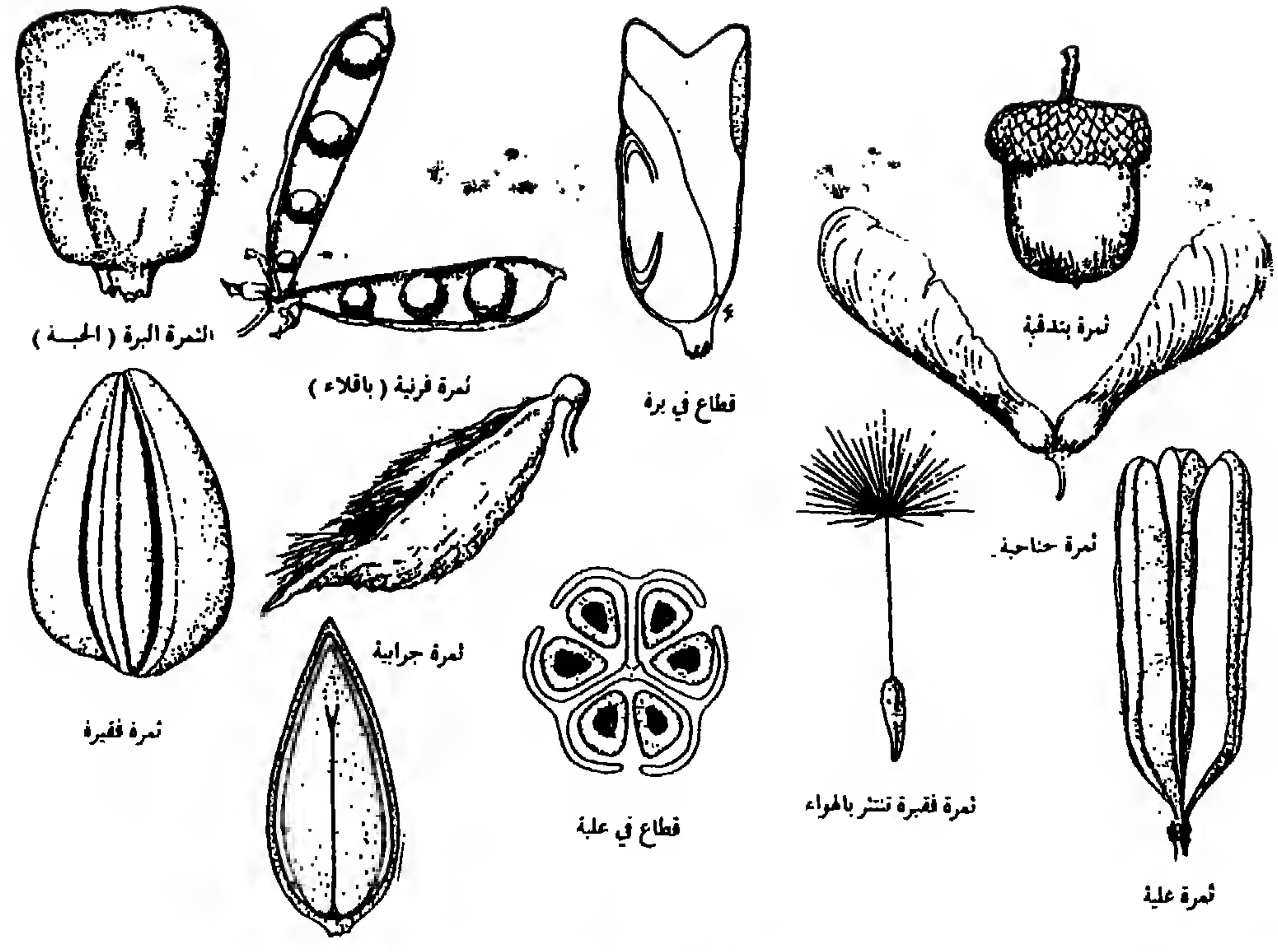

الثمار الجافة

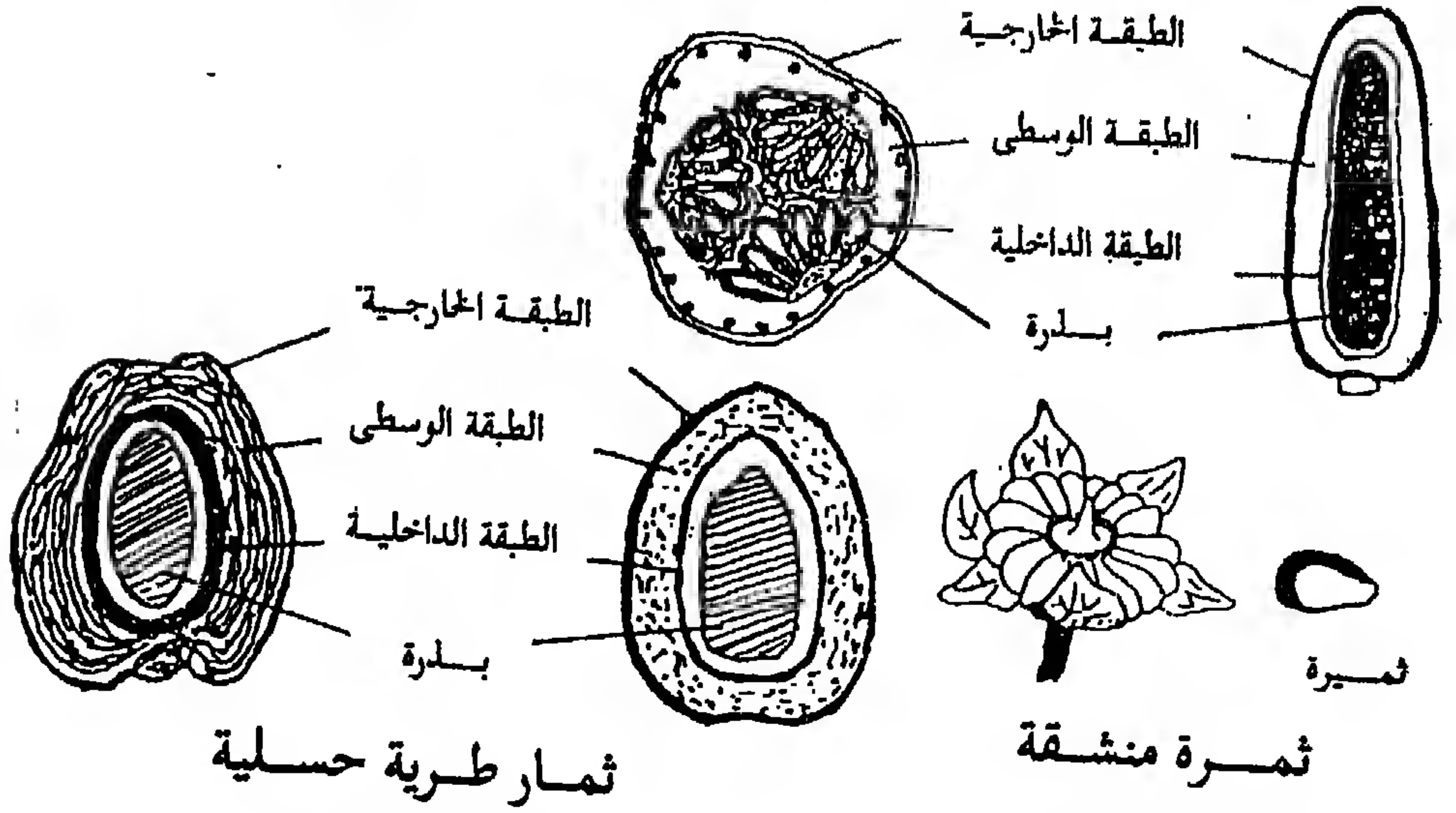

ثمار بسيطة غضة حسلية

ثمرة بسيطة جافة منشقة

ثمار بسيطة غضة لبية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

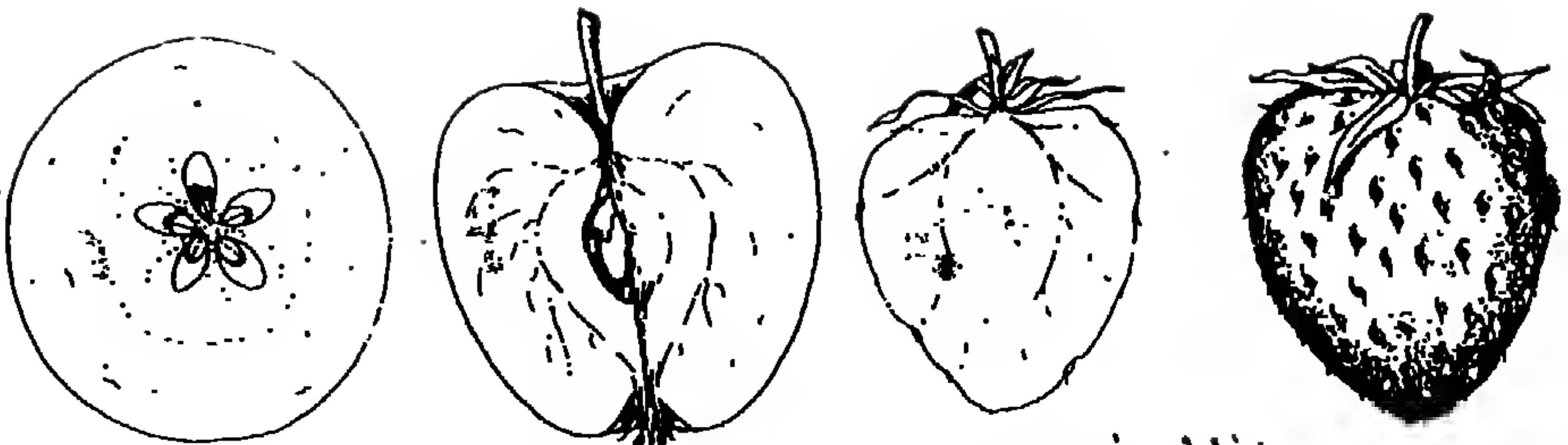

ثمرة متجمعة الفراولة (الشليك) تحتوي على ثميرات فقيرة

قطاع في ثمرة متجمعة الفراولة (الشليك)

قطاع طولي في ثمرة تفاحية التفاح

قطاع عرضي في ثمرة تفاحية التفاح

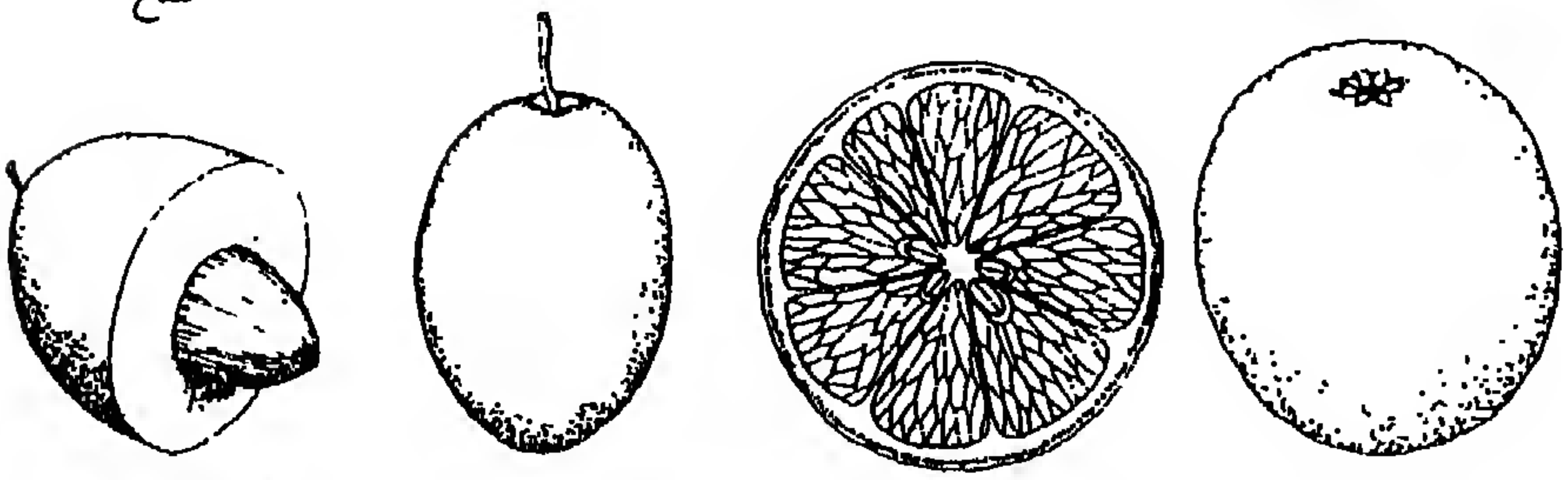

(البرتقالة) ثمرة لبية

قطاع في برتقالة ثمرة لبية

ثمرة حسلية الزيتون

قطاع في ثمرة حسلية الزيتون

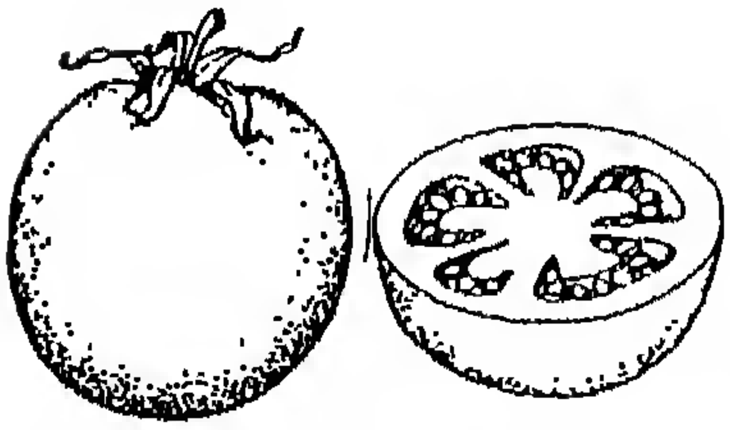

ثمرة لبيـة الطماطم

قطاع في ثمرة لبية الطمـاطم

الثمار الغضة

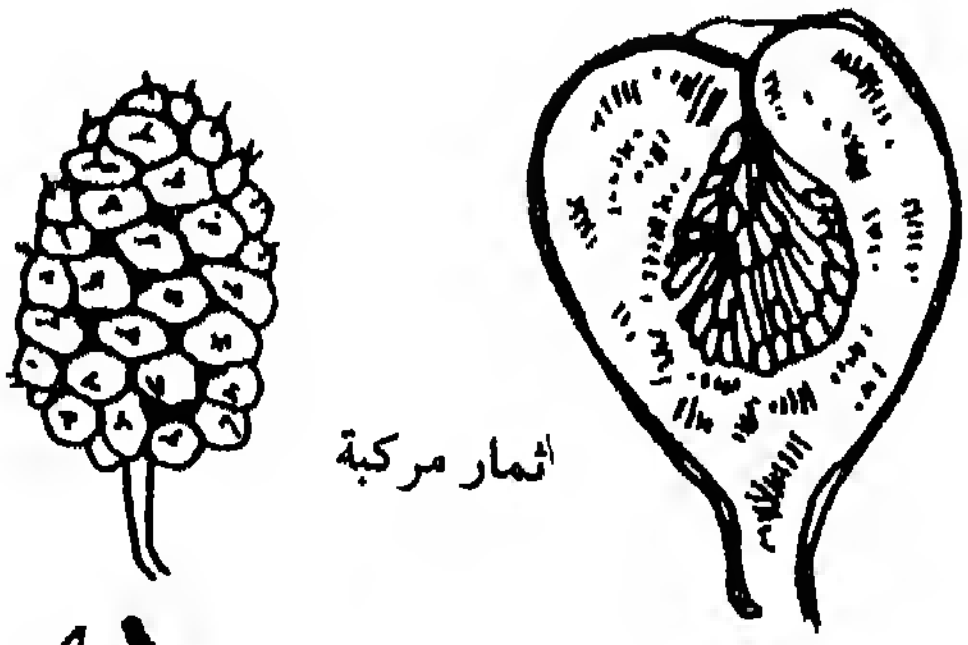

ثمار مركبة

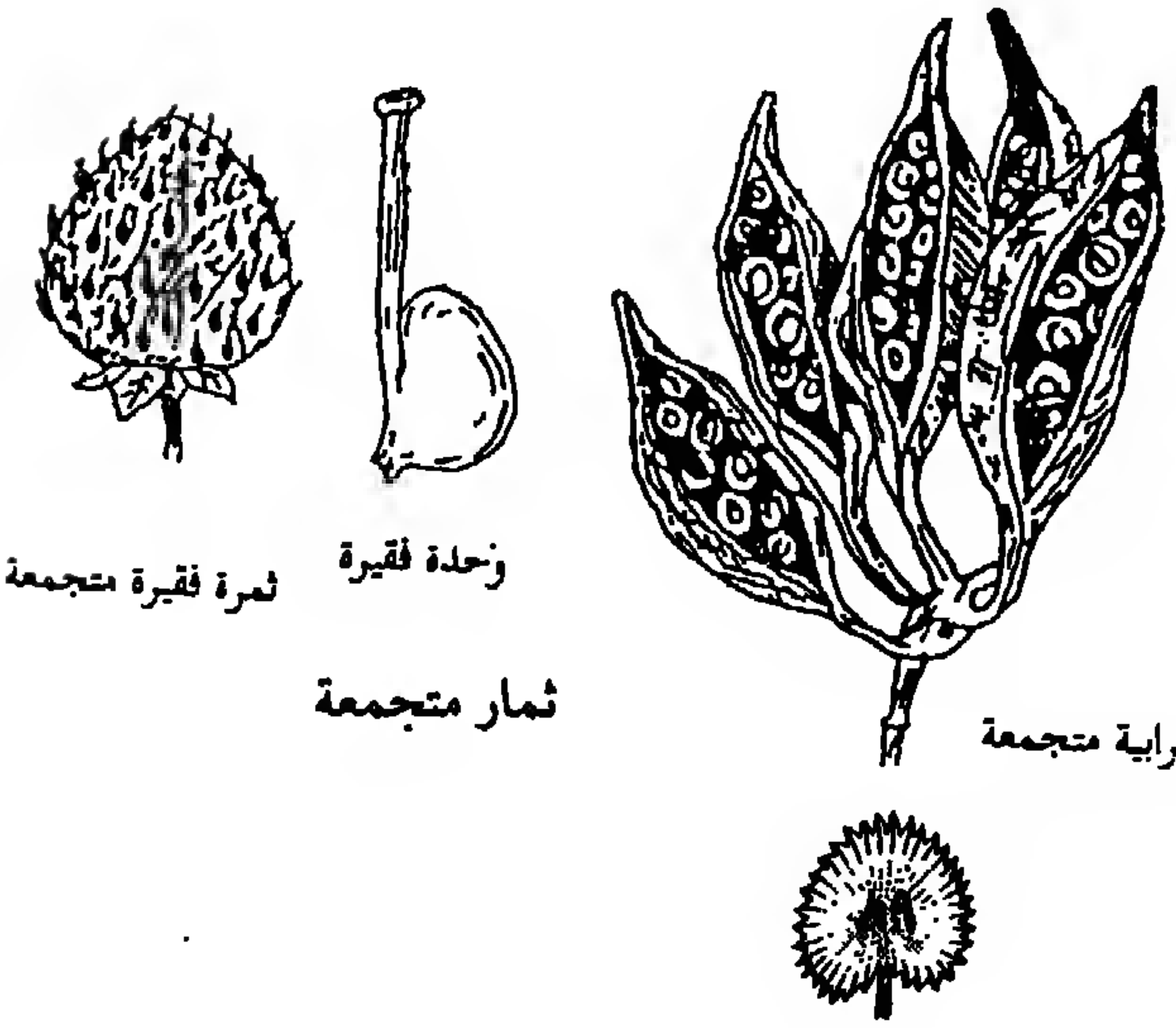

ثمرة فقيرة متجمعة

وحدة فقيرة

ثمار متجمعة

ثمرة جرابية متجمعة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال أبو مسلم: لفظ «الثمرات» يقع فى الغالب على ما يحصل على الأشجار، ويقع أيضًا على الزروع والنبات ككل[1].

وذكر إخراج الثمار من الأرض ما يفتأ يتردد فى مواضع شتى من القرآن الكريم فى معرض التذكير بقدرة الله وفضله على الناس. يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة].

وتتضمن الآيات دعوة الخلق إلى عبادة الله الذى خلقهم والذى خلق السموات والأرض، فجعل الأرض فراشًا، وهو تمثيل لما كانوا يقعدون وينامون عليها كالفراش فهو مجاز، وهو الذى جعل السماء بناءً أى ابتنى السماء على الأرض كهيئة القبة فهى سقف على الأرض، وهو الذى أنزل من السماء ماءً، ثم أنه تعالى هو الذى أخرج الثمرات. فكل الذى يفعله الناس أسباب، ولكن السبب الأول والمؤثر الأخير فى حصول الإنتاج هو الله سبحانه؛ ولأنه المنعم وحده فهو المستحق وحده للعبادة والشكر[2]. يقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾﴾ [إبراهيم].

وتبين الآية الكريمة أن المسألة ليست روتينية تلقائية بمعنى أن نزول المطر يتعين عليه خروج ثمر؛ فإن إنبات حبة واحدة يحتاج إلى القوة المهيمنة على هذا الكون كله لتسخر أجرامه وظواهره فى إنبات هذه الحبة وخروج هذه الثمرة[3].

---

(١) تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء التاسع عشر ص ١٣٤.

(٢) فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الأول ص ٤٧، المجلد الثالث ص ١٢٩٩. صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم للدوسرى، المجلد الثانى ص ٢٧. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الأول ص٢٣١. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الأول ص ٦٩، ٧٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء التاسع ص ٢٤٠. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الرابع ص٢١٠٧. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثانى ص ٤٩٤. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثانى ص ٥٠٢.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ [النحل].

فهل أدعى أحد لنفسه أنه هو الذى يخرج لنا مختلف أنواع الثمار؟. الحقيقة أن أحداً لم ولن يجرؤ على ذلك.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الرعد].

ونكرر: من ذا الذى يدعى لنفسه هذا. إن كل هذه المخلوقات من أرض وجبال وأنهار وثمرات كلها تشير إلى السماء وتقول لا فاعل ولا خالق إلا الله. ولنا أن نتسائل: ماذا لو أن الله لم يخلق لنا من كل الثمرات زوجين اثنين؟. ماذا لو كانت الثمار كلها مذكرة مثلا؟. وهنا نجد أن الآية الكريمة تتضمن حقيقة علمية لم تُعرف لنا إلا عن طريق العلماء فى السنوات الأخيرة، وهى أن كل الأحياء وفيها النبات تتألف من ذكر وأنثى. والنباتات كان مظنونًا أن ليس لها من جنسها ذكور، ولكن القرآن يلفت النظر إلى أنها هى أيضا ذكر وأنثى، فسبحان الله[1].

ويوجهنا القرآن الكريم إلى المطلوب منا قبل أن نتناول الثمرة لنأكلها. لقد أوجد الله سبحانه الثمر من أجل الإنسان وطعامه وهذا حق. ولكن قبل أن يتناول الإنسان الثمرة ويضعها فى فمه عليه أن يقوم بعمل أهم من الطعام، هذا العمل هو النظر والتأمل فى قدرة الله سبحانه وتعالى، وكيف أخرج لنا هذه الثمار من التراب والطين؟. وفى ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام].

---

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الرابع ص ٢٠٤٦ تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثالث ص ٤٥٦. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الثانى ص ٢٧٦. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء التاسع عشر ص ١٠. تفسير المراغى للمراغى، المجلد الخامس ص ٦٦.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تطلب منا الآية الكريمة أن ننظر فى الثمر عند نضجه، ونفكر فى كمال قدرة الخالق.

ويقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١)﴾ [الأنعام].

وفى لفتة كونية عجيبة من اللفتات الدالة على مصدر هذا القرآن.. لفتة تطوف فى الأرض كلها تتبع فيها الألوان والأصباغ فى كل عوالمها.. فى الثمرات، فى الجبال، فى الناس، وفى الدواب، وفى الأنعام. آيتان اثنتان وكلمات قليلة تجمع بين الأحياء وغير الأحياء فى هذه الأرض. فيقول رب هذا الكون: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)﴾ [فاطر].

إن تفاوت كل هذه المخلوقات ومن بينها الثمار دليل عقلى على مشيئة الله تعالى وقدرته وحكمته، وهى دليل فى الوقت نفسه على سعة علم الله تعالى[١].

ويدلل القرآن الكريم على علم الله الواسع، فالله سبحانه وتعالى هو عالم الغيب والشهادة الذى لا يغيب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء. ويصور الله سبحانه علمه هذا فى صورة موحية تمس أعماق القلوب فيقول تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ (٤٧)﴾ [فصلت]. أكمامها: أوعيتها. وقيل أكمامها جمع كم بكسر الكاف. وهو غلاف الثمرة قبل ظهورها[٢]. وفى الآية الكريمة يخبرنا الله سبحانه عن سعة علمه واختصاصه بالعلم الذى لايطلع عليه سواه، فالساعة غيب، والثمرات فى أكمامها سر غير

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثالث ص ٥١٥. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الخامس ص ٢٩٤٢، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الرابع ص ٢٠٦، ٢٠٧. دراسات فى التفسير الموضوعى للقرآن الكريم للألمعى ص ١٦٣.

(٢) كلمات القرآن ـ تفسير وبيان ـ للشيخ مخلوف. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الرابع ص ٢٦.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منظور، والحمل فى الأرحام غيب مستور. وكل هذا فى علم الله، والله به محيط. والآية تدل على مصدر هذا القرآن، أنه من لدن الله خالق كل شىء العليم بكل شىء، حتى الثمار متى وكيف تخرج من أوعيتها، وهذا يشمل ثمار جميع الأشجار فى المزارع والبرارى، فلا تخرج ثمرة من شجرة من الأشجار إلا والله يعلمها تفصيليًّا(١). فمن من العالمين يدعى أنه يعلم متى وأين وكيف تخرج كل أنواع الثمار من أكمامها؟. ومن يدعى أنه يعلم ما تحمل كل أنثى من كل أنواع الحيوانات؟. ومن يدعى أنه يعلم كم ومتى وأين تضع كل أنثى فى كل بقاع الأرض وتحت مياه البحار؟. سبحانك اللهم.

وفى نطاق التدليل على علم الله الواسع يخبر الله سبحانه وتعالى أنه هو وحده الذى أوحى للنحل كيف تبنى بيوتها، وماذا تأكل من الثمار لتخرج لنا عسلاً مختلفًا ألوانه فيه شفاء للناس، يقول تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [النحل].

ويختتم الله سبحانه وتعالى الآيات بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ لأنه لابد من التفكير فى صاحب كل هذا الإبداع، وكل هذا العلم. من الذى يعتنى بنحلة صغيرة فى البرارى أو على قمم الجبال؟ من الذى يعلم أين تسكن وماذا تأكل؟. ثم من الذى سخر لنا هذه النحلة لتخرج لنا هذا العسل الذى أثبت العلم الحديث - وسوف يثبت- أنه شفاء لكل الأمراض المعروفة والتى ستُكتشف؟. من هو؟ إنه الله.

ويتعرض القرآن الكريم فى أكثر من موضع لقضية إنكار البعث بعد الموت، وإنكار الحساب. والحقيقة أن أصحاب الفطرة السليمة والعقول الواعية مؤمنون بأنه لا بد أن يكون حساب بعد الموت، وإلا فمن الذى يضمن سلامة المجتمعات من

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٩٢. معانى القرآن للفراء، الجزء الثالث ص ٢٠. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الرابع ص ٣٨٠ - ٣٨١ فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الخامس ص ٣١٢٨. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الخامس عشر ص٢٤٢.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المنحرفين؟. فإذا لم يكن هناك بعث وحساب لفسدت الأرض، ولفعل كل امرئ ما يحلو له. ولكن الله الرحمن بالعباد والذى لا يرضى لهم الكفر يقرب إليهم مسألة البعث والحياة بعد الموت حتى تطمئن قلوبهم ويزداد إيمانهم. ويضرب الله للناس مثلا يحدث أمامهم فى كل يوم: فهذه أرض جرداء لا شجر فيها ولا ماء، ثم يأمر الله سبحانه وتعالى أن يسقط عليها المطر، فتحيى الأرض الميتة، ويخرج منها مختلف أنواع الثمرات. وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف].

وتوضح الآية أنه على نحو ما تخرج الثمرات من الأرض بسهولة ويسر بعد أن يُسقط الله المطر، على هذا النحو يخرج الله الموتى من قبورهم يوم البعث، وإن إخراج الله للموتى أحياء من قبورهم أمر لا ينكره إلا من ينكر خروج الثمرات من الأرض بعد سقيها بالماء. وكأن الله سبحانه وتعالى يقول: إن كان من أمرنا أن ننزل الماء فنحيي به الأرض بعد موتها، فكذلك أمرنا أن نخرج الموتى ونحييهم فالأمران متساويان(١).

وفى سورة (يس) يتعرض القرآن - مرة أخرى - لإحياء الأرض وإخراج الثمار منها، ويؤكد على أن هذا دليل قاطع على البعث وإخراج الموتى، فيقول تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يس].

وفى لفتة قرآنية عظيمة يبين القرآن أن عقاب بعض الذين أنكروا البعث كان ذهاب (ثمراتهم) فى الدنيا. فقال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثانى ص ٢٠٦. مصحف الشروق المفسر الميسر ص ١٧٣. ملاك التأويل للعاصمى، الجزء الأول ص ٥١٠. معانى القرآن للفراء، الجزء الأول ص ٣٨٢. تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الأول ص٣٤٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴿٣٧﴾ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الكهف].

ويبين هذا المشهد القرآنى العظيم أن مصير من أنكر البعث كان تدمير ثمره كله كأنما أُخذ من كل جانب فلم يسلم منه شىء[1].

ويبين القرآن الكريم أن نفس المصير ينتظر من ينفق رياءً، فيقول تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ﴾ [البقرة].

وهذه الآية مَثَلٌ على نفقة الرياء. وقال ابن عباس - رضى الله عنهما -: هذا مثلٌ ضربه الله للمرائين بالأعمال يبطلها الله يوم القيامة. وقيل: هو تشبيه بحال كل منافق أو كافر عمل عملاً سيئًا وهو يحسب أنه يحسن صُنعًا، فلما جاء يوم القيامة لم يجد شيئا[2]. فمن ذا الذى يود هذا المصير؟ ومن ذا الذى يفكر فى هذا المصير ثم لا يتقيه؟!.

وقد يكون نقص «الثمرات» إشارة تحذير أولى من الله للناس؛ ليتعظوا ويعودوا إلى طريق الحق. ولقد أنذر الله فرعون وقومه، فأخذهم بالسنين القحط ونقص الثمرات. وكانت مصر معروفة بوفرة الإنتاج الزراعى، وكانت لديها فيه

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثالث ص ٧٩ . فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الرابع ص٢٢٧١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الثالث ص ٣٠٦. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الأول ص ١٦٥. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الأول ص ٣١٠.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

زيادة تتجر بها مع الشرق الأدنى. وكـان النقص فى «الثمرات» فى سنوات القحط هو فى حد ذاته إنذار لفرعون عله يعود ويراجع الأمر ويتدبره، فيؤمن بالله. ولكن فرعون وجنوده لايريدون أن يروا يد الله فى جـدب الأرض ونقص الثمرات. ولم ينتبهوا إلى العلاقة بين ظلمهم وبين أخذهم بالجدب ونقص الثمرات[١]. وفى ذلك يقول تبـارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأعراف]

وفى تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾ يقال: كانت النخلة لا تحمل إلا ثمرة واحدة![٢].

والإنسان العاقل الذى يريد المزيد من الله ما عليه سوى أن يشكر المنعم على نعمه؛ فـإن شكر النعمة هو الطريق إلى زيادتهـا، ولا يمكن أن يكون طريقه زيادة النعمة أبـدا معصية الله. ولقـد تفضل الله سبحـانه وتعالى على أهل مكة - التى كانت واديا غيـر ذى زرع - فرزقهم من (الثمرات) استـجابة لدعوة خليله إبراهيم عليه السلام[٣]. ولقـد خلد الله هذه الدعـوة الكريمـة فى القرآن الكـريم. فقـال تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم]

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ [البقرة].

ولقد استجاب المولى الكريم لدعوة خليله إبراهيم فصارت قلوب الناس تهفو إلى مكة وصار يُجبى إليها (ثمرات) كل شيء[٤].

---

(١) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الثانى ص ٧٧. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثانى ص ١٥٢. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الثالث ص ١٣٥٧. تفسير سورة الأعراف لمحمد البهى ص ١٢٠ - ١٢١ تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الأول ص٣٥٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثانى ص ٢٢٢.

(٣) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الثانى ص ٢٠٦.

(٤) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثانى ص ٥٠٤. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الرابع ص ٦١.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكما هو حال كثير من الناس أنكر المشركون من أهل مكة فضل الله عليهم ونعمه، وعبدوا أوثانًا ورفضوا الدخول فى الدين الحق، وقالوا لرسول الله ﷺ قولاً عجيبا سجله الله عليهم فى قوله تعالى فى سورة القصص: ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [القصص].

إنها النظرة السطحية القريبة والقصور الأرضى المحدود هو الذى أوحى لقريش أن اتباع هدى الله يعرضهم لغضب الناس ويعود عليهم بالفقر والبوار. مع العلم أنهم لا ينكرون أنه الهدى والدليل قولهم: ﴿إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ﴾ فهم يعلمون أنه هدى، ولكنهم يخافون أن يتخطفهم الناس، ويقال: إن الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف هو الذى قال: ﴿إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾(١). ويرد الله عليهم بما يكذب هذا العذر الموهوم فيقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ فالله هو الذى جعل لهم الأمن وجعل لهم البيت الحرام، وهو الذى جعل القلوب تهفو إليهم تحمل الثمرات من مختلف بقاع الأرض(٢).

ولابد من تربية النفوس بالبلاء، ومن امتحان التصميم على معركة الحق بالمخاوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات. وفى ذلك يقول المولى عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة].

وفى الآية الكريمة اخبار من الله بأنه سيبتلى عباده بشىء من الخوف من الأعداء والجوع ومعنى ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ﴾ أى بشىء يسير منها؛ لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله أو الجوع كله لهلكوا. وفسر العلماء قوله تعالى: ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ فقالوا: أى لا تثمر الحدائق والمزارع كعادتها. وقال بعض السلف الصالح: كانت بعض النخيل لا

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثالث ص٣٧٠. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الثالث ص٢٢٥. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الرابع ص٣٠. تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الثانى ص١٩٦. تفسير الفخر الرازى للرازى الجزء التاسع عشر ص١٤٢.

(٢) فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الخامس ص ٢٧٠٣ الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الثالث عشر ص ١٩٨.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تثمر غير واحدة. وكل هذا مما يختبر الله به عباده فمن صبر أثابه ومن قنط حل به عقابه.

وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾: نقص الثمرات المقصود به موت الأولاد؛ لأن ولد الرجل ثمرة قلبه. وقال ابن عباس - رضى الله عنهما -: المقصود بنقص الثمرات قلة النبات وانقطاع البركات(١).

وختم الله سبحانه وتعالى الآية الكريمة بقوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ وفى ذلك يقول الرسول ﷺ: **«من أصابته مصيبة فقال إن لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيراً منها، أخلفه الله خيرا مما أصابه»**(٢).

ويبشر الله سبحانه وتعالى أولياءه من السعداء المؤمنين به وبرسله بأنه سيدخلهم الجنة ويرزقهم من ثمارها. فقال تعالى: **﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥)﴾** [البقرة].

وفى تفسير قوله تعالى: **﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾** قال السدى عن ابن مسعود وعن غيره: عندما يرى المؤمنون الثمرة فى الجنة يقولون هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا. وقال عكرمة: معناه مثل الذى كان بالأمس. وقال آخرون: بل تأويل **﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾** أى من ثمار الجنة لشدة مشابهة بعضه بعضًا لقوله تعالى: **﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾**. وقال عكرمة: **﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾** أى يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أطيب. وقال ابن عباس ومجاهد والحسن - رضى الله عنهم -: أى يشبه بعضه بعضًا فى المنظر ويختلف فى الطعم. وقال عكرمة: يشبه ثمر الدنيا ويباينه فى كل الصفات. وقيل: تتشابه فى الاسم، مختلف فى الطعم. وقيل: مختلف فى الاسم، ومتشابه فى الطعم. وقيل: يشبه بعضه بعضًا فى الحسن(٣). والله تعالى أعلم بمراده.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الأول ص ١٧٢. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الثانى ص ١٤٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الثانى ص ١١٧، تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الأول ص١١٤. معانى القرآن للفراء، الجزء الأول ص ٩٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، المجلد الأول ص ١٦٧. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويصف الله تعالى الجنة لعباده ليحفزهم على طاعته وليهون عليهم مصائب الدنيا، ويبشرهم بأنهم آكلون من ثمارها مما لا نظير لها فى الدنيا(1)، فيقول تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد]

فمن ذا الذى يقرأ هذه الآيات ولا يشمر لينال بيديه ثمار الجنة يوم القيامة؟.

الفاكهة

أشجار الفاكهة من الأشجار المعمرة التى يزرعها الإنسان للاستفادة من منظرها الجميل، وللحصول على ثمارها. ولا تنتج أشجار الفاكهة ثمارا إلا بعد فترة تطول أو تقصرحسب نوع النبات، والظروف المناخية، ونوع التربة وغيرها.

والحقيقة أن نباتات الفاكهة تتميز عن النباتات الحقلية بأنها تحتاج إلى رعاية خاصة؛ نظرا لطبيعة نموها وارتفاع نسبة الماء فى ثمارها مما يجعلها قابلة للعطب مقارنة بالنباتات الحقلية، ولذا فإنها تزرع فى مساحات أصغر مقارنة بالنباتات الحقلية.

وتعتبر مصر من أعرق دول العالم فى إنتاج وزراعة الفاكهة، وتوضح الآثار الفرعونية والرومانية والعربية الموجودة فى مصر مدى اهتمام المصريين بزراعة أشجار الفاكهة المختلفة.

= الجزء الأول ص ٧٣ فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الأول ص ٤٩، المجلد السادس ص ٣٢٩١. تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الأول ص ٤٢. صفوة الآثار والمفاهيم فى تفسير القرآن العظيم للدوسرى، المجلد الثانى ص ٥١.

(1) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الخامس ص ٤٠٣٩.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويمكن تقسيم أنواع الفاكهة حسب البيئة الجغرافية التى تنمو فيها إلى: فاكهة المناطق المعتدلة، وفاكهة المناطق المعتدلة الدافئة، وفاكهة المناطق الاستوائية وتحت الاستوائية.

ففاكهة المناطق المعتدلة هى التى تنمو وتثمر فى المناطق الباردة والمعتدلة، وهى عادة تدخل فى طور كمون (راحة) خلال فصل الشتاء حيث تفقد فيه أوراقها ثم تنشط بعد ذلك فى الربيع لتزهر وتورق، وأمثلة هذه الفواكة: التفاح والكمثرى والسفرجل. .إلخ.

أما فاكهة المناطق المعتدلة الدافئة فهى فاكهة حوض البحر المتوسط وما شابهها حيث يكون الجو حارا صيفا ومعتدلا شتاءً ومن فاكهة تلك المناطق البرقوق والمشمش واللوز والعنب والتين والرمان.

أما فاكهة المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية فهى تلك التى تنمو فى المناطق عالية الحرارة، ومن أمثلة هذه الأنواع من الفاكهة نخيل البلح، والحمضيات والمانجو الأناناس والموز. . .إلخ.

وقد تقسم الفاكهة حسب طبيعة نموها إلى أشجار متساقطة الأوراق (فاكهة المناطق المعتدلة) أو إلى أشجار مستديمة الأوراق وهى التى لا تتساقط أوراقها شتاء لعدم وجود طور كمون بها.

والفاكهة غذاء محبب أو إضافة محببة لغذاء الإنسان، وقد تكون كالموز غذاءً رئيسيًّا فى بعض المناطق الحارة. وعلى العموم يمكن القول أن لفظ الفاكهة يطلق على ما يؤكل من أجل التلذذ لا من أجل الحاجة.

وتحتوى الفاكهة عمومًا على نسبة مرتفعة من الماء، كما تحتوى على السيليلوز، والسكر، والنشويات، والبكتين، والأحماض العضوية، ونسبة ضئيلة من الدهون والبروتينات. كما توجد الأملاح المعدنية والفيتامينات بكميات لا بأس بها.

ووصلت زراعة الفاكهة إلى مرحلة متطورة جدًا فى كثير من دول العالم، وتعتمد دول كثيرة على محاصيل الفاكهة فى زيادة دخلها القومى. كما تقوم على زراعة الفاكهة صناعات كثيرة مثل صناعة حفظ الفاكهة، والكحول وغيرهما.

والفاكهة عمومًا قابلة للتلف بسرعة، ولذا يلجأ المزارعون والمصدرون لها إلى حفظها بواسطة التجفيف، أو التحلية بالسكر، أو التعقيم بالتشعيع الجامى، أو التعليب، أو التجميد.

الفاكهة فى القرآن الكريم

يلاحظ القارى المدقق للقرآن الكريم أن الفاكهة ذُكرت فى القرآن الكريم فى معرض الحديث عن نعم الله سبحانه على الناس فى الدنيا، وعند تبشيره لعباده المؤمنين بالجنة، وعند وصف الجنة لهم.

ويُذّكر القرآن الكريم الناس ببعض نعم الله عليهم فى الدنيا، فالله سبحانه وتعالى قد هيأ الأرض لمعيشتهم من قبل أن يخلقهم وفى ذلك يقول تعالى:

﴿ وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرحمن].

وتأخذنا الآيات الكريمة إلى بداية الخلق لتظهر جزءًا من رحمة الله بنا، فهو سبحانه وضع الأرض لنا لكى نستقر عليها وتكون مهادا وفراشا ليسهل علينا الانتفاع بما فيها من خير، ومن هذا الخير أشجار الفاكهة التى تثمر لنا صيفا وشتاء[(1)].

ويستمر فضل الله على الناس دون انقطاع؛ فهو الرحمن الذى تشمل رحمته المؤمن والكافر، وفى ذلك يقول تعالى:

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المؤمنون].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الأول ص ١٥١، الجزء السابع ص ٢٤٦.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ (٣٢)﴾ [عبس].

وتبين الآيات الكريمة جزءاً من قدرة الله سبحانه وتعالى فهو وحده القادر على إنزال المطر بقدر لصالح العباد، وينشئ سبحانه بهذا المطر الجنات والحدائق ويُخرج لنا مختلف أنواع الزروع والفواكة. وتلفت الآيات الكريمة أنظارنا إلى شكر نعمة البصر وهى أن ننظر إلى نعم الله سبحانه بعين واعية وقلب مفتوح؛ ولذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾. فمن ينظر إلى طعامه وكيف تكوّن، ويسأل نفسه: من أنبت هذا الزرع؟ من أخرج هذه الثمرة؟. من جمل هذه الفاكهة؟. من جعل كل هذه الحلاوة فيها؟... من يتأمل كل هذا يجد قلبه ينطق تلقائيا: أنه الله رب العالمين الذى خلق كل شيء فأحسن خلقه.

وقد جاء ذكر «الفاكهة» فى وصف القرآن الكريم للجنة فى سورة الرحمن، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٨) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٩) هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ (٦٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦١) وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٣) مُدْهَامَّتَانِ (٦٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٥) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (٦٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٧) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (٦٨) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٩)﴾ [الرحمن].

وفى الآيات الكريمة يصف الله سبحانه وتعالى الجنة لعباده، ويبشرهم أن لهم فيها من جميع أنواع الفاكهة مما يعلمون وخير مما يعلمون. ومصداق ذلك ما رُوى عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال: جاء أناس من اليهود إلى الرسول ﷺ فقالوا: يا محمد أفى الجنة فاكهة؟ فقال الرسول ﷺ: «نعم فيها فاكهة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونخل ورمان﴾. قالوا: أفيأكلون كما يأكلون فى الدنيا؟. قال ﷺ: «نعم وأضعاف». قالوا: فيقضون الحوائج؟. قال ﷺ: «لا، ولكنهم يعرقون ويرشحون، فيذهب الله ما فى بطونهم من أذى»(١).

وبعد أن بشر القرآن الكريم عباد الله المخلصين بالجنة، يأخذنا إلى صورة أخرى لنرى ما أعد الله لهم فيها، فيقول الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلاً سَلامًا سَلامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة].

وفى الآيات الكريمة إخبار عما أعده الله سبحانه وتعالى لعباده الذين سبقوا بالإيمان، ويخبر القرآن الكريم أن من هذا النعيم الذى أعده الله لهم الأكل من فاكهة الجنة والتى لا تنقطع صيفًا ولا شتاء(٢).

وقال بعض المفسرين: يأكل أهل الجنة بعض الثمار، أما الباقى فعلى الأشجار على الدوام لا ترى فيها شجرة تخلو من ثمرها لحظة؛ لأن كل ما يؤكل يخلف بدله. وفى الحديث: «لا ينزع رجل فى الجنة من ثمرها إلا نبت مكانها مثلها»(٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٢٤٩، ٢٥٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٢٥٨، ٢٦١. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء السابع عشر ص ١٣٦. تفسير النسفى للنسفى، الجزء الرابع ص ١٢٤. صفوة التفاسير للصابونى، المجلد الثالث ص ١٦٥. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء السابع ص ١٦. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد السادس. ص ٣٤٦٤. معانى القرآن للفراء، الجزء الثالث ص١٢٥.

(٣) تفسير النسفى للنسفى، الجزء الرابع ص ١٢٤. صفوة التفاسير للصابونى، المجلد الثالث ص ١٦٥.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويكمل القرآن الكريم صورة هذا النعيم الذى أعد لعباد الله المتقين فى الجنة فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣)﴾ [الصافات].

ويقول جل وعلا: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢)﴾ [المرسلات].

ويقول الله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١)﴾ [ص].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥)﴾ [الدخان].

ونقرأ أيضا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢)﴾ [الطور].

ويقول رب العزة: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ (٥٧)﴾ [يس].

ويقول جل شأنه: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣)﴾ [الزخرف].

وتشير كل هذه الآيات الكريمة إلى أن الفاكهة هى من طعام أهل الجنة، وأن الأكل منها ليس لدفع ألم الجوع، بل هو للتلذذ[1]. ولا يسع أى مؤمن بعد قراءة هذه الآيات الكريمة إلا أن يدعو ربه مخلصا أن يجعل له نصيبا من فاكهة الجنة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٣٧. ١٢٠، ٢١٧، ٤١٧. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء السابع عشر ص ٤٦. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء السادس والعشرون ص ٩٤. تفسير المراغى للمراغى، الجزء الخامس والعشرون ص ١٠٩. صفوة التفاسير للصابونى، المجلد الثالث ص ٣٠٨، تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الرابع ص ٢٣١، ٢٤٥، ٤٢٨، الجزء الخامس ص ٣٤٨. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الخامس ص ٢٩٧٣، المجلد السادس ص٣٣٩٦، ٣٧٩٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى العموم فـالقارئ للقرآن الكريم يلاحظ أن لفظ «الفاكـهة» ورد إحدى عشرة مرة فى ثمانى سور، وأن لفظ «فواكه» ورد ثلاث مرات فى ثلاث سور.

الشجرة

الشجرة أكـبر النباتات حجمًـا، وقد يفوق ارتفاعهـا مبنى مكون من ثلاثين طابقًا، وتسـتمـر الأشجار فى النمـو طوال حياتهـا. والشجـرة هى أكبر الأحـياء المعروفة عمرا، حيث يُعمر بعض الأشجار إلى آلاف السنين. ويوجد ما يقرب من عشرين ألف نوع من الأشـجار تتفاوت بين أشجار الغابات القـوية وأشجار الزينة الهشة[1].

وللشجرة ثلاثة أجزاء رئيسية هى الجذور، والجذع، والأوراق. ويعطى الجذع وفروعه شكل الشجرة العام. وهناك أشجـار ليس لها فروع كالنخيل. أما الأوراق فهى تختلف كثيرًا من حيث الحـجم والشكل، فأشجار النخيل لها أوراق قد يصل طولها إلى أكثر من ستة أمـتار، بينما قد لا يصل طول أوراق بعض الأشجار ذات الأوراق الأبرية إلى عشرة مليمترات.

وتبدأ معظم الأشجـار حياتها كبذرة، والشجرة الصـغيرة التى تنشأ عن هذه البذرة تُسمى بادرة، وعندما يصل ارتفاع الشجرة إلى ١,٨م أو أكثر تُسمى غُريسة. وتتكاثر معظم الأشـجار جنسيًا، أى بالبـذور التى تتكون فقط بعـد اتحاد الخلـية الذكرية مع البويضة. ويمكن أن تتكاثر بعض الأشجار بطرق عديدة تُسمى التكاثر الخضرى.

وتمد الأشجار الناس بالغذاء، والألياف، والعقاقير، وأهم من ذلك كله فإنها تمدهم بالأخشاب، واستخدم إنسـان ما قبل التاريخ الخشب لتصنيع أول رمح وأول قارب وأول عجلة. وتعتبر الفواكه المأخوذة من الأشجار أحد أقدم الأغذية المعروفة للإنسان، كـما تشـمل منتجات الأشـجار الفـحم النباتى، والفلين، والصـموغ،

(١) الموسوعة العربية العالمية، المجلد الرابع عشر.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والمطاط وغيرها. ولا ينظر الناس إلى الأشجار كما ينظرون إلى بقية النباتات التى ينمو معظمها لفترة قصيرة ثم تموت، بل ينظرون إليها بوصفها معالم ثابتة فى المناظر الطبيعية.

وللأشجار دور هام فى المحافظة على التربة والمياه، ففى المناطق المكشوفة تعمل الأشجار كمصدات للرياح، كما تمنع جذورها انجراف التربة، وتساعد أيضًا على تخزين المياه فى الأرض وتساعد الأشجار فى الحفاظ على توازن الغازات ونقائها فى الجو؛ إذ تمتص أوراق الأشجار غاز ثانى أكسيد الكربون من الهواء وتطلق غاز الأكسجين، وهاتان العمليتان ضروريتان لبقاء الإنسان؛ ولا يمكن أن يعيش الإنسان فى جو ترتفع فيه نسبة ثانى أكسيد الكربون أو تقل فيه نسبة الأكسجين عن الحد المعقول.

واهتمت كل دول العالم تقريبًا بالأشجار وزراعتها، وتنص قوانين بعض الدول على تجريم قطع الأشجار، وتحدد بعض الدول أسبوعا أو أسبوعين فى السنة من أجل توعية سكانها بأهمية الشجرة فى حياتهم. واتخذت بعض الدول مثل (لبنان) إحدى الأشجار رمزًا لها ووضعت صورتها على علمها.

الشجرة فى القرآن الكريم

يقول علماء اللغة: الشجر من النبات ما له ساق، ويقال له شجرة وشجر على نحو ثمرة وثمر.

والقارئ المدقق للقرآن الكريم يلاحظ أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا عن شجرة فى الجنة وشجرة فى النار. فأما الأولى فهى التى نهى الله سبحانه وتعالى آدم وزوجه - عليهما السلام - من الاقتراب منها فى الجنة، حيث يقول تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة].

ويقول تعالى: ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعراف].

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والملاحظ من الآيتين الكريمتين أن الله سبحانه وتعالى نهى آدم وزوجه - عليهما السلام - عن الاقتراب من الشجرة، وفى هذا مبالغة فى التحريم؛ فإن مجرد الاقتراب من هذه الشجرة منهى عنه، فما بالنا بالأكل منها.

وحاول بعض المفسرين تحديد هذه الشجرة، فقال السدى عمن حدثه عن ابن عباس - رضى الله عنهما: الشجرة التى نُهى عنها آدم عليه السلام هى الكرم، وقيل لذلك حرم الله علينا الخمر. وتزعم اليهود أنها الحنطة، ويقال هى السنبلة، والحبة منها ككلى البقر أحلى من العسل وألين من الزبد. ويقال هى البُر، وقيل هى شجرة التين، وقيل هى النخلة، وقيل شجرة مَنْ أكل منها أحدث(1). وقال الإمام أبو جعفر بن جرير: الصواب أن الله سبحانه وتعالى نهى آدم وزوجه ـ عليهما السلام ـ من الاقتراب من شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها فأكلا منها، ولا علم عندنا أى شجرة كانت على اليقين؛ لأن الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك فى القرآن ولا نجد لذلك دليلا فى السنة الصحيحة، وذلك علم إذا عُلم لم ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به. وقال غيره: الثابت أن القرآن سكت عن تحديد هذه الشجرة لأن تحديدها لا يزيد شيئًا فى حكمة حظرها(2). وقال القشيرى أبو نصر: وكان الإمام والدى يقول: يُعلم على الجملة أنها كانت شجرة المحنة(3).

وأطاع آدم وزوجه - عليهما السلام - ربهما فى بادئ الأمر ولم يقربا الشجرة، ولكن عدوهما إبليس - لعنه الله - تغلغل إليهما بمكره، فوسوس لهما وسوسة خدعهما بها، وموَّه عليهما، وأقسم لهما بالله أنه لهما من الناصحين. وفى ذلك يقول تعالى: ﴿**فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾**﴾ [الأعراف]. ويقول الله

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، المجلد الأول ص ٢٠٨. تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الأول ص٥٤. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الثالث ص ٧.

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الأول ص ٦٨، ٩٦. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الثالث ص ١٢٦٨ كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الأول ص ٧٧، الجزء الثانى. ص ٥٤.

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الأول ص ٢٠٩.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ (١٢٠)﴾ [طه].

ويُفهم من الآيات الكريمة أن إبليس اللعين أقسم لآدم عليه السلام بالله أنه له من الناصحين. وقال قتادة: حلف إبليس بالله أنى خُلقت قبلكما، وأنا أعلم منكما، فاتبعان أرشدكما. وقال بعض المفسرين: قد يُخدع المؤمن بالله، ويقول بعض أهل العلم: من خدعنا بالله انخدعنا له(١).

وأكل آدم وزوجه - عليهما السلام - من الشجرة وكان ما كان، وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢)﴾ [الأعراف].

وقال الله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١)﴾ [طه].

وعندما واجههما الله لم يسعهما إلا أن يعترفا بالخطأ وأنه لا قِبلَ لهما بتحمله وتبعاته فى المسئولية ما لم يغفره لهما ربهما ويرحمهما(٢). وفى ذلك يقول تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)﴾ [الأعراف]

ومَنّ الله الكريم الغفور عليهما بالتوبة. فقال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧)﴾ [البقرة]. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢)﴾ [طه]

هذا ما كان من أمر الشجرة التى ذكرها الله فى الجنة، أما الشجرة التى ذكرها سبحانه وتعالى وأخبر عنها أنها تنبت فى أصل الجحيم، وسماها الله «شجرة الزقوم» فسوف نتعرض لها بالتفصيل إن شاء الله فى الفصل الأخير من هذا الكتاب عند الحديث عن نبات «الزقوم».

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثانى ص ١٩١. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الثانى والعشرون ص ١٢٨.

(٢) تفسير سورة الأعراف لمحمد البهى ص ٢٠.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتحدث القرآن الكريم عن ثلاث شجرات ارتبطت كل واحدة بنبى من أنبيائه - عليهم السلام - . . . **الشجرة الأولى** هى التى تمت تحتها بيعة الرضوان فى الحديبية، وتحتها بايع المسلمون رسول الله ﷺ على الحرب والقتال مما أجبر الكفار على طلب الصلح. وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** ﴿١٨﴾﴾ [الفتح].

وسبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ خرج معتمراً فى ذى القعدة من السنة السابعة من الهجرة ومعه ألف وأربعمائة من أصحابه بعد أن تخلف عنه الأعراب ممن حول المدينة. وساق النبى ﷺ معه الهدى، وأحرم ليعلم الناس أنه لا يريد الحرب. فلما علمت قريش حالت دون المسلمين ودخول مكة، فأرسل النبى ﷺ عثمان بن عفان - رضى الله عنه - إلى مكة رسولاً، فأشيع أنه قُتل. فدعا الرسول ﷺ حينئذ إلى المبايعة على الحرب والقتال، فبايعوه بيعة الرضوان تحت الشجرة التى أخبر الله تعالى الرسول ﷺ أنه رضى عن المبايعة تحتها(١). وفى الآية الكريمة يخبرنا الله تعالى عن تلك الجماعة السعيدة التى بايعت الرسول الكريم ﷺ تحت الشجرة، والله حاضر هذه البيعة وشاهدها وموثقها ويده فوق أيديهم. ويقال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**أنتم اليوم خير أهل الأرض**»(٢). ويقال سُميت هذه البيعة «بيعة أهل الشجرة»(٣). وقيل عن تلك الشجرة: أنها سمُرة وتعرف الآن بالسنط(٤). ويقال إن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه- أمر بقطع هذه الشجرة فى خلافته لما رأى أن بعض المسلمين يتبركون بها وأنها قد تكون باب خفيًّا من أبواب الشرك. والله أعلم.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ١٧٢ كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الرابع ص ٩٥، ٩٦. مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٥٨٣. تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الثانى ص ٤١٠. صفوة التفاسير للصابونى، المجلد الثالث ص ٢٢٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء السادس ص ١٨١. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد السادس ص ٣٣٢٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الخامس ص ٦٠.

(٤) تفسير المراغى للمراغى، الجزء السادس والعشرون ص ١٠٠.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما الشجرة الثانية فهى التى شهدت ابتداء أمر نبى الله موسى عليه السلام فى رسالته وتكليم الله إياه. والقصة مشهورة: وهى أن نبى الله موسى عليه السلام لما قضى الأجل الذى اتفق عليه مع نبى الله شعيب عليه السلام، سار بأهله (زوجته) عائدا إلى مصر فى خفية من فرعون وقومه. وفى الطريق نزل منزلاً، فجعل كلما أورى زنده لا يضىء وبينما هو كذلك رأى نارًا على بُعد فذهب إليها، فلما أتاها من جانب الوادى مما يلى الجبل عن يمينه من ناحية الغرب وجد النار تضطرم فى شجرة خضراء فى لهف الجبل مما يلى الوادى. فوقف موسى ـ عليه السلام ـ باهتًا فى أمرها فناداه ربه وبدأت بعثة موسى - عليه السلام -. وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠)** ﴾ [القصص].

واختلف المفسرون فى تحديد نوع هذه الشجرة. فقيل: كانت سمرة خضراء ترف. وقيل: هى شجرة من العليق. وبعض أهل الكتاب يقولون أنها من العوسج. وقال قتادة: هى من العوسج، وعصاه من العوسج. وقيل: شجرة عُناب[1]. وتوجد (عليقة) فى وادى سانت كاترين بجنوب سيناء ويضمها الآن (دير سانت كاترين) يقال عنها أنها الشجرة المقصودة فى الآيات الكريمة، وهى مازالت خضراء. والله تعالى أعلم.

أما الشجرة الثالثة فهى التى أنبتها الله عز وجل على نبيه يونس عليه السلام بعد أن ألقاه الحوت على الشاطئ، وقال عنها المولى تبارك وتعالى أنها شجرة من يقطين. وسوف نتعرض لها بشىء من التفصيل عند الحديث عن نبات «اليقطين» فى الفصل الأخير من هذا الكتاب إن شاء الله.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثالث ص ٣٦٣. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الخامس ص ٢٦٩١. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الثالث عشر ص ١٨٦. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الثالث ص ٢٢٩. ملاك التأويل للعاصمى، الجزء الثانى. ص ٨٠٦. مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٤٣٨. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الرابع ص١٥، ١٦. تفسير النسفى للنسفى، الجزء الثالث ص ٢٣٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعندما أراد القرآن الكريم أن يضرب المثل للكلمة الطيبة أورد الشجرة الطيبة، وعندما أراد أن يضرب المثل للكلمة الخبيثة أورد الشجرة الخبيثة والتى أوجب على الإنسان أن يقطعها وينزعها من الأرض حتى لا يكون لها قرار(1). وفى ذلك يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ [إبراهيم].

وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾: هى النخلة(1)، وقيل: هى شجرة فى الجنة تؤتى أكلها غدوة وعشيا. وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس - رضى الله عنهما - ﴿مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ هى شهادة لا إله إلا الله ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ وهو المؤمن ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ وهو قول لا إله إلا الله فى قلب المؤمن، ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ أى يرتفع بها عمل المؤمن إلى السماء. والظاهر من السياق أن المؤمن مثله كمثل شجرة لا يزال يوجد منها ثمر فى كل وقت من صيف أو شتاء أو ليل أو نهار.

وقالوا فى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: هذا مثل كفر الكافر لا أصل له ولا ثبات ولا برهان ولا يُرفع له عمل إلى الله سبحانه ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ قيل: هى شجرة الحنظل. وقيل: شجرة الشريان. وقيل: هى شجرة الثوم. وقيل: هى شجرة الكشوث وهى شجرة لا ورق لها ولا عروق فى الأرض. ويُروى عن أنس ابن مالك - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: ومثلُ كلمة خبيثة كشجرة خبيثة هى الحنظلة(2). وقيل: فى تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ إن الكلمة الطيبة هى كلمة الحق، الشجرة الطيبة ثابتة سامقة مثمرة، ثابتة لا تزعزعها

---

(1) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الأول ص ٢٥٧.

(٢) أحكام القرآن لابن العربى، القسم الثالث ص ١١١٧.

(٣) تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الأول ص ٥١٨. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثانى ص٤٨٦. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء التاسع ص ٢٣٧. تيسير الكريم الرحمن فى كلام المنان للسعدى، الجزء الثانى ص ٤٩٩، ٥٠٠. مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٢٨٧. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء التاسع عشر ص ١٢٦. الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى، الجزء الثالث ص ٢٣٢. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٣٢. تفسير المراغى للمراغى، الجزء الثالث عشر ص ١٤٩.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأعاصير ولا تعصف فيها الرياح. ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: الكلمة الخبيثة هى كلمة الباطل كالشجرة الخبيثة قد تهيج وتتعالى وتتشابك، ولكن تظل جذورها قريبة من سطح الأرض، وكأنها على وجه الأرض، وما هى إلا فترة وتُجتث من فوق الأرض ما لها من قرار(١). وقيل: شبه الله سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح والشجرة الطيبة تثمر الثمرالصالح. وشبه الله سبحانه وتعالى الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة لأنها لا عرق ثابتا لها ولا فرع عاليا ولا ثمرة ذكية ولا ظل ولا جنى، وهذا مثل للكافر الذى لا خير فى عمل يقوم به ولا يجعل الله فيه بركة(٢).

ويتطرق القرآن الكريم فى أكثر من موضع لفضل الله سبحانه وتعالى على عباده. ومن فضله سبحانه أنه يُنزل لهم من السماء ماءً فيخرج لهم بهذا الماء شجرا يأكلون منه ويرعون أنعامهم(٣). وفى ذلك يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠)﴾ [النحل]

ويكمل القرآن رسم الصورة حيث يقول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠)﴾ [النمل].

وتبين الآيتان الكريمتان أن الله وحده هو المنفرد بالخلق والرزق والتدبير؛ فهو الذى خلق السموات والأرض، وأنزل من السماء المطر فأنبت لنا كل نبات جميل. وينفى القرآن الكريم هذه القدرة عن غير الله سبحانه وتعالى فيقول الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا﴾ ويقول علماء اللغة: ﴿مَّا كَانَ﴾ تأتى للماضى وللتوكيد وبمعنى القدرة كقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا﴾(٤).

---

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الرابع ص ٢٠٩٨.

(٢) أمثال القرآن لابن قيم الجوزية ص ٣٧ - ٤٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء العاشر ص ٥٥. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الثانى ص ٢٧٥. تفسير سورة النحل لمحمد البهى ص ١٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثالث ص ٣٤٦. البرهان فى علوم القرآن للزركشى، الجزء الرابع ص ٣١١.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويواجه القرآن الكريم أهل الشرك وإنكار البعث بأدلة وبراهين تثبت لهم خطأ معتقداتهم، وأن البعث حق، بل ويحدث أمامهم كل يوم ما يؤكد أن الله قادر على إخراج الموتى من قبورهم. وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الإنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [يس].

ويقال إن سبب نزول هذه الآيات، أن العاص بن وائل - وقيل أبى بن خلف - جاء بعظام بالية ففتتها وذرها فى الهواء، وقال: يا محمد أيبعث الله هذا بعد ما أرم؟. فقال رسول الله ﷺ: «نعم يبعث الله هذا، ويميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم». فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ فَعلَّمَ سبحانه كيفية الاستدلال برد النشأة الأخرى إلى الأول والجمع بينهما بعلة الحدوث، ثم زاد فى الحِجَاج بقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾. وفى هذا غاية البيان فى رد الشىء إلى نظيره[1]. وقال قتادة فى قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا﴾: أى الذى أخرج لكم هذه النار من هذا الشجر لقادر على أن يبعث الموتى من قبورهم. وفسر بعض العلماء «الشجر» فى قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا﴾ بأن هذا الشجر هو زناد العرب وهو شجر المرخ والعفار وينبت فى أرض الحجاز. فكان إذا قُطع من كل واحد منهما غصن أخضر يُقطر منه الماء فيُسحق المرخ على العفار فتنقدح النار بينهما. وقال ابن عباس - رضى الله عنهما - : ليس من شجر إلا وفيها نار إلا العُناب، ولكن فى المرخ والعفار أكثر[2]. ويوجه القرآن الكريم سؤالا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الرابع ص ٢٣٧. البرهان فى علوم القرآن للزركشى، الجزءالثانى ص ٢٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثالث ص ٥٤٢. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الثالث ص ٣٦٤. تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الثانى ص ٢٨١. مناهج الجدل فى القرآن الكريم لزاهر الألمعى ص ٣١٧ - ٣١٩، تفسير النسفى للنسفى، الجزء الرابع ص ١٤. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٦٨.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلى الكفار ومنكرى البعث: أرأيتم النار التى تظهر بالقدح من الشجر الرطب هل أنتم المخترعون لها والخالقون لها؟[1]. وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الواقعة]

أما من الناحية اللغوية فيقول الزركشى فى كتابه: «البرهان فى علوم القرآن»: فى قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾: فى هذا طباق خفى فكأنه جمع بين الأخضر وهو لون الشجر وبين الأحمر وهو لون النار، وهذا أيضا فيه تدبيج بديعى[2].

وربما يكون فى الآية الكريمة: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ توجيه قرآنى إلى صناعة الطاقة. فالطاقة هى العنصر الهام والأساسى فى كل إنتاج، والشجر هو المورد الأساسى والدائم والأهم فى كل طاقة. وربما تدل الآية الكريمة أيضا على أن أساس الفحم النباتى والنفط أيضًا كان يومًا ما شجرًا أخضر وتحول عبر ملايين السنين إلى طاقة ونار.. والله أعلم بمراده.

والحقيقة أن من إعجاز القرآن أن آياته الكريمة تُفسر حسب إمكانيات الناس المعرفية والعقلية فى كل زمان. فمثلا فسر الأقدمون قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ بأن ذلك هو المرخ والعفار لأنهما كانا يُستخدمان فعلا فى اشعال النار رغم أنهما نباتان لهما لون أخضر. ثم توالت الاعوام واكتشف الإنسان الفحم، وعرف أن الفحم أصله النبات الأخضر الذى تحول عبر ملايين السنين إلى فحم، وهنا فسر الناس الآية الكريمة على أن المقصود هنا هو الفحم، ثم اكتشف النفط وتأكد أن أصله كان يومًا ما نباتًا أخضر تحول عبر ملايين السنين إلى نفط، وهنا اتجه عقل الإنسان إلى تفسير الآية على أن المقصود

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء السابع ص ١٤٣ فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الخامس ص٢٩٧٧. دراسات فى التفسير الموضوعى للقرآن الكريم للألمعى ص ٢٨٧.
(٢) البرهان فى علوم القرآن للزركشى، الجزء الثالث ص ٤٥٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هو النفط . . . وهكذا. فإننا نجد فى القرآن المعجز ما يلبى حاجات الناس المعرفية والعقلية فى سائر الأزمنة إنه المعجزة الخالدة فى كل زمان.

ومن الناس من له شغف بالإغراب فى القول وإن حاد عن الجادة، وركب مسلكًا وعرًا؛ فكلفوا أنفسهم من الأمر ما لا يطيقون. ومن ذلك قول بعضهم فى قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا﴾ قالوا: يعنى بالشجر إبراهيم عليه السلام، أما النور فهو محمد ﷺ، ﴿فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ أى تقتبسون الدين!![1]. وهذا تفسير من الغرائب لاتدل عليه اللغة، وهو تأويل غريب لنصوص القرآن. والله أعلم بمراده.

ويبين لنا القرآن الكريم أن الله تعالى عليم بكل شىء، لطيف بكل خلقه حتى النحلة فى خليتها علمها الله كيف تتخذ من الأشجار بيوتًا، وكيف تأكل من كل الثمرات وتسلك لها سبلاً لا تخطئها إطلاقا مهما بُعدت الشُّقة وتعود إلى خليتها لتخرج لنا عسلاً مختلف الألوان حسب نوع الثمار والأشجار التى أكلتها ما بين أحمر قان، وأحمر فاتح، وأصفر، وأبيض[2]. وفى ذلك يقول رب العزة والجلال: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [النحل].

وتبين الآيتان الكريمتان أن الله سبحانه وتعالى هو الذى علم النحل وأرشده بالفطرة، فما فى النحل إذن من قدرات على الإعداد وفى إتقان إنتاجه يدل على قدرة الخالق سبحانه وتعالى، ولكن لا يقف على ذلك إلا أولئك الذين يتفكرون ويربطون النتائج بمقدماتها[3].

---

(١) مباحث فى علوم القرآن للقطان ص ٣٥٨. التبيان فى علوم القرآن للصابونى ص ١٨٢. الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى، الجزء الثانى ص ٢٩٥، ٤١١.

(٢) دنيا الزراعة وما فيها من آيات لعبد الرزاق نوفل، ص ٧٩، ٨٠.

(٣) تفسير سورة النحل لمحمد البهى ص ٥٨، ٥٩.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتأخذنا الآيتــان الكريمتان إلى تاريخ النحل على الأرض وتحـوله من الحالة الوحشيــة إذ كان يسكن الجبال ثم نزل وسكن الشجر، ثم أقــام له الإنسان الخلايا الصناعية. والحقيقة أن نظام خلايا النحل وحياته تؤكد أن ما يقوم به هو وحى من الله، فــإن قرص الشــمع الذى يصنــعه النحل لا يــمكن إلا أن يكون من علم الله الذى علمه للنحل[١]. ويقول ابن عربى: ومن عــجيب ما خلق الله فى النحل أن ألهمها لاتخاذ بيوت مسدسة فبذلك اتصلت حتى صارت كالقطعة الواحدة؛ وذلك أن الأشكال من المثلث إلى المعـشر إذا جُـمع كل واحد منهـا إلى أمثاله لـم يتصل وجاءت بينها فُرج إلا الشكل السداسى فإنــه إذا جُمع إلى أمثاله اتصل وكأن قطعة واحدة[٢]. أليس فى كل هذا دليل على علم الله العظيم وقدرته؟.

ويخبرنا القرآن الكريم عن سعة كلام الله عز وجل، وعظمة قوله بشرح بليغ تنبهر له العقول، وتتفتح له القلوب، فيقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنۢ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان].

وتخبرنا الآية الكريمة عن عظمة الله وكبريائه وجلاله وصفاته العلا وكلماته التامة التى لا يحيط بها أحد. والدليل على ذلك: أنه لو أن جميع أشجار الأرض جُعلت أقلاما وجُعل البـحر مداداً، وأمده سبعة أبحر معــه فكُتبت بها كلمات الله الدالة على عظمتــه وصفاته وجلاله لتكســرت الأقلام ولنفد ماء البــحر، ولو جاء أمثـالها مدداً. وقــيل: إنما ذكرت «سبــعة أبحر» على وجــه المبالغة. وقــال الحسن البصرى: لو جُعل شــجر الأرض أقلامًا وجُعل البحــر مداداً، وقال الله تعالى: إن من أمرى كذا وكذا لنفد البحــر وتكسرت الأقلام ولم تنفد كلمات الله. وقيل: إن سبب نزول هذه الآية أن المشركين قــالوا عن القرآن: إنما هذا كلام يوشك أن ينفد

---

(١) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الثانى ص ٢٨٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجـزء العاشر ص ٨٩. تفسير القرآن العظيم لابن كـثير، المجلد الثانى ص ٥٢٨.

فأنزل الله هـذه الآية. وقيل إن اليـهود قالوا: قـد أوتينا التوراة وفـيهـا العلم كله فنزلت هذه الآية لتدل على أن ما عندهم قليل من كثير(١).

وقال بعض المفسـرين: توضح الآية أن كلمات الله هى نفسها غيـر متناهية، وقرب الأمر على أفـهام البشر بما يتناهى، لأنه غـاية ما يعهده البـشر من الكثرة. وقال بعض المحـققـين: تضمنت الآية أن كلمـات الله تعالى لم تكن لتـنفر، ولم تتضمن الآية أنهـا تنفر بأكثر من هذه الأقلام وهذه البـحور السبع(٢). ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف].

ويأخذنا القرآن الكريم إلى صورة مـعبرة جميلة وهى سجود الشـجر لخالقه سبـحانه، ليبـين لنا أن هذا الوجود مـرتبط ارتباطًا وثيـقًا بمصدره الأول وخـالقه المبدع. فـالخلائق كلها مـا يدركه الإنسان ومـا لا يدركه تتجـه إلى الله وحده دون سواه(٣). وفى ذلك يقول رب العزة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج].

وتبين الآية الكريمة سجود الشجر مع بقـية الكائنات العاقلة والجامدة المكلفة وغيـر المكلفة. وسجود كل شيء مـا يختص به، وقالوا: سـجود الشجر والجـبال والدواب تسجد ظلالها. والله أعلم.

---

(١) تفسير القرآن العظيـم لابن كثير، المجلد الثالث ص ٤٢٢. تيسير الكريم الرحـمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الرابع ص ١١١، ١١٢. كتاب التـسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الثالث ص ٢٧٨. مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٤٦٥. تفسير النسفى للنسفى، الجزء الثالث ص ٢٨٣.

(٢) الجـامع لأحكام القرآن للقـرطبى، الجـزء الرابع عشـر ص ٥٢. فى ظلال القـرآن لسيـد قطب، المجلد الخامس ص ٢٧٩٥. البـرهان فى علوم القرآن للزركـشى، الجزء الثالث ص ٥٤. تفـسير الفـخر الرازى للرازى، الجزء الخامس والعشرون ص ١٥٧. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء السادس ص ١٦٨.

(٣) فى ظلال القـرآن لسيد قطب، المجـلد الرابع ص ٢٤١٤، المجلد السادس ص ٣٤٤٨. تفـسير الـنسفى للنسفى، الجزء الثالث ص ٩٦.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويكمل لنا القرآن الكريم الصورة الجميلة فى قوله تعالى: ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ ﴾ [الرحمن].

وفسر بعض المفسرين الآية الكريمة فقالوا: النجم هو ما نجم من العشب والبقل وشبهه، والشجر ما قام على ساق[1]. والنجم عند ابن عباس - رضى الله عنهما - هو النبات الذى لا ساق له، والشجر هو النبات الذى له ساق. أما السجود فهو التذليل والانقياد لله تعالى. وقيل: سجود النجوم بالتنقل بالبروج، وسجود النبات إخراج الثمار. وقيل: سجود الشمس غروبها، وسجود النبات ظله[2]. وقال بعضهم النجم: أى نجوم السماء[3]. والله أعلم بمراده.

وعلى العموم توضح الآيات الكريمة أن كل ما يخرج من الأرض من زروع إنما يسجد لله سبحانه وتعالى سجود الولاء والطاعة[4]. والغريب أننا نجد أن الشجر غير العاقل يسجد لله خالقه بينما هناك من وهبهم الله العقل ويتكبرون عن السجود لخالقهم!!.

(١) معانى القرآن للفراء، الجزء الثالث ص ١١٢. تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الثانى ص ٤٥١. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء التاسع عشر ص ٢٤٣. تفسير النسفى للنسفى، الجزء الرابع ص ٢٠٧. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣٦. تفسير المراغى للمراغى، الجزء السابع والعشرون ص ١٠٥.

(٢) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الرابع ص ١٥١ تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثالث ص ٢٠٠. مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٣٧٣. صفوة التفاسير للصابونى، المجلد الثالث ص ٢٩٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الخامس ص ١٥١. الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى، الجزء الثانى ص ١٨٣. الجزء الثالث ص ٢٥١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الثانى عشر ص ١٧، الجزء السابع عشر ص ١٠١. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٢٤٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثالث

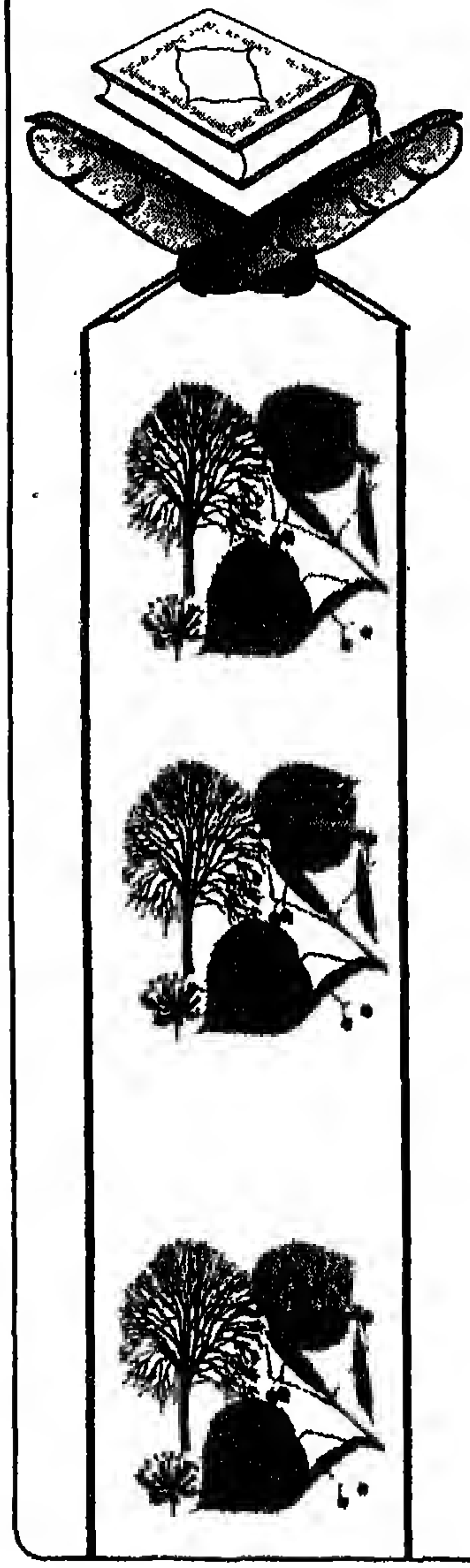

نباتات جاء ذكرها في القرآن الكريم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١ ـ الأثل

الأثل أشجار من جنس الطرفا، ويُطلق عليه أحيانًا اسم العبل[١]. ويقال: الأثل هو الطرفاء البستانية، والواحدة أثلة والجمع أثلات[٢]. وقيل: الأثل هو السمر[٣]. والأثل شجر ثابت الأصل، مستقيم الساق، معمر، كثير الأغصان، ليس له زهر، ويثمر على عقد أغصانه حبا كالحمص يُسمى (القزبا).

والأثل من الشجر الذى ينزل عليه المن، وهُو يزرع فى الحدائق والمتنزهات. ويمتاز بمقاومة الملوحة والعطش والجفاف؛ ولذا فهو منتشر فى المناطق الجافة أو الملحية من العالم. كما أنه يُزرع كمصدات رياح خاصة فى الأرض الرملية. وهو ينمو بريًا ويوجد بكثرة فى شبه جزيرة سيناء بمصر.

وتُستخدم أخشاب شجر الأثل فى صناعة الأثاث. وقيل اتُّخذ منبر رسول الله ﷺ فى المدينة المنورة من أثل الغابة، والغابة تقع على بعد تسعة أميال من المدينة المنورة. كما تُدبغ بثمر الأثل الجلود، وكانوا يصنعون منه الأمِدَّة للكتابة.

واستخدم الأثل فى الطب الشعبى قديمًا. وجاء فى كتاب «الطب النبوى» للذهبى: ثمرة الأثل تساعد فى علاج الربو والسعال، وتخفيف آلام الأسنان، وهى تقطع الدم ، وتقبض البطن. وإذا عُملت جروح أو شقوق فى جذوع الأشجار فإنها تسيل مادة عسلية تُستخدم كغذاء كالعسل[٤]. كما أن جذور الأثل

---

(١) الأشجار والشجيرات بالمملكة العربية السعودية، لسيد فرج خليفة.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الرابع عشر ص ١٨٤. معانى القرآن للفراء، الجزء الثانى ص٣٥٩. كلمات القرآن - تفسير وبيان - للشيخ مخلوف. المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى ص١٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثالث ص ٤٩٥، ٤٩٦.

(٤) الطب النبوى للذهبى ص ٤٦.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إذا طُبخت بالخل وسُقيت عالجت الكبد ، كما يُجلس فى طبيخه لسيلان الرحم. وطبيخ ورق الأثل بالماء يقتل القمل[١].

الأثل فى القرآن الكريم

ورد ذكر الأثل فى القرآن الكريم مرة واحدة فى قصة سبأ المشهورة[٢]. ومملكة سبأ (٩٥٠ - ١١٥ ق م) يرى كثير من الباحثين أنها أقدم الممالك التى عرفها جنوب غربى شبه الجزيرة العربية. وعرف أهل سبأ الزراعة وساعدهم هذا على أن يحيوا حياة مستقرة، وأدى بهم إلى أن يخطوا خطوات كبيرة نحو التقدم والمدنية. واتخذ السبئيون (أهل سبأ) فى أول أمرهم (صَرْواح) عاصمة لهم، ثم ما لبثوا أن نقلوا عاصمتهم إلى (مأرب)، وأصبحت مأرب مركزًا تجاريًا مهمًا. واعتمدت حضارة السبئيين على تجارة القوافل البرية التى كانت تنقل البضائع من حضرموت شرقا إلى مأرب غرباً، ومن هناك كانت القوافل تسير شمالا إلى المناطق العربية القريبة من البحر المتوسط وإلى غيرها. وكانت هناك صلات قوية أقامتها (سبأ) بين شبه الجزيرة العربية ومصر وبلاد ما بين النهرين وفارس.

وكان العرب يضربون الأمثال فى أشعارهم بمملكة سبأ وسدها ويقول أحدهم مادحًا:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ ∴ يبنون من دونه سيله العرما

ويقول آخر

الواردون وتيم فى ذُرى سبأ ∴ قد عض أعناقهم جلد الجواميس

وقد اشتهرت سبأ بين الأمم القديمة، وجاء ذكرها فى التوراة، بأنها بلاد تنتج الطيوب واللبان والأحجار الكريمة ومعدن الذهب. وذكر القرآن الكريم قصة

---

(١) المعتمد فى الأدوية المفردة للغسانى.

(٢) سُئل رسول الله ﷺ عن سبأ: ما هو؟ أرجل؟ أم امرأة؟ أم أرض؟ فقال رسول الله ﷺ: «بل هو رجل وُلدَ له عشرة، فسكن اليمن منهم ستة، .والشام منهم أربعة.(تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثالث ص ٤٩٥، ٤٩٦).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سبأ فى أكثر من موضع؛ فحكى عما كانوا فيه من النعيم؛ إذ كانوا فى أخصب البلاد وأطيبها. وذكر القرآن الكريم سد مأرب الذى أقامته ملكتهم (بلقيس)، وبين أن أهل سبأ كفروا النعمة، وطغوا، وكانوا كفارا يعبدون الشمس من دون الله(١) وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ].

وقال المفسرون فى قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾: سيل العرم هوالسيل الجارف الذى أرسله الله على سبأ. وقيل العرم هو اسم للوادى، وقيل اسم للمُسناة التى هى الحاجز الذى يحجز الماء.

وتبين الآيات الكريمة أن الله جعل بلدة (سبأ) بلدة طيبة، لحسن هوائها وقلة وخمها وحصول الرزق الرغد فيها؛ فكانت الحدائق والجنان على ضفتى الوادى تنبت الثمار الطيبة من كل نوع ولون، فأكلوا فيها وتنعموا بثمارها وطيب بلادهم حتى قيل أن المرأة كانت تمشى تحت الأشجار وعلى رأسها مكتل أو زنبيل فيتساقط من الأشجار ما يملؤه من غير كلفة ولا قطاف لكثرته ونضجه(٢). ولكن أهل سبأ أعرضوا عن المنعم وطغوا فى البلاد، فاستحقوا العقوبة والنقمة، فأرسل الله على سدهم الجرذان فأوهنت أسفل السد، ثم أرسل السيل الجارف الذى هدم السد، وحمل معه الحجارة ليدمر الجنان التى تقع على ضفتى الوادى فتحولت تلك الأشجار المثمرة إلى أشجار ذات شوك (وأثل) وسدر ردىء. وأصبحت خرابًا بعد عمارها، حتى ضُرب المثل لفرقتهم فقيل «تفرقوا أيدى سبأ»(٣).

---

(١) الموسوعة العربية العالمية، المجلد الأول. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الرابع عشر ص ١٨٢، ١٨٣. مجلة القافلة، عدد ديسمبر ١٩٩٣م ص ١٥.

(٢) صفوة التفاسير للصابونى، المجلد الثانى ص ٥٥٠.

(٣) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الثالث ص ٣٤٤. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الرابع ص ١٧٦ - ١٧٨. معانى القرآن للفراء، الجزء الثانى ص ٣٥٩. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الخامس والعشرون ص ٢٥٢.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن الآيات الكريمة يتضح لنا بشكل جلىٍّ أن كفر النعمة كان سببا فى تحول النعيم الذى كـان فيه أهل سبأ، من جنـتين عن يمين وشمال إلـى أشجار من أثل وشتان بين الاثنين.

٢ ـ البصل

كان البصل مـعروفًا لدى قدماء المصـريين يأكله جميع أفراد الشـعب ما عدا الرهبان؛ إذ كان مُحرما عليهم. كما كان يُقدم قربانًا للآلهة، ويقولون: إن الفراعنة كانوا يقدسون البصل، بل ويقسمون به(١).

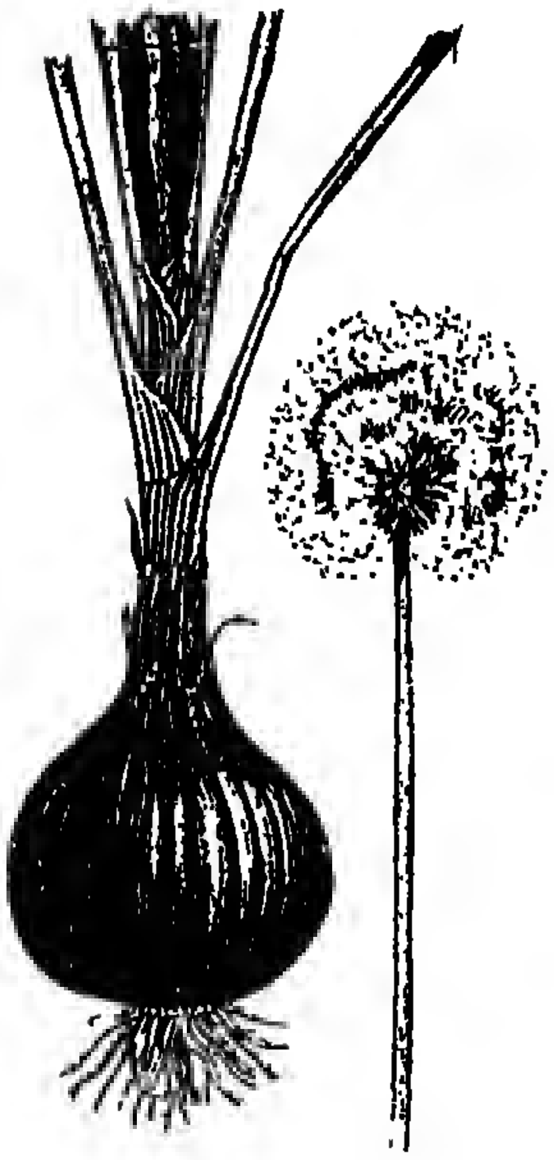

ومن الناحيـة الزراعيـة فإن معظـم أنواع البصل تنائية الحول أى أنها نباتات تتطلب سنتين لإكمال دورة حياتها. ويُزرع البـصل بالشتلات أو البذور. ويتطلب البصل تربة خـفيفة غنيـة، كما يتطلب كثـيرًا من الماء خصوصًا عندما يكون صغيرًا.

ويُزرع أربع مـجمـوعـات من البصل تشـمل: المحصول الرئيسى الذى يُبـذر فى الربيع، ويُحصد فى الخريف، ويُخزن للاسـتخدام فى الشتـاء. والمحصول الصـيـفى وهو ينمـو مـن بذور بُذرت فى الخـريف. والبصـل الربيعى أو بصل السلطة وهو الذى يُـبذر فى الربيع أو الخريف ويُقطف عندما يكون أخضر. وبصل التـخليل وهو يُـذر فى الـربيع، وهو سـريع النمـو، ويُقطف فى الصيف.

---

(١) عالم النبات فى طب وأمثال الأجداد للمؤلفين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويحتوى البصل على مركبات كبريتية تكسبه طعمه ورائحته الخاصتين. ويختلف البصل فى قوة نكهته، حيث يستخدم الناس البصل الكروى الأصفر قوى المذاق فى صنع الحساء. أما البصل الأسبانى الحلو فغالبا ما يؤكل نيئًا فى السلطة وعمومًا يؤكل البصل نيئًا ومطبوخًا، ومجففًا ومخللاً.

ووجود البصل فى الوجبة يحفز إفراز العصارات الهاضمة ويساعد على الهضم. وفى صعيد مصر يأكلون البصل المشوى فيقوى الجسد، ويحمر الوجه، ويشد العضلات[١]. ويمكن استخدام البصل فى علاج الجروح. وأثبتت الأبحاث الحديثة أن البصل فى طليعة النباتات التى تقتل الجراثيم[٢]. وذكر العالم «جورج لاكوفسكى» فى مجلة «كل شىء» العلمية الفرنسية: أنه حقن بمصل البصل كثيراً من المرضى، ولا سيما مرضى السرطان فحصل على نتائج طيبة جداً. وأُعلن فى الولايات المتحدة الأمريكية أن العلماء أنتجوا عقارا من البصل ثبت أنه يعالج أمراض الالتهاب الرئوى والحمى القرمزية. ويُباع فى الصيدليات شراب ولبوس مستخلص من البصل لتخفيف آلام البروستاتا.

البصل فى القرآن الكريم

ذكر الله سبحانه وتعالى البصل فى القرآن الكريم مرة واحدة فى سورة البقرة فى سياق قصة بنى إسرائيل. والحقيقة لم يشهد تاريخ أمة ما شهده تاريخ بنى إسرائيل من جحود واعتداء وتنكر للهداية. فقد كانوا بين الصحراء بجدبها وصخورها والسماء بشواظها، فأما الحجر فقد أنبع الله لهم منه الماء، وأما السماء فأنزل لهم الله منها المن والسلوى عسلاً وطيراً. إلا أن كل هذا لم يرق لهم وخاطبوا نبيهم موسى عليه السلام بفظاظة يحسدون عليها فقالوا قولاً سجله القرآن

(١) النباتات الزهرية (نشأتها - تطورها - تصنيفها) لشكرى إبراهيم سعد.
(٢) عالم النبات فى حياة الرسول ﷺ للمؤلفين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عليهم فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة].

ولننظر إلى قولهم إلى رسول الله موسى عليه السلام: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾، ما هذه الوقاحة، أو ليس رب موسى ربهم؟. ثم إنهم نسبوا النبات إلى الأرض ولم ينسبوه إلى خالق الأرض والنبات فقالوا: ﴿يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ﴾ ما هذه الوقاحة؟. وقال أكثر المفسرين: سؤال بنى إسرائيل أن تنبت لهم الأرض نباتها هو فى حد ذاته معصية؛ لأنه عدم رضا.

وتضمنت الآية الكريمة ذكر البصل مع غيره من النباتات. فأما «البقل» الوارد فى الآية الكريمة فقيل: هو النبات الذى ليس بشجر ولا يقوم على ساق(١). وقيل: هو النبات الذى لا ينبت أصله ولا فرعه فى الشتاء(٢). وسوف نتعرض إن شاء الله لشرح كل نبات ورد ذكره فى الآية الكريمة خلال هذا الفصل من الكتاب.

أما قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ فهو استنكار لطلبهم، فهم يطلبون طعامًا يستلزم العمل الشاق من زراعة ورى وحصاد بدلا مما لا تكلف فيه ولا مشقة وهو المن والسلوى الذى كان ينزل عليهم بغير مؤنة(٣). فهل هناك عاقل يفضل البصل على المن والسلوى؟!. إن المسألة لا تخرج عن أنها عناد وعدم رضا من بنى إسرائيل ليس إلا.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، المجلد الأول ص ٢٢٨. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الأول ص ٧٠.

(٢) المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى ص ٥٦.

(٣) فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الأول ص ٧٤. ملاك التأويل للعاصمى، الجزء الأول ص ٢١٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولو نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ نظرة علميــة بحتة فإننا نجـد أن البقول والبـصل هى بروتينات نباتية، أمـا السلوى فهى بروتينات حيوانية. وأثبت العلم الحديـث أن البروتين الحيوانى الموجود فى السلوى هو أفضل كثيرًا من البروتين النباتى، كما دلت الأبحاث العلمية أن البروتين النباتى يرهق الجسم فى تحويله إلى طاقـة بعكس البروتين الحيوانى؛ وهو ما قد يـشير إليه قول الله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾»[1]. وهذا فى حد ذاته يعتبر سبقا علميا للقرآن الكريم. والله أعلم بمراده.

٣ـ التين

التين فاكهة تُزرع منذ أكثر من أربعة آلاف سنة، وربما يعود أصله إلى جنوب غرب آسيا، ثم انـتشرت زراعته حتى وصلت إقليم البـحر المتوسط. وهناك وثائق قديمة يونانية وروميـانية ومصرية تصف رواج التين كطعام، ومـا زالت نقوش التين موجودة على جدران معابد الفراعنة، حـيث توجد بمقبرة (خنومحتب) (١٩٢٠ - ١٩٠٠ ق. م) ببنى حسن صورة لشجرة تين اعتلتها ثلاثة قرود وهى تجمع ثمارها وتناولها لاثنين من الفـلاحين[2]. ومعظم أشـجار التين يقل ارتفـاعها عن عـشرة أمتار، ويبلغ متوسط محيط جذعها متـرًا واحدًا. وللأشجار أوراق مشققة بعمق. وثمار التين صغـيرة وهى إما مستديرة، أو على شكل الكمثـرى، ولقشرتها ألوان مختلفة فهى إما خضـراء، أو صفراء، أو وردية، أو أرجوانية، أوبنية، أو سوداء. وأشجار التين تطرح محصولها مرتين أو ثلاث مرات سنويا. ويتكاثر التين بطريقة العُقل أو التـرقيد أو التطعيم. وتـنمو أشجار التـين فى المناخ الحار الجاف صيـفًا. والبارد الرطب شـتاءً. والبلدان الرئيسيـة فى إنتاج التين هى البرتغـال، وإيطاليا، واليونان، وتركيا، ومصر.

---

(١) دنيا الزراعة وما فيها من آيات لعبد الرزاق نوفل ص ٨٠، ٨١.

(٢) الموسوعة العربية العالمية، المجلد السابع. مجلة الخفجى، عدد يناير ١٩٨٨م.

ويوجد أربعة أنواع رئيسية من التـين هى: التين البرى، وتين أزمير، والتين الشائع، وتين سـان بدرو. وتعانى أشجار التـين من ذبابة فاكهة البـحر المتوسط، ومن الديدان الصغيـرة المسماة بالديدان الخيطية، وهى تعد من أكـثر الأوبئة إضراراً بأشجار التين.

وثمار التين سريعـة التلف، ومن الصعب شحنها لمسافات بعيدة لـتسويقها؛ ولهذا يقوم المزارعون بتـجفيف محصولهم إما فى الشـمس أو فى أفران قبل شحنه إلى الأسواق البعيدة.

وتحتـوى ثمار الـتين على نسـبة عـالية من السكر، وهو يؤكل طـازجًا، أو مجففًا، أو معلبا، أو محـفوظًا فى السكر. ويدخل التين فى العديد من الوصفات الشعبية المستخدمة فى كثير من البلدان العربية لعلاج الكثير من الأمراض[١].

---

(١) عالم النبات فى حياة الرسول ﷺ للمؤلفين. عالم النبات فى طب وأمثال الأجداد للمؤلفين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التين فى القرآن الكريم

ذكر الله سبحانه وتعالى التين مرة واحدة فى القرآن الكريم فى مستهل سورة التين، حيث أقسم به الله سبحانه وتعالى، فقال رب العزة: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١﴾ [التين].

ويقول العلماء: القسم بفتح السين بمعنى الحلف واليمين. والقسم من المؤكدات المشهورة التى تُمكن الشىء فى النفس وتقويه. وقد نزل القرآن للناس كافة، ووقف الناس منه مواقف متباينة، فمنهم المؤمن، ومنهم الكافر، ومنهم الشاك، ومنهم الخصم. فالقسم فى كلام الله يزيل الشكوك ويحبط الشبهات ويقيم الحجة ويؤكد الأخبار ويقرر الحكم فى أكمل صورة.

ونعود إلى قوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١﴾ فنجد أن المفسرين اختلفوا فى تفسير معنى «وَالتِّينِ» فى الآية الكريمة؛ قال ابن عباس - رضى الله عنهما - هو تينكم هذا وزيتونكم[1]. وقال الإمام الطبرى: أقسم الله بالتين الذى يؤكل والزيتون الذى يُعصر، وكذلك قال كثير من المفسرين. ويرى بعض المفسرين أن هذا التفسير لا يتناسب مع ذكر ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ۝٣﴾ [التين]؛ لأن ذلك يكون فى مجموعه ذكر شيئين مأكولين «وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ» مع مكانين « وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ۝٣». ويقال تأكيدا لذلك: أقسم الله فى الآيات الكريمة بالبقاع المقدسة التى شرفها سبحانه بالوحى والرسالات السماوية، فقيل: المقصود (بالتين) هو جبل التين الذى ظهر فيه أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، أما «الزَّيْتُونِ» فهو جبل الزيتون الذى ظهر فيه المسيح عليه السلام وهما حول بيت المقدس، أما طور سنين فهو المكان الذى ظهر فيه موسى عليه السلام، وأما البلد الأمين فهو مكة الذى ظهر فيه محمد ﷺ[2].

---

(١) معانى القرآن للفراء، الجزء الثالث ص ٢٧٦. المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى ص ٧٦. تفسير النسفى للنسفى، الجزء الرابع ص ٣٦٦. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء السابع ص ٦٤٨.

(٢) كلمات القرآن - تفسير وبيان - للشيخ مخلوف. معالم القرآن فى عوالم الأكوان للعجوز ص ٢٤٨.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقيل: «التّينِ» فى الآية الكريمة هو إشارة إلى طور «تينا» بجوار دمشق، وقيل: هو جبل ما بين حلوان إلى همدان[1]. وقيل: المقصود (بالتين) فى الآية الكريمة هو مسجد أهل الكهف، وقيل: هو مسجد نوح الذى على الجودى، وقيل: هو مسجد بيت المقدس[2]. وذهب بعض المفسرين إلى أن المقصود «بالتين» فى الآية الكريمة هو شجرة التين التى راح آدم وزوجه - عليهما السلام - يخصفان عليهما من ورقها على سوآتهما فى الجنة بعد أن أكلا من الشجرة التى حرمها الله عليهما[3]. ونحن لا نقول على الله ما لا نعرف، والله أعلم بمراده.

٤ ـ الخردل

الخُردل نبات موسمى ينمو فى المناطق المعتدلة، وأوراقه دائمة الخضرة، وسميكة، ومحززة نوعا ما. ويمكن حصد الأوراق وهى مازالت نضرة، وتؤكل مثل سائر الخضراوات.

ويوجد أكثر من نوع من الخردل أشهرها الخردل الأسود الذى يُستخرج من بذوره المسحوق المعروف باسم «المستردة»، والخردل الأبيض الذى يُستخرج من بذوره زيت لاذع الطعم يُستعمل فى صناعة الصابون، وكان قديمًا يُستخدم فى الإضاءة.

ويُعرف الخردل فى مصر وغيرها من الدول باسم «المستردة». واستعمال الخردل باعتدال فى الطعام يحسن الشهية، ويساعد على الهضم، ويطرد الغازات

(١) معانى القرآن للفراء، الجزء الثالث ص ٢٧٦. المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى ص ٧٦. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٣٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٤٧٩. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء العشرون ص ٧٥. تفسير المنار لرشيد رضا، الجزء التاسع ص ٣٠٣.

(٣) فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد السادس ص ٣٩٣٢. مناهل العرفان فى علوم القرآن للزرقانى، المجلد الأول ص ٢٢٤. مجلة الخفجى، عدد يناير ١٩٨٨م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من الأمعاء[1]. ويستعمل الناس المسحوق المُستخرج من بذور الخردل فى تزيين السلاطة، وتتبيل اللحوم والأسماك، وفى إعداد المخللات. وللخردل مكانة مرموقة فى الطب الشعبى، فهو مفيد لمرضى الطحال. ويقال أنه إذا وضع على الرأس المحلوق بالموس نفع من النسيان وقلة الحفظ!!. وإذا تُضمد به نفع من داء الثعلب، وإذا اكتُحل به أزال غشاوة العين[2].

الخردل (الأبيض)

الخردل (الأسود)

---

(١) عالم النبات فى حياة الرسول ﷺ للمؤلفين.

(٢) المرجع السابق.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الخردل فى القرآن الكريم

أورد الله سبحانه وتعالى لفظ «خردل» مرتين فى القرآن الكريم فى سياق الحديث عن عدل الله المطلق وعلمه الواسع حيث قال تبارك وتعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء].

وتخبر الآية الكريمة عن عدل الله المطلق، وقضائه القسط بين عباده يوم الحساب، وتصور لنا مشهدا من مشاهد يوم القيامة إذ يضع الله عز وجل الموازين العادلة للناس فلا تُظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل؛ وهى أصغر ما تراه العين وأخفه فى الميزان، فهذا الشيء البسيط لا يُترك يوم الحساب ولا يضيع[1]. ومصداق ذلك قول الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة].

وفى تعبير إلهى معجز يصف القرآن الكريم علم الله وشموله وقدرته وعدالته فيقول الله تعالى على لسان لقمان الحكيم وهو يعظ ابنه[2].

﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان].

والآية الكريمة تصف حبة من (خردل) فى صخرة صلبة، ،محشورة فيها، لا تظهر ولا يُتوصل إليها، أو تكون تلك الحبة فى السموات الشاسعة التى تبدو

---

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثالث ص ٢٥٣. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الرابع ص ٢٣٨١. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الثانى والعشرون ص ١٧٨. تفسير النسفى للنسفى، الجزء الثالث ص ٨٠.

(٢) أُختلف فى لقمان الحكيم هل هو نبى أم لا؟. وفى الحديث لم يكن نبيًا ولكن كان عبدا صالحًا أحب الله فأحبه ومن عليه بالحكمة. ورُوى أنه كان ابن اخت أيوب عليه السلام أو ابن خالته. ورُوى أنه كان قاضى بنى إسرائيل. وأُختلف فى صناعته، فقيل: كان نجارًا، وقيل: خياطًا، وقيل راعى غنم وكان ابنه كافرا فمازال يوصيه حتى أسلم، وقيل: كان اسم ابنه (ثاران).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فيها المجرة الكبيرة كنقطة صغيرة، أو تكون تلك الحبة فى الأرض ضائعة فى ثراها وحصاها لا تبين لأحد. فهذه الحبة مهما كانت وأينما كانت يعرفها الله بعلمه ويلاحقها بقدرته ولطفه(١)، فهل هناك من يدعى هذه القدرة لنفسه؟ سبحانك اللهم.

٥ـ الخمط

تقول أغلب كتب التفسير: الخمط هو شجر الأراك، أو هو ثمر الأراك، أو هو على الأقل ضرب من الأراك(٢).

وشجرة الأراك شبه استوائية، دائمة الخضرة، والشجرة فى شكلها العام تشبه إلى حد كبير شجرة الرمان، أطرافها مغزلية، وأوراقها ذات أسطح ناعمة ناصعة الإخضرار. ويزهر النبات فى الربيع زهورًا صفراء اللون بها اخضرار بسيط، ومنها تخرج ثمار صغيرة بحجم حبّات الحمص ذات طعم جيد.

ويُزرع الأراك فى مناطق متفرقة من المملكة العربية السعودية، كما يُزرع فى اليمن، وبلاد الشام، وإيران، وشرق الهند، وإقليم وادى النيل(٣).

ومن جذور شجر الأراك يؤخذ السواك، ويُشترط أن تكون الجذور قد أكملت فى التربة مدة نمو تتراوح بين عامين وثلاثة أعوام، وإن كان البعض يقطعون الأفرع الصغيرة ويجعلونها أعوادًا لتسويك الأسنان.

---

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الخامس ص ٢٧٨٩. مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٤٦٤. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الرابع ص ١٠٥ الجزء السادس ص ١٥٨. معانى القرآن للفراء، الجزء الثانى ص ٣٢٨. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الخامس والعشرون ص١٤٨. تفسير النسفى للنسفى، الجزء الثالث ص ٢٨١.

(٢) معانى القرآن للفراء، الجزء الثاني ص ٣٥٩. المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى ص ١٥٩.

(٣) السواك والإعجاز العلمى فى السنة النبوية لحسنى عبد الحافظ. مجلة القافلة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واكتشف الباحثون حتى الآن أكثر من عشرين عنصراً فعالاً فى جذور شجرة الأراك، ومن هذه العناصر: السنجرين، والظورايد، والمركب القاعدى (سلفادوريا)، والأنيسيك، وألياف السيليلوز القوية المرنة، وأملاح معدنية، وزيوت عطرية طيارة، وفيتامين (ج)، وأجزاء قليلة من الكالسيوم، والكلور، والفوسفات، والحديد، والصوديوم، والكبريت.

وأجريت دراسات لا حصر لها بغرض دراسة تأثير مكونات جذور الأراك على نمو أنواع البكتريا التى توجد داخل الفم والتى تصيب الأسنان بالتسوس والنخر. وأثبتت هذه الدراسات أن المواد الفعالة التى تحتويها جذور شجرة الأراك تعطى الأسنان مناعة طبيعية ضد التسوس والنخر؛ وذلك لأنها تقضى على الطفيليات والبكتريا المسببة لهما. كما أن لهذه المواد قدرة عجيبة على حماية أسطح الأسنان من التأثيرات الحامضية[1].

ويجب التأكيد على أن ما توصل إليه الباحثون باستخدام تقنيات العلم الحديث فيما يتعلق بشجرة الأراك والسواك وفوائده قد جاء متأخراً بأكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان عما توصل إليه رسولنا الكريم النبى الأمى محمد ﷺ حيث ورد بشأن الأراك والسواك عشرات الأحاديث فى الصحيحين وغيرهما من كتب السنة وهى أحاديث تحث على استعمال السواك وتُحدد فوائدة[2].

الخمط فى القرآن الكريم

ورد ذكر الخمط فى القرآن الكريم مرة واحدة فى سياق قصة أهل سبأ[3]، حيث يقول رب العزة: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ

---

(١) المرجع السابق.

(٢) عالم النبات فى حياة الرسول ﷺ للمؤلفين.

(٣) سبق شرح مبسط لقصة سبأ عند الحديث عن نبات (الأثل) فى بداية هذا الفصل من الكتاب.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ].

وتوضح الآيات الكريمة جزاء قوم سبأ بعد أن كفروا بنعمة الله، وعصوا الخالق وعبدوا الشمس، فكان جزاؤهم أن أبدل الله جنتيهم المثمرتين بجنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل. والحقيقة أن هناك خلافا يدور حول المقصود بـ (الخمط) فى الآية الكريمة، فقال بعض المفسرين: الخمط فى الآية الكريمة هو ضرب من الأراك له حمل يؤكل[١]. وقال بعض المفسرين: الخمط هو الأراك نفسه، وفى ذلك يقول الشاعر:

ما مغزل فرد تراعى بعينها ... أغن غضيض الطرف من خلل الخمط[٢]

وقال بعض المفسرين: الخمط هو البربر وهو ثمر الأراك[٣]. وقيل: الخمط هو شجر ذو شوك فيه مرارة[٤]. وقيل: بل هو كل نبت أخذ طعمًا من المرارة[٥]. وقيل: هو ثمر بشع مر أو حامض ولا يمكن أكله، وقيل: هو ثمرة شجرة يقال لها: «فسوة الضبع» على صورة الخشخاش لا يُنتفع بها[٦].

وتقول الدكتورة بنت الشاطئ: لعل ما نطمئن إليه هو أن الخمط هو الحامض المر من كل شىء، وكل نبت أخذ طعما من المرارة، وهو أول معانيها فى القاموس[٧].

ومما سبق يمكن القول بأن الخمط قد يكون هو شجر الأراك أو ما يشبهه وقد يكون المقصود به كل نبات فيه مرارة، والله تعالى أعلم بمراده.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الرابع عشر ص ١٨٣. المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى ص١٥٩. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٥٦.

(٢) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى، الجزء الأول ص ٢٩٠. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الخامس ص ٢٩٠١.

(٣) معانى القرآن للفراء، الجزء الثالث ص ٣٥٩.

(٤) تفسير النسفى للنسفى، الجزء الثالث ص ٣٢٢.

(٥) تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الثانى ص ٢٥٩.

(٦) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء السادس ص ٢٧١.

(٧) الإعجاز البيانى للقرآن لبنت الشاطئ ص ٤٦٥.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٦ - الرمان

الرمان اسم يُطلق على شجرة الرمان، وعلى ثمرتها أيضًا. وينمو شجر الرمان بريًّا فى غربى آسيا، وشمال غربى الهند، وعندما ينمو بريًّا يكون نباتًا شبه عشبى، أما فى ظل عملية الاستزراع فإنه يُروض على أن ينمو شجرة صغيرة يصل ارتفاعها من أربعة إلى ستة أمتار، تحمل أغصانا نحيلة، وتنمو الأزهار القرمزية عند أطراف الأغصان. ولثمرة الرمان قشرة صلبة لونها أحمر ذهبى داكن، وتحتوى الثمرة على عدد كبير من البذور، وتوجد كل بذرة داخل لباب قرمزى اللون، له مذاق حلو منعش.

ولنجاح زراعة الرمان يجب زراعتها فى المناخ الملائم والتربة المناسبة، وأن نختار من الأصناف أفضلها وأنسبها. وتجود زراعة الرمان فى المناطق الحارة الجافة كصعيد مصر وواحتها وشبه جزيرة سيناء. وأشجار الرمان وحيدة المسكن أى أن هناك أشجارا ذكورا وأخرى إناثا، وتُسمى الذكور (الجُلّنار)، والإناث لها أنواع كثيرة فمنها الحلو، والحامض، والمر، والمائى، والعظمى.

وللرمان عموما مكانة معروفة فى الطب الشعبى خاصة الرمان الحلو، فهو نافع لأوجاع المعدة، والكلى، والصدر، وقاطع للسعال، ويعين على الجماع. أما الرمان الحامض فإذا شُرب ماؤه نفع من التهاب المعدة، ويقطع القيئ، وبذره إذا دُق وذُر على القروح أبرأها، وإن حُرق وفُعل به ذلك كان أفضل(١).

---

(١) عالم النبات فى حياة الرسول ﷺ للمؤلفين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

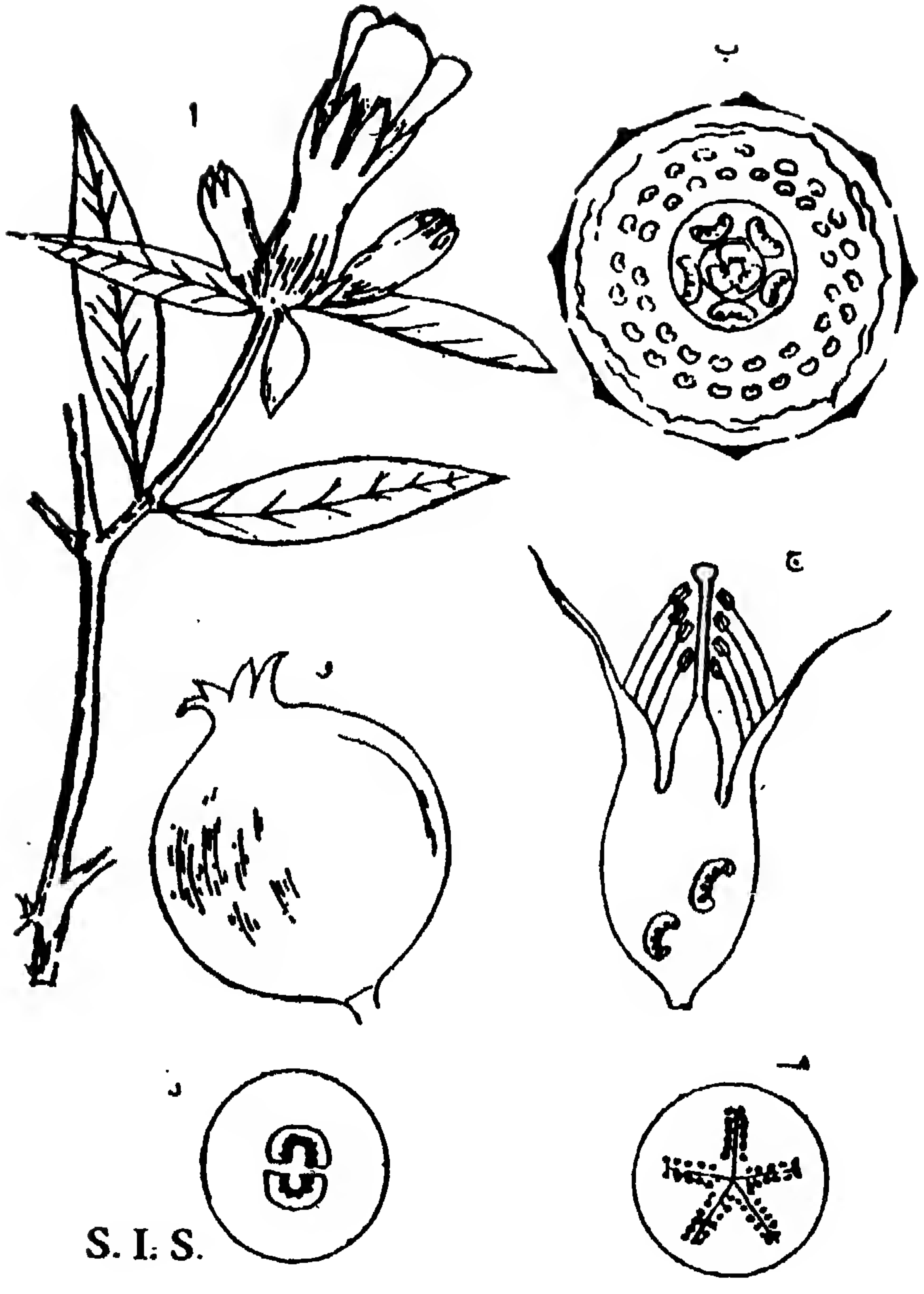

الفصيلة الرمانية (الرمان)

(أ) فرع مزهر (ب) مسقط زهرى (جـ) قطاع طولى فى الزهرة

(د، هـ) قطاعان مستعرضان فى المبيض (و) ثمرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرمان فى القرآن الكريم

جاء ذكر الرمان فى القرآن الكريم ثلاث مرات، مرتان معرفًا (بأل) وذلك فى سياق تذكير الله سبحانه وتعالى الناس ببعض نعمه عليهم فى الدنيا حيث قال رب العزة: ﴿وَهُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام].

ويقول عز من قائل: ﴿وَهُوَ الَّذِى أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأنعام].

والملاحظ فى الآيتين الكريمتين أن الله سبحانه وتعالى ذكر أنواعًا من النباتات كان العامل المشترك فيها: النخيل والزيتون والرمان، وجاء ذكر الرمان مسبوقًا بالزيتون فى الآيتين.

ومن الآيتين الكريمتين يتبين أن المقصود من خلق الله سبحانه وتعالى لهذه النباتات هو انتفاع الإنسان بها، وقبل ذلك للنظر والاعتبار فى قدرة الخالق وسعة إحسانه وكمال اقتداره(1).

وجاء لفظ «رمان» بدون أداة تعريف فى القرآن الكريم مرة واحدة، وذلك فى سياق تبشير الله سبحانه وتعالى عباده المخلصين ببعض ما أعده لهم فى الجنة. فقال تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ

(1) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثانى ص ٥٣، ٥٤. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الثالث عشر ص ٢٢٢ - ٢٢٤.

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾﴾[1] [الرحمن].

ومن الآيات الكريمة يتضح لنا أنه مما أعده الله لعباده المؤمنين فى الجنة (الرمان)، ومصداق ذلك ما رُوى عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**نظرت إلى الجنة فإذا الرمانه من رمانها كالبعير المقتب**»[2].

والقارئ المدقق للقرآن الكريم يلاحظ فى قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ أن الله سبحانه وتعالى ذكر الفاكهة ثم ذكر النخل والرمان، وهنا يتساءل بعض المفسرين: هل الرمان والنخل من الفاكهة؟ أم لا؟. وقد قال بعضهم: الرمان والنخل ليسا بفاكهة كما يُفهم من الآية. فالرمان والتمر ليس بفاكهة عند أبى حنيفة. وقال بعضهم: بل النخل والرمان فاكهة. وقد يقال: لماذا تم الفصل بين الفاكهة والنخل والرمان إن كانا من الفاكهة؟. وفى هذا يقول الفراء: ذلك كقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة]، ففى الآية أوصى الله بالحفاظ على كل الصلوات ثم أعاد الصلاة الوسطى تشديدًا لها، وكذلك أُعيد ذكر النخل والرمان ترغيبا لأهل الجنة[3]، والله أعلم بمراده.

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثانى ص ٥٣، ٥٤. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الثالث عشر ص ٢٢٢ - ٢٢٤.

(٢) معانى القرآن للفراء، الجزء الثالث ص ١١٩. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء السابع عشر ص١٢١. تفسير النسفى للنسفى، الجزء الرابع ص ٢١٣.

(٣) المرجع السابق.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٧ـ الريحان

عُرف الريحـان منذ القدم، وكان ذا قـيمة ثمـينة لدى قدمـاء اليونان الذين استخدموه فى احتفالاتهم. ولاتزال أغصـان الريحان تُستـعمل فى بعض البلدان لتزيين قبور الموتى، بل وتوضع أوراقه اليابسة أحيانًا فى القبر مع الميت.

والريحان شجيرة جذابة، تنمو بريًّا فى إقليم البحر المتوسط فى جنوبى أوربا وشمالى أفـريقيا. ويتحمل الريحان أنـواع عديدة من التربة، كما يتحـمل الجفاف والعطش[١].

والريحان من النباتات الحوليـة، دائمة الخضرة، ويصل طول الساق إلى ٣٠ سم، وإن كان هناك نوع من الريحان ينمو كشجيرات ويبلغ طوله أكثر من مترين. وأوراق الريحان لامعة، قـاتمة الخضرة، وأزهاره بيـضاء طيـبة الرائحـة. وأثبتت التجارب أن التبكير فى زراعة الريحان أفضـل من التأخير من حيث العشبة والزيت المستخلص منها[٢].

وتستـخدم أوراق الريحـان فى الحسـاء، والسلاطة، وطهـى اللحوم. كـما تُستـخـدم أزهاره وثماره الغنيـة بالزيت فى صناعـة العطور والدواء. أما خـشب الريحان فـقد يُستـخـدم فى صناعة عصى المشـى والأثاث، كما تُستـخـدم جذور الريحان فى دبغ الجلود[٣].

ومن الناحيـة الطبية فإن شراب الريـحان قاطع لنزف الدم، ومقـوٍ للأعضاء النحيفة، وشادٌّ للمفاصل، ونافع من السعال والخفقان، ومدر للبول[٤].

---

(١) التداوى بالأعشاب والنباتات قديماً وحديثًا لأحمد شمس الدين.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الموسوعة العربية العالمية، المجلد الأول.

(٤) عالم النبات فى حياة الرسول ﷺ للمؤلفين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الريحان فى القرآن الكريم

فى البداية لابد من الإشارة إلى أن الريحان كاسم قد يُطلق على النبات المعروف ذى الرائحة الذكية، وقد يُطلق على كل نبات له رائحة طيبة، وقد يُقصد به أيضا الرزق؛ وتقول العرب: خرجنا نطلب ريحان الله، أى رزق الله(١).

ولقد ورد ذكر الريحان مرتين فى القرآن الكريم فى مجال سرد بعض نعم الله عز وجل على عباده فى الأرض، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمن].

وتبين الآيات الكريمة أنه من عظيم نعم الله على الناس أنه خلق لهم الريحان(٢).

والمرة الثانية فى سورة الواقعة حيث قال رب العزة: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة]

وفى الحقيقة فإن هذه الآيات الكريمة تدل على مصدر هذا القرآن وأنه من لدن الخالق العليم؛ لأنه من منا يستطيع أن يخبرنا عن حال المحتضر على فراش الموت؟. إن أحدا لم يجرب هذا الوضع لأنه لا يحتمل التجربة. فمن يستطيع أن يشرح لنا هذ اللحظات إلا الخالق العظيم الحى الذى لا يموت.

---

(١) حديقة الأزهار فى ماهية العشب والعقار للغسانى. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الرابع ص ١٥٢، ١٧١. كلمات القرآن - تفسير وبيان - للشيخ مخلوف. معانى القرآن للفراء، الجزء الثالث ص ١١٣ - ١١٤. تفسير النسفى للنسفى، الجزء الرابع ص ٢٠٨. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء السابع ص ٢٤٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الخامس ص ١٥٢. مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٦٠٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولننظر إلى الآيات الكريمة فالألفاظ ذاتها تقطر رقة ونداوة وتلقى ظلال الراحة الحلوة والنعيم اللين الذى ينتظر المؤمن عند الموت والذى تبشره به الملائكة عند الاحتضار. وتوضح الآيات أنه من حسن البشرى للمؤمن عند موته أن تبشره الملائكة بالريحان(١). ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة].

٨ـ الزقوم

تقول كتب التفسير: الزقوم لفظ مشتق من التزقم وهو البلع على جهد، ويكون ذلك بسبب كرهه الطعام لقبح منظره ورائحته. ويقول علماء اللغة: لفظ «الزقوم» نفسه يصور بجرسه ملمسًا خشنًا شائكًا مدببًا يشوك الأكف والحلق(٢).

وتجدر الإشارة إلى أن هناك خلافا بين المفسرين فى ماهية شجرة الزقوم، بمعنى هل هى شجرة الدنيا أم لا؟. قال بعض المفسرين: شجرة الزقوم من شجر الدنيا(٣). وذهب البعض إلى أنها شجرة صغيرة الورق مُرة تنبت فى تهامة والحجاز(٤). وقال بعضهم: الزقوم هو كل نبات قاتل، ولم يحددوا نوعا بعينه.

---

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد السادس ص ٣٤٧٢. مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٦١٦. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الرابع ص ١٧١. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء السابع عشر ص ١٥٠. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٢٧٠. معانى القرآن للفراء، الجزء الثالث ص ١٣١.

(٢) فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد السادس ص ٣٤٦٥. اليوم الآخر فى ظلال القرآن لأحمد فائز ص٢٨٦، ٢٨٧. المعجزة الكبرى (القرآن) لمحمد أبو زهرة ص ١١٨.

(٣) الطب النبوى للذهبى ص ٨٣.

(٤) تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الثانى ص ٢٩٥. كلمات القرآن - تفسير وبيان - للشيخ مخلوف. تفسير النسفى للنسفى، الجزء الرابع ص ٢١. تفسير المراغى للمراغى الجزء الخامس والعشرون ص١٣٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلا أن بعض المفسرين ذهب إلى القول بأن الزقوم ليس من شجر الدنيا، ولا يوجد ما يشبهه فيها[١].

الزقوم فى القرآن الكريم

بداية تجدر الإشارة إلى أنه عندما ذكر الله سبحانه وتعالى الزقوم فى القرآن الكريم كان ذلك فى الحقيقة امتحانًا واختبارًا لبعض الناس الذين أعلنوا إسلامهم عن غير إيمان كامل. والقصة مشهورة ويرويها ابن عباس - رضى الله عنهما - وهى أن رسول الله ﷺ عندما أُسرى به ليلة الإسراء والمعراج رأى الجنة والنار، ورأى شجرة الزقوم تنبت فى أصل الجحيم. فلما أخبر رسول الله ﷺ بذلك ارتد بعض الناس عن الإسلام. وفى ذلك قال قتادة: لما ذُكرت شجرة الزقوم أُفتتن بها أهل الضلالة، وقالوا ساخرين: صاحبكم (رسول الله) ينبئكم أن فى النار شجرة والنار تأكل الشجر! . وقال أبو جهل - لعنه الله-: الزقوم شجرة فى النار!!، هاتوا لنا تمرًا وزبدًا، فإن الزقوم هو التمر والزبد[٢]. وسجل القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [الإسراء].

ومن أجمل ما قرأنا فى ذلك قول المراغى فى تفسيره: لقد فات هؤلاء الذين لم يؤمنوا بأن شجرة الزقوم تنبت فى أصل الجحيم ولا تحرقها النار، فاتهم أن فى الدنيا أشياء كثيرة لا تحرقها النار، فهناك نوع من الحرير يسمى بالحرير الصخرى لا تؤثر فيه النار، بل ويزداد إذا لامسها نظافة، ومن ثم يلبسه رجال المطافى فى كثير من دول العالم. ثم إن الأرض مملوءة بالنار، وما خلص من النار إلا قشرتها التى نعيش عليها، وما من شجر أو حجر إلا وفيه نار، والماء نفسه يحتوى على

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الخامس عشر ص ٥٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثالث ص ٤٧، المجلد الرابع ص ٢٦٥. تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الأول ص ٥٧٥. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الرابع ص ٢٢٣٧، المجلد الخامس ص ٢٩٨٨، المجلد السادس ص ٣٤٦٥. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء السادس والعشرون ص ١٤٢. تفسير سورة الصافات لمحمد البهى ص ٢١.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أكسجين وهو مادة قابلة للاشتعال بل وسريعة الاشتعال. إذن فأرضنا فيها نار، وماؤنا فيه نار، وأشجارنا وأحجارنا مليئة بالنار، وهذا العالم الذى نسكنه تتخلله النار[١].

واتفق معظم المفسرين على أن الشجرة الملعونة فى القرآن هى شجرة الزقوم[٢]. وهنا تساءل العلماء: لماذا لُعنت شجرة الزقوم فى القرآن؟ وكان الجواب: أن العرب تقول لكل طعام مكروه ضار أنه ملعون، والزقوم أولى بهذا. وقيل: إن المراد باللعنة هو لعنة الكفار الذين يأكلون الزقوم. وقيل: بل اللعنة بمعنى الإبعاد؛ لأن شجرة الزقوم تنبت بعيدًا فى أصل جهنم، وهذا هو رأى أغلب المفسرين. إلا أن بعض المفسرين ذهبوا مذهبًا آخر فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾، فقيل: المقصود بالشجرة الملعونة هم بنو أمية، وقيل: بل المقصود هم اليهود[٣]. والله أعلم بمراده.

وقارئ القرآن الكريم يلاحظ أن شجرة الزقوم ذُكرت صراحة بالاسم ثلاث مرات، فقال تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الصافات].

والآيات الكريمة تصف شجرة تنبت فى الجحيم، وطلعها كرءوس الشياطين. ولننظر إلى هذه الصورة البشعة فطلع الشجرة كأنه رأس شيطان، وفى ذلك مبالغة فى القبح؛ ولذلك يقال لقبيح المنظر: وجه شيطان. وإذا كان طلع

---

(١) تفسير المراغى للمراغى، الجزء الخامس عشر ص ٦٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثالث ص ٩١. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء العاشر ص ١٨٣. مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٣٢١. كلمات القرآن - تفسير وبيان - للشيخ مخلوف. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٥٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثالث ص ٤٧. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء العشرون ص ٢٣٩. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الثانى ص ٣١٨. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء العشرون ص ٢٣٩.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شجـرة الزقوم كرأس الشـيطان، فلا تسـأل بعد ذلك عن طعمـها ومـا تفعله فى أجواف وبطون من يأكل منهـا. ويقول العلماء: خلق الله شجـرة الزقوم فى أصل جهنم، فإذا جـاع أهل النار لجئوا إليهـا فأكلوا منها فغليت فى بطونهـم كما يغلى الزيت المغلى. وذهب بعض العلمـاء فى تفسـير قولـه تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ فقالوا: رءوس الشيـاطين شجرة معروفة فى اليـمن بهذا الاسم، وقال بعضهم: رءوس الشياطين صنف من الحيات[1].

ويصف القرآن الكريم طعام الكفـار المعاندين للحق فى جهنم وصفًا مـخيفًا بشـعًا؛ فطعـامهم مـثل دردى الزيت المغلى، أو هو كالمعـدن المذاب إذا وصل إلى أمعاءهم صهرها[2]. وفى ذلك يقول رب العزة:

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان].

ويقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ [الواقعة].

ولعل هذا مـا تشـيـر إليه الآيات الكـريمة فى قـول رب العـزة: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء السابع عشر ص ١٣٨. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسـعدى، الجـزء الرابع ص ٢٤٩. كتـاب التـسهـيل لعلوم التنزيل لابن جـزى الكلى، الجزء الثـالث ص٣٧٤. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد السادس ص ٣٤٦٥. مـعانى القرآن للفراء، الجزء الثانى ص ٣٨٧. البرهان فى علوم الـقرآن للزركشى، الجـزء الأول ص ٤٤. مصحف الشـروق المفسر الميسر ص٥٠٦، ٥٦٥ مشاهد القيامة فى القرآن لسيد قطب ص ١٣٥.

(٢) تفسير القرآن الـعظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ١٣١. تيسير الكريم الرحمن فى تـفسير كلام المنان للسـعدى، الجـزء الرابع ص ٢٤٢، الجزء الســادس ص ٣٨٢. فى ظلال القـرآن لسيـد قطب، المجلد الخامس ص ٣٢١٦. مصـحف الشروق المفسر المـيسر ص ٥٦٥. مشاهد القـيامة فى القرآن لسـيد قطب ص١٥٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ [المزمل]. وقيل المقصود بالطعام ذى الغصة فى الآيات الكريمة هو شجرة الزقوم يغص به آكلوه، وقيل هو شوك يعترض فى حلوقهم وينزل ولا يخرج(١).

ومن الملاحظ أن شجرة الزقوم ذُكرت فى صور بيانية لبيان حال ما ينزل بالكفار يوم القيامة، فكل لفظ من ألفاظ الآيات القرآنية التى ذُكر فيها الزقوم يصور أغلظ عيش وأقسى حياة؛ فالثمر كريه وقد تغذى من نار جهنم، ثم إنها ليست غذاء وإن كان يُبقى على الكافر حيا فى نار جهنم لتستمر آلامه ولتكون حياته نكدًا مستمرًا.

ومن رحمة رسول الله ﷺ بأمته أنه يحذرها من المعاصى حتى لا يكون مصيرها الآكل من الزقوم. فعن مجاهد عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «**اتقوا الله حق تقاته، فلو أن قطرة من الزقوم قُطرت فى بحار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه**»؟. رواه الترمذى وابن ماجه من حديث شعبة، وقال الترمذى: حديث صحيح(٢).

ويلاحظ قارئ القرآن الكريم أن شجرة الزقوم ذُكرت بالاسم صراحة ثلاث مرات، مرة بصيغة الجمع (شجر) فى سورة الواقعة حيث قال تعالى: ﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾. ومرتين بصيغة المفرد المرة الأولى فى صورة الصافات حيث قال تعالى: «أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ» والمرة الثانية فى سورة الدخان: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾. ونلاحظ أن لفظ شجرة ورد مرة بتاء مفتوحة ومرة بتاء مقبوضة. وفى ذلك يقول المفسرون: جاء ذكر (شجرت) فى سورة الدخان ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾ بمعنى الفعل اللازم ولذلك فتحت تاؤها، أما لفظ «شجرة» فى سورة الصافات ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ فجاءت فى موضع حلية للاسم، ولذلك قبضت تاؤها(٣). ونحن نرى أن هذا من الأدلة التى

(١) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الرابع ص ٢٩٨.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٢٦٥.
(٣) البرهان فى علوم القرآن للزركشى، الجزء الأول ص ٤١٤، ٤١٥.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لا تحصى على أن هذا القرآن أوحاه الله إلى رسوله الكريم؛ فهو ليس من عند محمد ﷺ كما يدعى البعض؛ لأنه لو كان هذا القرآن من عند محمد ﷺ لكانت الحروف والكلمات تأتى على نمط واحد وبصيغة واحدة. ولكن حروف القرآن وكلماته جاءت كما سمعها رسول الله ﷺ من الأمين «جبريل» عليه السلام، ولذلك جاءت مرة «شجرة»، ومرة «شجرت» ومرة «شجر».

٩ـ الزنجبيل

الزنجبيل الذى نعرفه ونستخدمه شرابًا ما هو إلا السوق الأرضية لنبات عشبى لا يزيد طوله عن المتر ونصف المتر. وينمو الزنجبيل فى المناطق المدارية من آسيا، واستراليا، واليابان، وجزء الهند الشرقية، وأمريكا الجنوبية، وغربى أفريقيا. ولا يجود نموه ولا إثماره فى مصر؛ لأنه يحتاج إلى درجات حرارة عالية.

ويقال أن لفظ «زنجبيل» فارسى الأصل(١). وللزنجبيل أنواع أشهرها الزنجبيل الأحمر، وهو نبات عشبى أحمر الزهور، موطنه ماليزيا، ويُزرع للزينة وللاستخدامات الطبية. أما الزنجبيل البرى فليس له علاقة بالزنجبيل الحقيقى، وهو نبات قصير صوفى، وأوراقه تشبه القلب، وزهوره لها لون بنفسجى مائل إلى البنى.

ويُستخدم الزنجبيل كنوع من التوابل له رائحة نفاذة، كما يدخل فى صناعة الخبز، ويُضاف إلى المشروبات لإعطائها نكهة محببة. وللزنجبيل مكانة معروفة فى الطب الشعبى، فهو يدخل فى كثير من الوصفات الشعبية التى تستخدمها كثير من الشعوب(٢).

---

(١) فى رحاب القرآن الكريم للمحيس، الجزء الثانى ص ١٧٩.
(٢) عالم النبات فى طب وأمثال الأجداد للمؤلفين، عالم النبات فى حياة الرسول ﷺ للمؤلفين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الزنجبيل

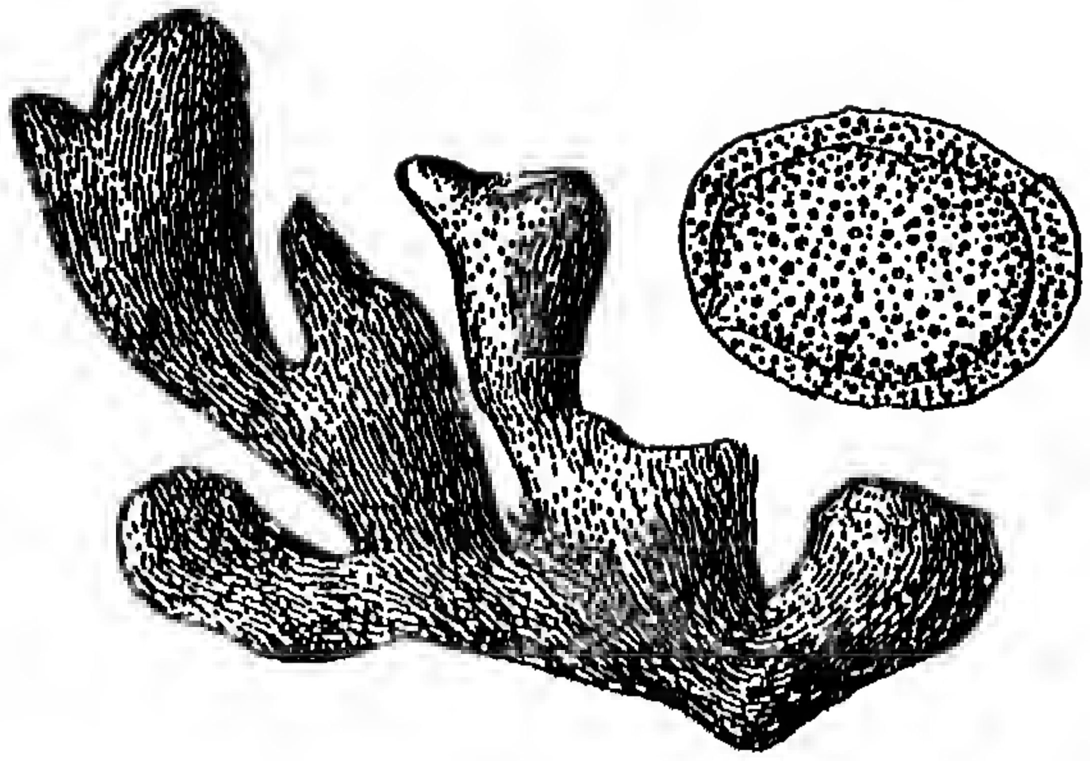

الزنجبيل فى القرآن الكريم

جاء ذكر الزنجبيل فى القرآن الكريم مرة واحدة فى سياق وصف الله تعالى لصورة من صور النعيم الذى أعده لعباده الوجلين المطيعين المؤثرين الخائفين من اليوم العبوس القمطرير[1]. فقال تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾ [الإنسان].

---

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد السادس ص ٣٧٧٨، ص ٣٧٨٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتوضح الآيات الكريمة فى لوحة معبرة بعض هذا النعيم الذى ينتظر هؤلاء المؤمنين فى الجنة. وتبين أن من هذا النعيم أنهم سيشربون من كأس كان مزاجها زنجبيلاً. ويقول بعض المفسرين فى تفسير قوله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً﴾: أى ستمزج لهم خمر الجنة بالزنجبيل؛ وربما يكون ذلك لأن العرب كانت تستلذ من الشراب ما يُمزج بالزنجبيل لطيب رائحته ولأنه يحذُ اللسان ويهضم الطعام(١). إلا أن بعض المفسرين قالوا فى تفسيرهم للآية الكريمة: الزنجبيل اسم لعين فى الجنة يوجد فيها طعم الزنجبيل، وهكذا قال مجاهد وغيره(٢). ومما تقدم يتضح أن الزنجبيل المذكور فى القرآن الكريم قد يكون هو النبات المعروف، وقد يكون اسم لعين فى الجنة،والله تعالى أعلم بمراده.

١٠ ـ الزيتون

عُرف الزيتون منذ آلاف السنين، وهو يُزرع فى مصر ربما منذ عُرفت الزراعة. وتعيش شجرة الزيتون عمراً أطول من معظم الأشجار المثمرة الأخرى. فبعض أشجار الزيتون التى زرعها الإمبراطور (هادريان) فى عام ١٤٠م مازالت حية، كما أن هناك أشجار زيتون فى فلسطين قد يكون عمرها أكثر من ألفى سنة، كما يوجد فى أسبانيا منها أشجار تعود إلى ألف سنة مضت(٣).

ويُزرع الزيتون أساسا لزيته الذى يُستخدم فى الطهى، وتؤكل أيضًا ثمرته بعد تصنيعها. وتنجح زراعة الزيتون فى جميع الأراضى تقريبًا مادامت سهلة الصرف وليست شديدة الملوحة. ويُزرع الزيتون بطرق أهمها: البذرة، والفسائل،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء التاسع عشر ص ٩٢. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الرابع ص ٣٢٠. مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٦٧٠.

(٢) معانى القرآن للفراء، الجزء الثالث ص ٢١٧. تفسير النسفى للنسفى، الجزء الرابع ص ٣١٩. تفسيرغريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٠٣. صفوة التفاسير للصابونى، المجلد الثالث ص ٤٩٤.

(٣) الموسوعة العربية العالمية، المجلد الحادى عشر. مجلة الخفجى، عدد ديسمبر ١٩٩٨م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والعُقل. وهناك صنفان شائعان من الزيتون: أحدهما ذو ثمار كبيرة تصلح للتخليل، والآخر ثماره صغيرة بها نسبة كبيرة من الزيت.

ويُستخلص زيت الزيتون بسحق الثمار الناضجة الكاملة والتى تحتوى عادة على ٢٠ - ٣٠٪ من الزيت، بينما يتكون لب الثمرة من ٦٠ - ٨٠٪ من الزيت. ولزيت الزيتون أنواع فمنها الحلو، ومنها الحريف. ويمتاز زيت الزيتون بلونه الأصفر المائل للخضرة، وأنه يتكون كله تقريبًا من دهن غير مشبع.

ويُستخدم زيت الزيتون بكثرة فى الدول المطلة على البحر المتوسط، وتعتبر إيطاليا هى المنتجة الرئيسية لزيت الزيتون فى العالم، كما تصنع وتستهلك أسبانيا واليونان كميات كبيرة منه، وفى الوطن العربى تشتهر دول المغرب العربى بزراعته واستخدامه.

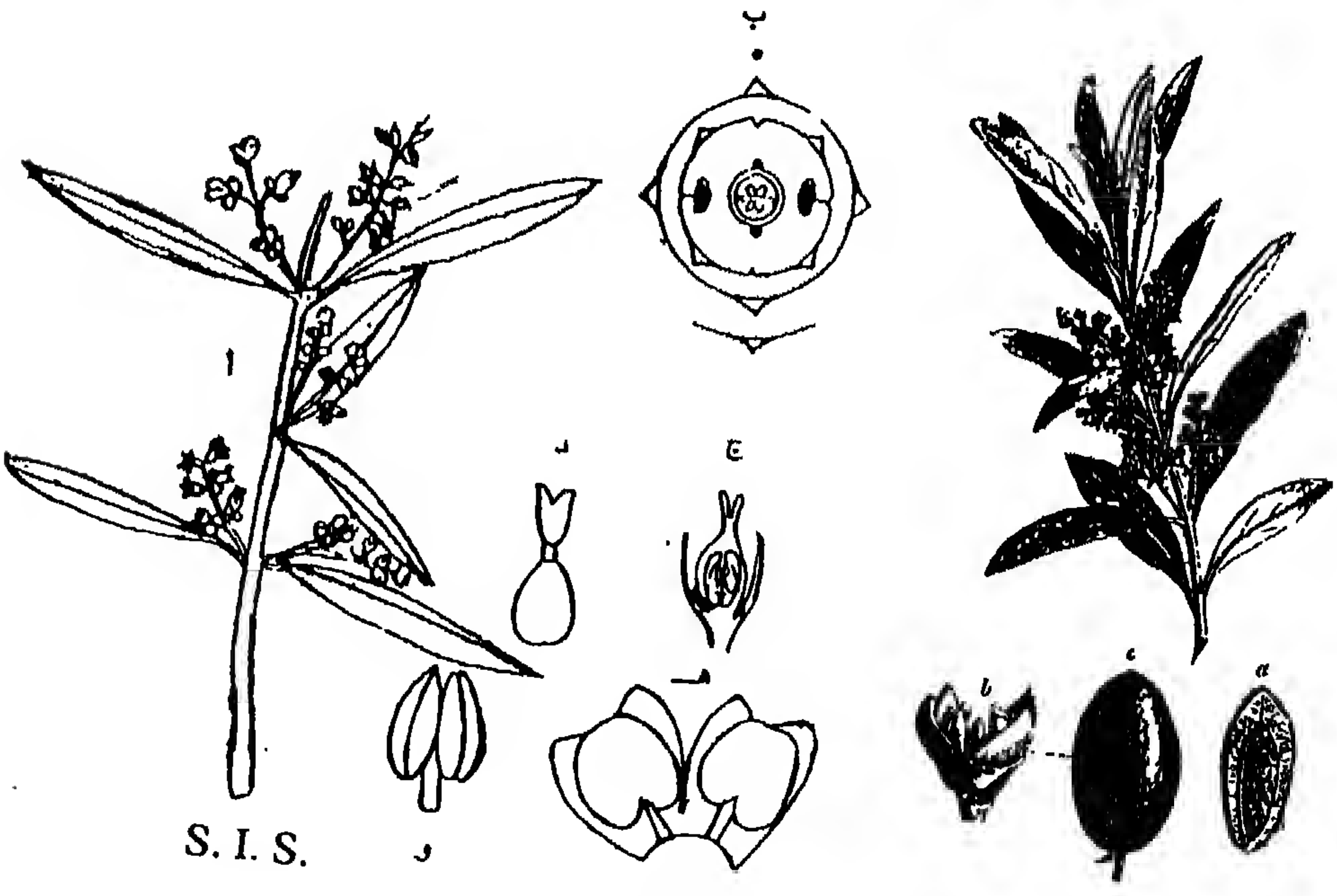

الفصيلية الزيتونية، (الزيتون)

(أ) نبات مزهر ، (ب) مسقط زهرى، (جـ) قطاع طولى فى الزهرة)، (د) متاع، (هـ) بتلتان تحملان سداتين، (و) سداة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومع أن شجرة الزيتون تنمو فى بلادنا إلا أننا نستورد سنويًا مقادير كبيرة من الزيتون وزيته للأغراض المنزلية والصناعية. وللزيتون وزيته استخدامات طبية عديدة، نذكر منها استخدامه فى علاج تصلب الشرايين، والذبحة الصدرية، وفى خفض الدم المرتفع، كما أنه مدر للبول، وغيرها من الاستخدامات التى لا يخلو منها أى كتاب طبى(١).

وتؤكد الدراسات أن سكان منطقة البحر المتوسط أقل عرضة للإصابة بأمراض القلب نتيجة دخول زيت الزيتون فى كثير من وجباتهم الغذائية، كما أنهم أقل عرضة للإصابة بأمراض فقر الدم(٢).

الزيتون فى القرآن الكريم

شرف القرآن الكريم شجرة الزيتون تشريفًا كريمًا عندما تقرر آياته أن الله سبحانه وتعالى قد ضرب المثل لنوره جل شأنه بمصباح فى زجاجة يوقد بزيت شجرة مباركة زيتونة، زيتها على درجة عالية من النقاء والتركيز بحيث جعله كأنه يضىء. وفى ذلك يقول تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور].

وفى الآية الكريمة يشبه الله عز وجلّ نوره بالمشكاة وهى الكوة الصغيرة فى الجدار يوضع فيها المصباح فتحصر نوره وتجمعه، وهذا المصباح موضوع فى زجاجة وهذه الزجاجة فى صفائها وحسنها تشبه الكوكب الدرى، ثم إن هذا المصباح يوقد بزيت شجرة مباركة من الزيتون لا شرقية ولا غربية. وقيل فى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ

(١) عالم النبات فى حياة الرسول ﷺ للمؤلفين.
(٢) مجلة الخفجى، عدد ديسمبر ١٩٨٨م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نُورِهِ﴾ أى نوره الذى يلقيه فى قلب المؤمن فهو أشبه بمصباح اجتمعت فيه أسباب الإضاءه. وأفاض المفسرون فى تفسير قوله تعالى: ﴿لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ﴾ فقالوا: هذه الشجرة بالصحراء لا يظلها شجر ولا جبل ولا يواريها شىء عن الشمس منذ طلوعها فى الشرق صباحًا إلى غروبها فى الغرب مساءً. وأضافوا: إن كل شجرة من الزيتون يكون هذا شأنها فإن زيتها يكون أصفى الزيوت وألطفها، أما الشجرة التى لا تصيبها الشمس إلا فى أحد طرفى النهار فإن زيتها يكون أغلظ وأضعف نورًا. وفسر بعض العلماء قوله تعالى: ﴿لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ﴾ بأنها شجرة فى موضع من الشجر يُرى ظل ثمرها فى ورقها وهذه من الشجر لا تطلع عليها الشمس ولا تغرب. وقيل: هى شجرة وسط الشجر لا تصيبها الشمس شرقًا ولا غربًا. وقال البعض: معنى قوله تعالى: ﴿لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ﴾ أى أنها تنبت فى بلاد الشام فليست من شرق الأرض ولا غربها؛ ولذلك يقال: إن أجود الزيتون زيتون الشام. وقال بعض المفسرين: المقصود بهذه الشجرة هى أول شجرة نبتت بعد الطوفان وقد بارك فيها سبعون نبيًا، منهم إبراهيم عليه السلام. وقيل: الشجرة المقصودة ليست من شجر الأرض على الإطلاق، إنما هى من شجر الجنة؛ لأنها لو كانت فى الدنيا لكانت شرقية أو غربية(١).

وذهب بعض المفسرين مذهبًا آخر فى تفسير الآية الكريمة فقالوا: المقصود بالمشكاة هو صدر محمد ﷺ، والزجاجة هى قلبه، والمصباح ما فى قلبه من الدين. والمقصود بقوله تعالى: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ أى يتبع ملة إبراهيم عليه السلام، فالشجرة هى إبراهيم عليه السلام، ثم وصف إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ﴾ أى لم يكن يصلى ناحية الشرق أو ناحية الغرب كاليهود والنصارى، بل كان يصلى ناحية الكعبة(٢). والله أعلم بمراده.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثالث ص ٢٧٣. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الثانى عشر ص ١٧١. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الثالث والعشرون ص ٢٣٦، ٢٣٧. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الثالث ص ١٤٦. الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى، الجزء الثالث ص ١٣٠. تفسير النسفى للنسفى، الجزء الثالث ص ١٤٥. أحكام القرآن لابن العربى، القسم الثالث ص ١٣٨٨.

(٢) تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الثالث والعشرون ص ٢٣٨.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ووضح العلماء أن المضمون الذى تتضمنه الآية الكريمة ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ هو لجعل الناس يتصورون كمال نور المصباح وشدته؛ فأقوى نور كان الناس يعرفونه فى الزمن القديم كان نور زيت الزيتون؛ وكان أصفى المصابيح عندهم ما كان يوقد فيه زيت زيتونة تنبت فى رءوس الجبال أو فى الصحارى تصيبها الشمس النهار كله[1].

ولتأكيد تكريم القرآن الكريم لشجرة الزيتون أقسم الله سبحانه وتعالى بها فى صدر سورة التين[2]، فقال تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١﴾. وقيل فى تفسير الزيتون فى الآية: هو الزيتون الذى يُعصر[3]. وقيل: بل هو رمز لمنبت الزيتون فى الأرض. وقيل المقصود بالزيتون فى الآية الكريمة: هو طور زيتا فى بيت المقدس. وقيل: إنه إشارة إلى غصن الزيتون الذى عادت به الحمامة التى أطلقها نوح عليه السلام لترتاد حالة الطوفان، فلما عادت ومعها هذا الغصن عرف أن الأرض انكشفت وأنبتت[4].

ويأخذنا القرآن إلى صورة حسية معبرة ليذكرنا مرة أخرى بنعم الخالق علينا، وأن من هذه النعم أن الله سبحانه وتعالى ينزل علينا المطر وينبت لنا مختلف أنواع الزروع ومن بينها الزيتون. فيقول رب العزة والجلال: ﴿وَهُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٩٩﴾ [الأنعام].

---

(١) تفسير سورة النور لأبى الأعلى المودودى ص ١٩٩ - ٢٠١. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثالث ص ٣٧٣. تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الثانى ص ١٢٤. معانى القرآن للفراء، الجزء الثانى ص ٢٥٣.

(٢) سبق ذكر معنى القسم فى القرآن، ولماذا أقسم الله بالتين والزيتون، ولمن يقسم (عند الحديث عن نبات التين فى هذا الفصل من الكتاب).

(٣) مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٦٩٥.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (١/١١٦).(فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد السادس ص ٣٩٣٢). مناهل العرفان فى علوم القرآن للزرقانى، المجلد الأول ص ٢٢٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويقول رب العزة: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١)﴾ [الأنعام].

ويقول جل شأنه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١)﴾ [النحل].

ويخاطب القرآن الكريم أصحاب العقول السليمة والبصر والبصيرة ويطلب منهم أن ينظروا ويتفكروا فى خلق الله لأنهم هم وحدهم القادرون على الاستنتاج أن لهذا الكون إله واحد لا شريك له(١)، فيقول تعالى:

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢)﴾ [عبس].

ويستكمل القرآن الكريم رسم صورة النعم التى أنعم بها الله سبحانه على العباد فى الدنيا فيقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٨) فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٩) وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ (٢٠)﴾ [المؤمنون].

وأجمع المفسرون على أن الشجرة المقصودة فى قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ أنها شجرة الزيتون، وقالوا: أفردها الله جل شأنه بالذكر العظيم منافعها. وقالوا: المقصود بقوله تعالى: ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ هو زيت

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثانى ص ٥١٦. تفسير سورة النحل لمحمد البهى ص ١٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الزيتون. أما طور سيناء المذكور فى الآية الكريمة فهو الجبل الذى نودى منه موسى عليه السلام[١].

ومما تقدم يمكن القول بأن شجرة الزيتون حظيت بمكانة مرموقة فى القرآن الكريم؛ فالله سبحانه وتعالى صور نوره جل شأنه بشجرة الزيتون المباركة، كما أنه جل شأنه أقسم بها على أغلب الأقوال. كما أكد القرآن الكريم أن من نعم الله على العباد فى الدنيا أنه جل شأنه أخرج لهم الزيتون فهى شجرة لها ظل، ومنها زيت يُدهن به وهو فى الوقت نفسه صبغ للآكلين، وغير ذلك من المنافع.

١١ ـ السدر

السدر من الأشجار المنتشرة الشائعة فى المملكة العربية السعودية، حيث إنها تتحمل الجفاف والعطش والملوحة، وأنواعًا مختلفة من الأراضى؛ ولذا فقد انتشرت زراعتها لغرض الزينة فى الشوارع والميادين[٢].

والنبق هو ثمر السدر - على أغلب الأقوال[٣] - وذُكر فى تاج العروس للزبيدى: إن أجود نبق يُعرف بأرض العرب هو نبق هجر، وهو أشد نبق يُعلم حلاوته، وأطيبه رائحة، يفوح فم آكله وثيابه كما يفوح العطر.

وللنبق استخدامات كثيرة فى الطب الشعبى، خاصة فى البادية، فهو ينفع من الإسهال القوى، ويقوى المعدة، وإذا وُضع على الأعضاء التى سيل منها الدم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الثانى عشر ص ٧٧. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثالث ص ٣٣٠، تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثالث والعشرون ص٩٠. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الثالث والعشرون ص ٩٠. تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الثانى ص ١٠١. مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٣٨٤. تفسيرالنسفى للنسفى، الجزء الثالث ص١١٦.

(٢) الأشجار والشجيرات بالمملكة العربية السعودية لسيد فرج خليفة.

(٣) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء السابع ص ٢٦٥.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قطع النزف، وهو شاد لأصول الشعر حتى لا يتناثر منه شيء، وورقه ينفع من الربو، وأمراض الرئة[1].

السدر فى القرآن الكريم

ذُكر السدر فى القرآن الكريم أربع مرات فى ثلاث سور. ولعل أشهر شجرة سدر يعرفها المؤمنون هى سدرة المنتهى والتى جاء ذكرها فى سورة النجم حيث قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝١٨﴾ [النجم].

يقول العلماء: سدرة المنتهى هى شجرة عظيمة جدًا فى السماء السابعة على يمين العرش وتنبع من أصلها الأنهار عندها جنة المأوى. واختلف فى سبب تسميتها باسم (سدرة المنتهى)، فقيل: لأن إليها ينتهى علم كل عالم، ولا يعلم ما وراءها إلا الله تعالى. وقيل: سُميت بذلك لأن ما ينزل من أمر الله يلتقى عندها فلا يتجاوزها ملائكة العلو إلى السفل، ولا يتجاوزها ملائكة السفل إلى أعلى[2] وقيل: سُميت بذلك لأن عندها انتهت صحبة جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ فى رحلة الإسراء والمعراج[3].

---

(١) عالم النبات فى طب وأمثال الأجداد للمؤلفين. عالم النبات فى حياة الرسول ﷺ للمؤلفين.

(٢) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الرابع ص ١٣٦. تفسير النسفى للنسفى، الجزء الرابع ص ١٩٥. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الرابع ص ٢٠٦. تفسير المراغى للمراغى، الجزء السابع والعشرون ص ٤٣. صفوة التفاسير للصابونى، المجلد الثالث ص ٢٧٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء السابع عشر ص ٦٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأخبرنا الرسول ﷺ عن سدرة المنتهى فى أكثر من حديث نذكر منها ما يُروى عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«ورفعت لى السدرة فإذا أربعة أنهار: نهران ظاهران، ونهران باطنان. فأما الظاهران: فالنيل والفرات، وأما الباطنان فى الجنة، وأُتيت بثلاثة أقداح: قدح فيه لبن، وقدح فيه عسل، وقدح فيه خمر، فأخذت الذى فيه اللبن، فقيل لى: أصبت الفطرة»**(١).

أما عن تفسير الآيات الكريمة، فقيل فى تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾**﴾ [النجم]. قيل: حدث هذا فى رحلة معراج رسول الله ﷺ إلى السماء، حيث رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام على هيئته التى خلقه الله سبحانه وتعالى بها، وقد كان ﷺ قد رأى جبريل عليه السلام على هيئته فى بداية الوحى فى غار حراء، وقيل: بل المقصود هو رؤية النبى ﷺ لربه عز وجل(٢). والله تعالى أعلم بمراده.

وتكلم المفسرون فى تفسير قوله تعالى: ﴿**إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾**﴾ [النجم]. فقالوا: هذا أمر فيه إبهام لقصد التعظيم، أى يغشاها من أمر الله شىء عظيم لا يعلم وصفه إلا الله عز وجل(٣). فقال مجاهد فى تفسير الآية الكريمة: غشيتها الملائكة، وغشيها نور الرب، وغشيها ألوان ما أدرى ما هى؟. وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى إلى السدرة فقيل له: إن هذه السدرة، فغشيها نور الخلاق وغشيها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجر. وعن مجاهد قال: كأن أغصان السدرة لؤلؤًا وياقوتًا وزبرجدًا، فرآها رسول الله ﷺ، ورأى ربه بقلبه. قال ابن زيد: قيل يارسول الله: أى شىء رأيت يغشو تلك السدرة؟. فقال ﷺ: **«رأيت يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكًا قائمًا يسبح لله عز وجل»**(٤).

---

(١) أخرجه البخارى (اليوم الآخر فى ظلال القرآن لأحمد فائز) ص ٣١٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٢٢٤، ٢٢٥. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء السابع عشر ص ٦٣. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد السادس ص ٣٤٠٧. تفسير المراغى للمراغى، الجزء السابع والعشرون ص ٤٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الخامس ص ١٢٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٢٢٦، ٢٢٧. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الرابع ص ١٣٦. صفوة التفاسير للصابونى، المجلد الثالث ص ٢٧٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن لطف الله بالعباد أن ذكر لهم فى قرآنه المعجز قصصًا من الأمم السابقة، وكيف كان مصير من كفر منهم؛ لنتعظ بما حدث لهم. ومن هذه القصص قصة سبأ، والتى ذُكرت فى سورة سبأ فى الجزء الثانى والعشرين من القرآن الكريم[1]. حيث قال رب العزة: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ].

وتبين الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى بدل الجنتين والمناظر الحسنة والظلال والأنهار الجارية التى وهبها لسبأ، بدّل كل هذا بأشجار من أثل وخمط وسدر. وكان السدر أجودها، وزيادة فى عقابهم جعل الله سبحانه السدر هذا الجيد قليل[2]، وفى ذلك يقول تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾.

ويأخذنا القرآن الكريم إلى الجنة التى وُعد المتقون؛ ليرينا بعضًا مما أعده الله سبحانه وتعالى لعباده الذين أخلصوا له الدين، فنقرأ فى سورة الواقعة قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾ [الواقعة].

وتصور الآيات الكريمة صورة من هذا النعيم الخالد ألا وهو سدر الجنة المخضود ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الواقعة]. وأفاض المفسرون فى تفسير معنى

---

(١) سبق شرح الآيات الكريمة عند الحديث عن نباتى الأثل والخمط فى هذا الفصل من هذا الكتاب.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثالث ص ٤٩٦. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الرابع ص ١٧٧. مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٤٨٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السدر المخضود فقالوا: السدر المخضود هو الذى لا شوك فيه؛ ويقال مخضود الشوك أى مقطوع. وقالوا فى ذلك: سدر الدنيا له شوك أما سدر الجنة فُخضد شوكه. وفى ذلك قال ابن أبى الصلت:

إن الحدائق فى الجنان ظليلة ... فيها الكواعب سدرها مخضود

وقيل: ﴿سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ أى مثنى أغصانه من كثرة حمله؛ وفى ذلك يقال: خض الغض أى ثناه وهو رطب[1]. وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: السدر المخضود هو الموقر بالثمر. وهكذا قال عكرمة ومجاهد وقتادة. والظاهر أن المراد من قوله تعالى ﴿سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ هو الذى لا شوك فيه والموقر بالثمر أى المعنيين معا.

ويُروى عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا: إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم، قيل: أقبل أعرابى يومًا فقال: يارسول الله ذكر الله فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها. فقال رسول الله ﷺ: «وما هى؟». قال: السدر؛ فإن له شوكًا مؤذيًا. فقال رسول الله ﷺ: **«أليس الله يقول: ﴿سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾، خضد الله شوكه، فجعل مكان كل شوكة ثمرة، فإنها لتُنبت ثمرا يفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ما فيها من لون يشبه الآخر»**[2].

مما سبق يمكن القول أن القرآن الكريم ذكر السدر أربع مرات فى ثلاث سور. مرتين بصيغة المفرد (سدرة - السدرة)، ومرتين بصيغة الجمع (سدر). ثلاثة منهم تعنى السدر فى الجنة، والرابعة كانت فى الأرض وهى المذكورة فى قصة سبأ.

---

(١) تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الثانى ص ٤٦٠. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الخامس ص ١٦٤. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الرابع ص١٦٢. الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى، المجلد الأول ص ٢٦٩. الإعجاز البيانى للقرآن لبنت الشاطئ ص ٣٩٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٢٥٩. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد السادس ص ٣٤٦٤. مشاهد القيامة فى القرآن لسيد قطب ص ٤٥، ١١٠. الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى، الجزء الثالث ص ٢٤٨. صفوة التفاسير للصابونى، المجلد الثالث ص ٣٠٨.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٢ - الطلح

الطلح هو الاسم العربى للموز على أغلب الأقوال، أما لفظ «موز» فهو مُعَرب عن اللفظ الهندى «موز». وقد أطلق القدماء على الموز اسم «طعام الفلاسفة»؛ وذلك لأن فلاسفة الهند وعلماءها كانوا يعتمدون عليه كغذاء رئيسى يعينهم على التفكير والتأمل. وللموز أسماء أخرى طريفة منها أنه يُسمى «قاتل أمه وأبيه»؛ لأن الموز لا يثمر إلا مرة واحد ثم يموت تاركا خلفته من بعده، ثم تموت وهكذا.

واكتشف البشر خصائص الموز منذ زمن بعيد، فقد ورد فى وثيقة يرجع تاريخها إلى ٣٠٣ سنة قبل الميلاد كلام عن ثمرة الموز الذهبية وخصائصها الغذائية. ورُوى أن الموز كان مُفضلا عند الأشوريين قبل ١١٠٠ سنة من ميلاد المسيح.

والموز معروف لدى كل الأمم والشعوب، فالشعوب الأمريكية والكندية تستهلك بمفردها حوالى $\frac{١}{٣}$ صادرات العالم من الموز، فيأكل الفرد الواحد حوالى ١٠ كجم سنويا غير أن هذا الاستهلاك يبدو ضئيلا إذا ما قيس بما يأكله سكان دولة الإمارات العربية المتحدة؛ إذ يبلغ متوسط استهلاك الفرد من الموز المستورد ٤١ كجم.

والموز هو أشهر نباتات الفصيلة الموزية. وجذور النبات لحمية، رفيعة، غير خشبية، وليست لها القدرة على مقاومة العوائق. أما ساق الموز فهى كورمية مدفونة فى الأرض، أما ما يظهر فوق السطح فهى أغماد الأوراق الملتفة. وأوراق الموز كبيرة جداً ذات لون أخضر قاتم، وقد تتجاوز المترين طولاً، ويبلغ عرضها حوالى ١٦٠سم. والأوراق بسيطة، غمدية طولية ذات عرق وسطى رئيس بارز من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أسفل تتفرع منه عروق ثانوية متوازية. ويخرج نصل الورقة ملتفًا حول نفسه ثم ينبسط ويتمزق على امتداد العروق الثانوية بفعل الرياح. أما أزهار الموز فهى على ثلاثة أنواع: الأزهار المؤنثة، وهى أهم الأنواع، وهى التى تكوِّن أصابع الموز، والأزهار الخنثى وهى تكوِّن أصابع صغيرة لاتؤكل، والأزهار المذكرة لا تنمو إلى أصابع.

ويتكاثر الموز خضريًّا، وقلما تظهر البذور فى الثمار. وأهم الأصناف التى تُزرع فى مصر: البلدى، والمغربى، والهندى، وصباع الست.

وبوجه عام تُعد التربة الصفراء الخفيفة أفضل تربة لزراعة الموز بشرط جودة الصرف وحسن التهوية، ويجب تجنب زراعة الموز فى التربة الطينية أو الثقيلة. وتتصدر البرازيل الدول المنتجة للموز، تليها أوغندا فالهند ثم الفلبين(١).

والموز من الفواكة التى نراها طول العام؛ لأنها تنمو فى فصول السنة المختلفة، ولكن فى الشتاء والربيع يزداد عليها الطلب والإقبال. وتحتوى ثمار الموز على حوالى ٧٠ - ٧٥٪ ماء، وتبلغ نسبة المواد الكربوهيدراتية فى الثمار الناضجة حوالى ٢٤٪، بينما تبلغ نسبة المواد البروتينية ١ - ٢٪، أما نسبة المواد الدهنية والألياف فلا تكاد تذكر. والموز خال تماما من الكوليسترول، وفى الوقت نفسه يحتوى على نسبة عالية من الكالسيوم وفيتامينات (أ، ب، جـ)، كما يحتوى أيضا على الحديد والمنجنيز والفوسفور والزنك.

وفى العادة يؤكل الموز كوجبة خفيفة، أو مع رقائق الحبوب وسلاطات الفاكهة، كما يُستخدم فى وصنع الكعك والفطائر. أما فى الصين فهم يحمرون الموز فى السمن، وفى بعض بلدان أمريكا اللاتينية يُهرس الموز ويُمزج بالأناناس والسكر والقشطة ويُخبز كفطائر، وفى أفريقيا الشرقية والغربية يُحمص الموز ويُشوى ويصنع منه الحساء، والأوغنديون وغيرهم يخمرون الموز ليستخرجوا منه الكحول.

---

(١) النباتات الغذائية والطبية لمحمد الشافعى، وحلمى شاروبيم. الموسوعة العربية العالمية، المجلد الرابع والعشرون.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولا يُستفاد من ثمرة الموز فقط، فأوراق بعض أنواع الموز تُستخدم لبناء سقوف المنازل، وعمل الحقائب، والسلال، والحصير.

أما من الناحية الطبية فإن للموز مكانة معروفة فى الطب الشعبى، وأفاض فى وصف منافعه الأقدمون. ووصف ابن سينا الموز فى «القانون» فقال: الموز مغذٍ، ملين، نافع لحرقة الحلق والصدر، ويزيد فى المنى. ونصح بإعطائه للأطفال مع الحليب، وللمصابين بفقر الدم والضعف العام وللحوامل والمرضعات(١). والموز علاج أكيد للهزال، وهو مفيد فى تنشيط عمل الكلى والجهاز البولى، كما أنه ينشط الذاكرة(٢). وعموما يعتبر الموز خافضًا لضغط الدم المرتفع، وهو من الأغذية المفضلة والمسموح بها لمرض ضغط الدم المرتفع(٣).

وأكل الموز مع الجبن يعتبر علاجًا فعالاً لبعض متاعب الدورة الشهرية حيث يخفض الموز من كمية النزف. كما أن تناول الموز مع اللبن يفيد جدًّا فى حالة الشكوى من الدوار، وهو فى الوقت نفسه علاج لقرحة المعدة. والموز من الأطعمة المفضلة لمرضى التيفود، والإسهال، والدوسنتاريا.

ومن أشهر استخدامات الموز استخدامه لخدمة جمال المرأة وخاصة وجهها. فقناع الموز من أفضل أقنعة البشرة الجافة، وهو يساعد على مقاومة ظهور تجاعيد الوجه(٤). أما وضع قشرة الموز على مكان الإصابة بالكدمات والرضوض بحيث يلامس جدارها الداخلى الجلد مع تثبيتها بضمادة مبللة بالماء البارد؛ يساعد ذلك على تسكين الآلام، وزوال الزرقان من مكان الإصابة(٥).

---

(١) كيف تحضر دواءك بنفسك من تذكرة داود لمختار محمد كامل.
(٢) دنيا الزراعة والنبات وما فيها من آيات لعبد الرزاق نوفل.
(٣) أسرار العلاج بالفواكه والخضراوات لوفاء بدوى.
(٤) أعشاب ونباتات فى خدمة الجنس اللطيف لأيمن الحسينى.
(٥) الوصفات الشعبية لأيمن الحسينى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطلح فى القرآن الكريم

مرة واحدة جاء ذكر الطلح فى القرآن الكريم فى سياق وصف النعيم الذى أعده الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين فى الجنة، حيث كل شىء معد للتناول بلا كد ولا مشقة. نعيم فيه ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين، ففى الجنة لا شىء ممنوع[1]، وفى ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨)﴾ [الواقعة].

والقارئ لهذه الآيات الكريمة يجد فيها جمالاً وسلاسة، وفى ذلك يقول علماء اللغة: أحسن السجع ما تساوت قرائنه ليكون شبيها بالشعر فإن أبياته متساوية، مثل قوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠)﴾ وعلته أن السمع ألف الانتهاء إلى غاية فى الخفة الأولى، فإذا زيد عليها ثقل عنه الزائد؛ لأنه يكون عند وصولها إلى مقدار الأول كمن توقع الظفر بمقصده[2].

والآيات الكريمة توضح صورة من صور النعيم الذى أعده الله لأصحاب اليمين فى الجنة، وأن من هذا النعيم الأكل من طلح الجنة المنضود. وقال معظم المفسرين: الطلح هو شجر الموز، والمنضود: الذى نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه، فليست له ساق بارزة. والمعنى أن شجر الموز فى الجنة متراكب ثمره بعضه

---

(١) اليوم الآخر فى ظلال القرآن لأحمد فائز ص ٢١٦.
(٢) البرهان فى علوم القرآن للزركشى، الجزء الأول ص ٧٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فوق بعض، وهكذا قال الزمخشرى والكلبى[١]. ويُروى عن أبى سعيد وابن عباس وأبى هريرة - رضى الله عنهم - قالوا: الطلح هو الموز. وقال مجاهد وابن زيد: أهل اليمن يسمون الموز طلحا[٢].

ولكى تكون الصورة كاملة لدى القارئ نقول إن بعض المفسرين فسروا قوله تعالى ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ تفسيرا آخر فقالوا: الطلح شجر كثير الشوك يكون بأرض الحجاز، وواحدته طلحة[٣]. وقيل: هو شجر كبار، يكون بالبادية، تنضد أغصانه من الثمر اللذيذ الشهى[٤]. ونحن نقول: الله تعالى أعلم بمراده.

١٣ ـ العدس

العدس من أقدم النباتات التى عرفها البشر، وقد جاء ذكره فى الإصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين من التوراة، كما ذُكر فى مواضع أخرى من العهد القديم[٥]. وذُكرالعدس فى أكثر من حديث موضوع منسوب زورًا لرسول الله ﷺ[٦].

(١) تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الثانى ص ٤٦٠. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الخامس ص ١٦٤. معانى القرآن للفراء، الجزء الثالث ص ١٢٤. مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٦١٢. تفسير المراغى للمراغى، الجزء السابع والعشرون ص ١٣٨. تفسير النسفى للنسفى، الجزء الرابع ص ٢١٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٢٦٠، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء السابع عشر ص ١٣٥. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد السادس ص ٣٤٦٤. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٤٨.

(٣) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الرابع ص ١٦٣.

(٤) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء السابع ص ٢٦٦.

(٥) عالم النبات فى طب وأمثال الأجداد للمؤلفين.

(٦) عالم النبات فى حياة الرسول ﷺ للمؤلفين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وينتمى العدس إلى الفصيلة القرنية، ويُزرع فى مصر وجنوبى أوربا وغربى آسيا والولايات المتحدة الأمريكية. وبذور العدس ذات لون بنى يميل إلى الحمرة، أو رمادى، أو أصفر، أو أسود. ولا يزيد قطر البذرة على ١٣ مللم، وهى تشبه فى شكلها العدسة، وقد أخذت العدسات اسمها بسبب تشابه شكلها مع شكل بذور العدس.

والعدس من أفضل البقوليات من حيث القيمة الغذائية؛ لأنه غنى بالبروتين النباتى والكربوهيدرات. وهو مستحب لدى كافة المصريين خصوصا أهل الريف. ويستخدم العدس فى عمل أطباق، وحساء، وسَلاطَات، كما يُستخدم فى بعض البلدان علفًا للأغنام والخيول والماشية.

العدس فى القرآن الكريم

العدس كالطلح ذُكر كل منهما مرة واحدة فى القرآن الكريم؛ حيث ذُكر العدس مع نباتات أخرى غيره على لسان بنى إسرائيل فى سياق الجدال الشهير الذى دار بينهم وبين رسولهم موسى عليه السلام والذى سجله الله سبحانه حيث يقول تعالى[1]: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة].

ويُقال عن العدس: إنه شهوة اليهود التى فضلوها عن المن والسلوى. فهل من عاقل يفضل العدس وما يحتاجه من زرع وحرث وعمل شاق على المن والسلوى اللذين يمن بهما الله على عباده دون تعب أو جهد؟. ولكن ماذا نقول فهذه هى عقلية اليهود فى كل زمان ومكان!!.

---

(١) سبق التعرض لشرح الآية الكريمة عند الحديث عن نبات البصل فى بداية هذا الفصل من هذا الكتاب.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٤ ـ العنب

توضح الأحافير القديمة لأوراق العنب وبذوره أن الإنسان كان يأكل العنب منذ عصور ما قبل التاريخ، وتظهر زراعة العنب فى رسومات معابد قدماء المصريين التى يعود تاريخها إلى سنة ٢٤٤٠ ق م.

ويُطلق اسم العنب على الشجرة والثمرة فى آن واحد. وتنمو ثمار العنب فى عناقيد تحتوى على عدد كبير من الثمار يتراوح عددها بين ٦ - ٣٠٠ ثمرة. وقد تكون الثمار سوداء، أو زرقاء، أو ذهبية تميل إلى الخضرة، أو بنفسجية، أو حمراء، أو بيضاء اعتمادا على صنفها.

ويتم جنى أكثر من ٦٥ مليون طن مترى من العنب سنويًّا فى كل أنحاء العالم، يُستخدم حوالى ٨٠٪ منه فى صنع النبيذ، ويُباع حوالى ١٣٪ على شكل عنب مائدة يؤكل فى صورة فاكهة طازجة. وباقى المحصول يُستخدم مجففا كزبيب، أو فى صنع عصير العنب، أو عمل المربى.

وتعد الولايات المتحدة، ودول الاتحاد السوفيتى السابق من الدول الرئيسية المنتجة للعنب، كما يُزرع العنب فى أوربا خاصة فى فرنسا، وأسبانيا، وإيطاليا. وتعتبر الجزائر أشهر دولة عربية إنتاجا للعنب(١).

ولنجاح زراعة العنب يجب اختيار المناطق المناسبة والتربة الملائمة وتحديد الأصناف الصالحة. وتناسب أشجار العنب المناطق معتدلة الحرارة صيفا، أما من ناحية التربة المناسبة فأكثرها صلاحية الصفراء الخفيفة، ويليها التربة الرملية ذات الرمال الناعمة.

---

(١) الموسوعة العربية العالمية، المجلد السادس عشر.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والعنب فاكهة غنية بالمركبات السكرية فيزيد من نشاط الجسم، ويساعد الأعضاء على الحركة، كما أن الثمار غنية بمركبات الحديد الضرورية لبناء كرات الدم الحمراء. والعنب نافع من السعال، وملين للبطن[1]. وقال ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن الخطيب السلماني فى كتاب «الوصول لحفظ الصحة فى الفصول»: أما العنب والتين فسيدا الفاكهة.

وقال الشيخ أبو على بن سينا: أفضل ما تثمر الغصون فاكهتان: عنب وتين. وانعكس ذلك على شعر العرب ونثرهم فقال ابن الرومى يصف العنب:

كأن الرازقى وقد تباهى ∴ وتاهت بالعنقود الكروم

قوارير بماء الورد ملأى ∴ تشف ولؤلؤ فيها يعوم

فكل مجمع منه ثريا ∴ وكل مفرق منه نجوم

والرازقى نوع من العنب ينبت فى منطقة الطائف أبيض طويل الحبة[2].

والحقيقة أن العنب كله فوائد حتى البذور فهى مصدر لزيت يُعرف بزيت العنب يُستخدم فى صناعة الصابون والأصباغ والبويات. أما مخلفات البذور بعد عملية استخلاص الزيت فتستخدم علفا للماشية.

العنب فى القرآن الكريم

العنب من أشهر النباتات فى القرآن الكريم، ومن أكثرها ذكرًا؛ حيث ورد ذكره أحد عشر مرة فى إحدى عشر سورة.

ولا يزال القرآن الكريم يُذكر الخلق بنعم الله سبحانه عليهم والتى لا تُحصى ولا تُعد، ومن هذه النعم أنه سبحانه وتعالى ينزل المطر من السماء بقدر حاجة

---

(١) أسرار العلاج بالفواكة والخضراوات لوفاء عبد العزيز بدوى. التداوى بالعنب لباسيل شاكلتون.

(٢) مجلة القافلة عدد أكتوبر/ نوفمبر ١٩٩٥م. ص ٣٦.

العباد والبلاد، ثم إنه سبحانه يخرج بهذا المطر بساتين وحدائق ذات منظر حسن، كما أنه سبحانه يخرج لنا مختلف أنواع الزروع والثمار ومن بينها وأشرفها العنب، وفى ذلك يقول رب العزة: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٨) فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٩)﴾ [المؤمنون].

ويقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩)﴾ [الأنعام].

ويقول سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١)﴾ [النحل].

ويقول تبارك وتعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥)﴾ [يس].

ويقول رب العزة: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢) فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣)﴾ [عبس]

وفى الآيات الكريمة يُذكر القرآن الكريم العنب ضمن النعم التى أنعم الله سبحانه وتعالى بها على الناس فى الدنيا، ويقرر القرآن الكريم أن هذه النعم تستحق النظر فيها والتفكر فى قدرة خالقها ثم شكر المنعم عليها، ولذلك ختمت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لآيات بقوله تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ و﴿أَفَلا يَشْكُرُونَ﴾ ومن الملاحظ من الآيات الكريمة أن العنب جاء تخصيصًا وذُكر بالاسم وربما يكون سبب ذلك أن العنب يقوم مقام الطعام، ومقام الإدام، ومقام الفاكهة رطبًا ويابسًا(١).

ثم يأخذنا القرآن الكريم إلى صورة توضح طلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى، فهذه قطع من الأرض متجاورات ومتشابهات فى كل الصفات تقريبًا، وعلاوة على ذلك تُسقى جميعا بماء واحد، ثم إنها تخرج لنا مختلف أنواع الثمار: فهذا طيب نافع، وذلك ضار، وهذا دواء، وذلك سم، هذا كله مع تقارب الأرض وتجاورها وتشاكلها وسقيها بماء واحد. .إن هذا كله ولا شك يشير بأصبعه إلى السماء ليقول لا إله إلا الله القادر الفاعل، وفى ذلك يقول تعالى: ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ④﴾. [الرعد].

وتبين الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى بقدرته فاوت بين الأشياء وخلقها على ما يريد، ولذا ختم سبحانه الآية بقوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٢).

وفى جانب آخر من الصورة يشير القرآن الكريم إلى قدرة الله سبحانه وتعالى، وأنه القادر وحده على أن يحول العلف - الذى تأكله البهائم - لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين، ثم إن من قدرته عز وجل أن جعل لعباده من ثمرات

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الثانى عشر ص ٧٦. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الثالث والعشرون ص ٩٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثانى ص ٤٥٦. ملاك التأويل للعاصمى، الجزء الثانى ص٦٩٩. دراسات فى التفسير الموضوعى للقرآن الكريم للألمعى ص ٢٨٥.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النخيل والأعناب منافع ومصالح من أنواع الرزق الحسن[1]. وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [النحل].

وفى هذه اللوحة الجميلة يلفت القرآن الكريم النظر إلى قدرة الخالق سبحانه الذى يخرج لنا مختلف أنواع الثمار، وخص بالذكر النخيل والأعناب، ربما لأن هذه هى أفضل الثمار فى بيئة أهل مكة، وقيل: ربما يرجع ذلك إلى أن النخيل والعنب من أشرف الثمار ولا يقوم مقامها شىء؛ فالإنسان يأخذ من النخيل بلحا ورطبا ويأخذ من العنب عصيرًا وزبيبًا وخلاً[2]. ثم أشار القرآن الكريم إلى أن الإنسان قد يُستخدم النعمة التى أنعم الله بها عليه استخدامًا سيئًا فيحول الحسن إلى ضار، وفى ذلك يقول تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [النحل]. وقال ابن عباس - رضى الله عنهما - فى تفسير الآية الكريمة: السكر ما حُرم من ثمرتيهما، والرزق الحسن ما أُحل من ثمرتيهما. وفى رواية: السَّكَر: حرامه، والرزق الحسن: حلاله[3]. وقيل: إذا كان المراد بالسكر ما يسكر من الخمر، والرزق الحسن ما يؤكل من النخيل والأعناب، وهذا ما عليه جمهور المفسرين، فإن وصف الرزق بأنه حسن دون وصف السكر يُشعر بمدح الرزق والثناء عليه وحده دون السكر[4]. وقال جمهور المفسرين: هذه الآية نزلت قبل تحريم الخمر، وسورة النحل نفسها سورة

---

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثالث ص ٤٣.

(٢) أحكام القرآن لابن العربى، القسم الثالث ص ١١٥٦. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الثانى ص ٢٨٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثانى ص ٥٢٨. تفسير المراغى للمراغى، الجزء الرابع عشر ص١٠٣.

(٤) مباحث فى علوم القرآن للقطان. ص ١١٣. أحكام القرآن لابن العربى، القسم الثالث ص ١١٥٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مكية نزلت قبل تحريم الخمر، ولعل وصف القرآن الكريم للرزق الحسن لإنتاج الأنواع الأخرى غير الخمر من ثمرات النخيل والأعناب يوضح بأن القرآن فى نظرته إلى الخمر لم تتغير من أول نزوله فى مكة إلى قيام الدولة الإسلامية فى المدينة المنورة(١).

ونعود إلى الآية الكريمة والذى ختمها المولى عز وجل بقوله: «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» أى إن إنتاج النخيل والأعناب وثمراتهما لدلالة على وحدة الله فى ألوهيته وعلى القدرة التامة فى الخلق والإيجاد، وأنه هوالإله المعبود وحده حيث إنه المتفرد بذلك، ثم إن ختام الآية الكريمة. هنا مناسب تماما لأن العقل هو أشرف ما فى الإنسان ولهذا حُرم الخمر المسكر صيانة لعقولنا(٢).

وقد يمن الله سبحانه وتعالى على بعض عباده بامتلاك الحدائق، وتكون أعظم إذا كانت هذه الحدائق (عنبا). ولكن مِنَ بنى البشر من يغتر بهذه النعمة. فيعش معها وينسى المنعم. ويعطينا القرآن الكريم أمثلة لهؤلاء وكيف كان جزاؤهم فى الدنيا، وكيف سيكون مصيرهم فى الآخرة لنتعظ بما حدث لهم. وفى ذلك يقول الله تبارك وتعالى فى سورة الكهف(٣): ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ

---

(١) التبيان فى علوم القرآن للصابونى ص ٣٨. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء العشرون ص ٧١. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء العاشر ص ٨٥.

(٢) تفسير سورة النحل لمحمد البهى ص ٥٧، ٥٨. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثانى ص٥٢٨. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثالث ص ٤٣.

(٣) تعرضنا لشرح هذه الآيات الكريمة عند الحديث عن موضوع الزراعة فى الفصل الأول من هذا الكتاب.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رجلاً ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الكهف].

وأحيانا يكون امتلاك حدائق الأعناب سببًا فى التباهى بين الناس بدلا من أن تكون سببًا فى شكر المنعم، وقد ينصرف فكر صاحب الحدائق إلى الناس وينفق عليهم من باب الرياء والتباهى، ولأن الله سبحانه وتعالى هو أغنى الأغنياء ولا يقبل إلا ما كان خالصًا لوجهه تعالى فإن كل هذا الإنفاق وكل هذا الرياء يذهب أدراج الرياح. ويبين لنا القرآن الكريم صورة لهؤلاء المرائين وما هى نهايتهم. . فيقول تعالى فى سورة البقرة(١): ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ﴾ [البقرة].

ولو عدنا إلى المجتمع المكى قبل بعثة الرسول المصطفى ﷺ لوجدنا أن (النخيل والأعناب) كان من دلالات الثراء، ويُقاس غنى الأغنياء بما يملكون من النخيل وحدائق الأعناب؛ ولذا نظر كفار مكة إلى النبى ﷺ بعد بعثته نظرة فيها قصر إدراك، وراحوا يطلبون منه ﷺ خوارق مادية كأن يفجر لهم من الأرض ينبوعا أو تكون له جنة من نخيل وأعناب، وعلقوا إيمانهم برسالته بتحقيق ذلك. والقصة مشهورة وهى: أن زعماء مكة جاءوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا: إن أرض مكة ضيقة فسير جبالها لننتفع بها، وفجر لنا فيها ينبوعًا أو نهرًا وعيونًا نزرع منها.

---

(١) تعرضنا لشرح هذه الآية الكريمة عند الحديث عن موضوع (الثمرة) فى الفصل الثانى من هذا الكتاب.

فقال رسول الله ﷺ: لا أقدر عليه. فـقال قائل منهم: فاجعل لك جنة من نخيل وأعناب وفجـر الأنهار خلالهـا تفجـيرا. فقـال الرسول ﷺ. لا أقدر. فـقالوا: فاجعل لك بيتا من زخرف أو من ذهب. فقال رسول الله ﷺ: لا أقدر(1). وخلد الله سبحانه وتعالى هذا الحوار فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء].

ولما كـان هذا الحوار هو فى الحـقيـقـة تعنت وتعجـيز وسـوء أدب مع الله ورسوله، أوحى الله سبـحانه وتعالى لرسوله الكريم أن يرد علـيهم بقوله﴿سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ ليس بيدى شىء من الأمر، إنما الأمر كله بيد الله(2).

وكـما أخـبـرنا القرآن الكـريم بأن العنب هو أحـد نعم الله على الناس فى الدنيا، يخبـرنا أيضًا بأن العنب هو أحد صور النعيم الذى يـنتظر الأتقياء فى جنة الخلد(3). وفى ذلك يقـول تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ [النبأ]

وتأخذنا الآيات الكريمة إلى جنة الخلد لنرى صورة من صـور النعيم فهاهم المتقين يأكلون من أعناب الجنة.. ما ألذها(4).

---

(1) تفسـيـر الفخر الرازى للرازى، الجزء الحـادى والعشرون ص ٥٧. فى ظلال القرآن لسـيد قطب، المجلد الرابع ص ٢٢٥٠ تفسير المراغى للمراغى، الجزء الخامس عشر ص ٩٤.

(2) تيسير الكريم الرحمن فـى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثالث ص ١٠٣. مـصحف الشروق المفسر الميسر ص ٣٢٥.

(3) فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد السادس ص ٣٨٠٨.

(4) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٤٢٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومما سبق يتبين أن العنب ذُكر إحدى عشر مرة فى القرآن الكريم، وأن لفظ (عنب) ورد مرتين فى سورتى الإسراء وعبس، بينما جاء لفظ (أعناب) تسع مرات فى سور البقرة والأنعام والرعد والكهف والمؤمنون ويس والنحل والنبأ.

١٥ ـ الفوم

الفوم فى لغتنا العربية هو الثوم على أغلب الأقوال، وإن كان البعض يعتبر الفوم نباتا آخر غير الثوم.

ولا يخلو مطبخ فى العالم من الثوم، فقلما ينعدم من سلة معلقة فى مطبخ، أو من على مائدة طعام. ويقال إن أفضل ثوم على وجه الأرض هو الثوم المصرى؛ لطبيعة الأرض والنيل، بل ويقولون: إن الثوم هو لفظة فرعونية قديمة[١].

ويدخل الثوم فى علاج كثير من الأمراض مثل: سوء الهضم، والغازات، والمغص، والتيفود، الدفتيريا، كما أنه مطهر للمعدة، ويقضى على الأميبا والدوسنتاريا، كما أنه علاج نافع للزكام، والرشح، والانفلونزا[٢].

وجاء فى نتيجة أبحاث حديثة قام بها علماء روس أن الأبخرة المتصاعدة من الثوم المقشر أو المقطع تكفى لقتل كثير من الجراثيم، وشاهدوا جراثيم السل والدفتيريا تموت بعد تعريضها لبخار الثوم لمدة خمس دقائق. وتأكد أخيرا أن مضغ الثوم لمدة ثلاث دقائق يقتل جراثيم الدفتيريا المتجمعة فى اللوزتين[٣].

---

(١) معجزة الشفاء فى الحبة السوداء والعسل والثوم والبصل لأبى الفداء محمد عزت.
(٢) عالم النبات فى طب وأمثال الأجداد للمؤلفين.
(٣) عالم النبات فى حياة الرسول ﷺ للمؤلفين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفوم فى القرآن الكريم

ومرة أخرى نعود إلى الآية (٦١) من سورة البقرة، لنرى صورة من جحود بنى إسرائيل وعنادهم، فهم لم يقتنعوا بمنة الله عليهم والمتمثلة فى المن والسلوى، وهاهم يطلبون أن تُخرج لهم الأرض من نباتاتها، وكان من ضمن ما طلبوا «الفوم». وفى ذلك يقول رب العزة: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١)﴾ [البقرة].

ولقد تعرضنا لشرح هذه الآية الكريمة عند الحديث عن نباتى البصل والعدس فى هذا الفصل من الكتاب، ولكننا سنُركز الحديث ها هنا على الفوم. والحقيقة أن لفظ (الفوم) له أكثر من معنى. فبعض علماء اللغة قالوا: العرب تبدل الفاء بالثاء؛ لتقارب مخرج الحرفين، فيقولون: جَدَثٌ وجَدَفٌ، ومغافير ومغاثير، وفوم وثوم[١]. وعلى ذلك فيكون لفظ (فوم) يدل على الثوم، وهو ما ذهب إليه كثير من المفسرين، فوقع (فومها) فى قراءة ابن مسعود - رضى الله عنه - (وثومها) بالثاء، وكذا فسره مجاهد فى رواية ليث بن أبى سليم. وقال ابن عباس - رضى الله عنهما - (وفومها): أى الثوم. ويقال تأكيدا لهذا المعنى: الثوم هو أوفق للعدس والبصل فى الآية الكريمة لأنه المُشاكل لهما[٢]. ويدلل على أن الفوم هو الثوم فعلاً بقول حسان:

وأنتم أناس لئام الأصول ... طعامكم الفوم والحوقل

والشاعر يعنى بالفوم والحوقل: الثوم والبصل[٣].

(١) معانى القرآن للفراء، الجزء الأول ص ٤١. المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى، ص ٣٨٨. مصحف الشروق المفسر الميسر ص ١١.

(٢) تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الثالث ص ١٠٨. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الأول ص ٧٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، المجلد الأول ص ٢٨٩.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلا أن بعض المفسرين ذهبوا إلى أن «الفوم» لغة قديمة تعنى الحنطة والخبز جميعا(١). وقيل: الفوم لغة قديمة أصلها: فوموا أى: اختبزوا(٢). ويُروى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: الفوم هو الحنطة والخبز(٣).

وقال الواسطى: الفوم هو الحنطة بالعبرية(٤). ويدلل البعض على أن المقصود بالفوم «الحنطة» يقول أبو محجن الثقفى(٥).

قد كنت أحسبنى كأغنى واحد قدم المدينة عن زراعة فوم

وعارض بعض المفسرين الرأى السابق فقالوا: لو أن المراد بالفوم فى الآية الكريمة «الحنطة» لما جاز أن يُقال: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾؛ لأن الحنطة أشرف الأطعمة، فهى ليست أدنى أبدا. ولكن الثوم هو أوفق للعدس والبصل فى الآية الكريمة من الحنطة(٦).

وذهب بعض المفسرين فى تفسير معنى الفوم أبعد من ذلك، فقالوا: هوالبرُ الذى يُعمل من الخبز، وقالوا: هو السنبلة، وقالوا: هو كل حب يُختبز، وقالوا: هو الحمص، وقال بعضهم: الحبوب التى تؤكل كلها فوم(٧).

ومما سبق يمكن القول بأن المقصود بالفوم فى الآية [٦١: سورة البقرة] ربما يكون الثوم أوالحنطة على أغلب أقوال العلماء(٨)، والله تعالى أعلم بمراده.

---

(١) المرجع السابق. المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى ص ٣٨٨. معانى القرآن للفراء، الجزء الأول ص٤١. مصحف الشروق المفسر الميسر ص ١١.

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥١.

(٣) تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الثالث ص ١٠٨.

(٤) فى رحاب القرآن للمحيسن، الجزء الثانى ص ١٨٢.

(٥) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى، المجلد الأول ص ٢٥٩.

(٦) تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الثالث ص ١٠٨. صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم للدوسرى، المجلد الثانى ص ١٤٧. الإعجاز البيانى للقرآن لبنت الشاطئ ص ٣٠٦.

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الأول ص ٨٨.

(٨) تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الأول ص ٦٥. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الأول ص ٨٥.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٦ - القثاء

يتبع القثاء الفصيلة القرعية، ويُسمى أحيانًا «فاقوس». وجذر النبات متفرع يشبه الشبكة، والساق زاحفة ممتدة ومجوفة، والأوراق بسيطة صغيرة، مستديرة، وحافتها كاملة أو مفصصة، وسطح الورقة عليه شعيرات. والثمرة طويلة هلالية الشكل ملتوية لها شكلها المميز. والبذور بيضاوية، مدببة من أحد طرفيها ومستديرة من الطرف الآخر، ولونها أبيض أو أصفر.

ويُستخدم القثاء كنوع من السلاطات. كما أن له استخدامات في الطب الشعبي فهو مُسكِّن للحرارة، ومفيد للمعدة، ومدر للبول[1].

القثاء في القرآن الكريم

عودة مرة أخرى إلى الآية [٦١ من سورة البقرة] نجد أن القثاء ذُكر ضمن خمس نباتات فضلها بنى إسرائيل على المن والسلوى اللذين أنزلهما الله سبحانه عليهم في صحراء سيناء[2]، وفي ذلك يقول رب العزة: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة].

---

(١) عالم النبات في طب والمثال الأجداد للمؤلفين. عالم النبات في حياة الرسول ﷺ للمؤلفين

(٢) سبق التعرض لشرح هذه الآية الكريمة عند الحديث عن البصل والثوم والعدس في هذا الفصل من الكتاب.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والملاحظ من الآية الكريمة أن القثاء كان أول نبات ذكره بنى إسرائيل بالاسم تحديدا، فهم طلبوا أن تُنبت لهم الأرض البقل وهو اسم جامع لكل نبات ليس بشجر يقوم على ساق. وقد قيل: البقل هو النبات الذى لا ينبت أصله وفرعه فى الشتاء(١). وقيل: البقل هو النبات الرطب مما يأكله الناس والأنعام من سائر البقول(٢). وليس هناك سبب معروف لدينا يجعل بنى إسرائيل يفضلون القثاء على المن والسلوى وعلى غيره من النباتات إذ جاء فى مقدمة النباتات التى طلبوها بالاسم. فهل كان بنو إسرائيل من عشاق القثاء؟.

١٧ـ الكافور

أشجار الكافور معمرة، طويلة السيقان، خضراء الأوراق، بيضاء الأزهار، تنمو بكثرة فى اليابان والصين وجزيرة تايوان. وتعتبر أستراليا موطن الكافور الأصلى، وقد أُدخلت زراعته إلى أوربا سنة ١٨٥٧م. ومن فرنسا أُحضرت بذوره إلى مصر عام ١٨٦٥م حيث زُرعت بحديقة النباتات.

ويُطلق اسم الكافور أيضا على المادة المستخرجة من شجره، وصيغتها الكيميائية ($C_{10}H_{16}O$) وهى تُستخرج بتعريض قطع من خشب شجر الكافور للبخار حيث يتجمد الكافور على قطع الخشب مكونًا طبقة زيتية الشكل. وتُجمع هذه المادة ويُستخلص الكافور منها فى شكل بلورات شبه شفافة تميل إلى اللون الأبيض، وتُنقى البلورات بالتسامى، وهى طريقة يتحول فيها الكافور من الحالة الصلبة رأسًا إلى الحالة الغازية تاركا الشوائب وراءه. وفى الوقت الحاضر يُنتج الكيميائيون الكافور صناعيًا فى المختبرات(٣). ويُستعمل الكافور لإفساد الكحول

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، المجلد الأول ص ٢٢٨. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الأول ص ٧٠. المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى ص ٥٦.

(٢) صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم للدوسرى، المجلد الثانى ص ١٤٧.

(٣) الموسوعة العربية العالمية، المجلد التاسع عشر.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإثيلى وهو النوع الذى يُستخدم فى المشروبات الكحولية، كما يُستخدم فى مستحضرات التجميل والأدوية، ويُستعمل (روح الكافور) كدواء مطهر وهو يتكون من مزيج من الكافور والكحول والماء بنسب (١٠: ٧٠: ٢٠) على التوالى. ويقال إن الكافور نافع للصداع، والأورام، والرمد[١].

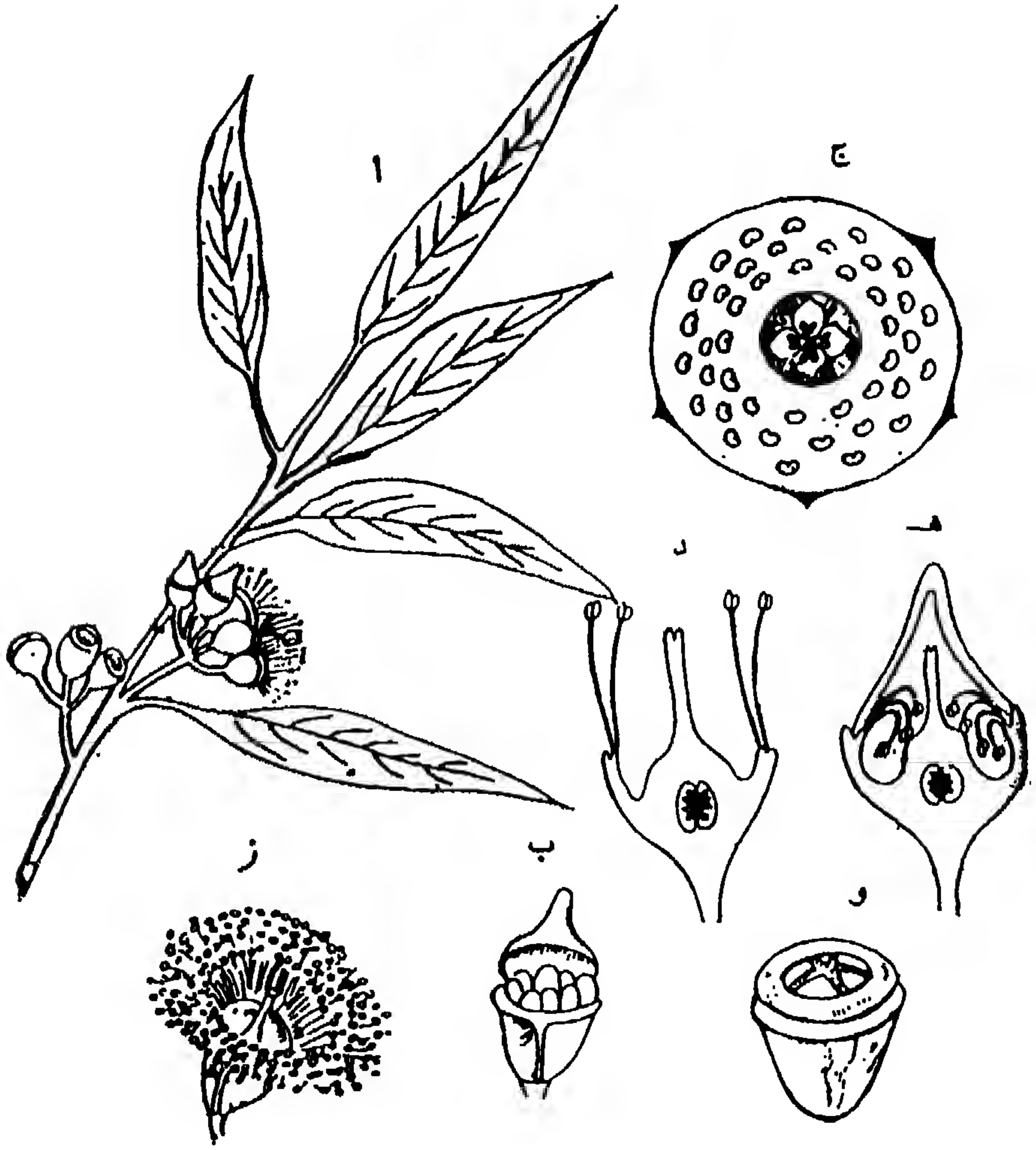

فصيلة الكافور (أ) نبات مزهر، (ب) زهرة، (جـ) زهرة متفتحة (د) مسقط زهرى (هـ) قطاع طولى فى الزهرة (و) قطاع طولى فى البرعم. (ز) ثمرة.

(١) عالم النبات فى حياة الرسول ﷺ للمؤلفين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكافور فى القرآن الكريم

الكافور كـالزنجبيل ذُكـر كل منهما مـرة واحدة فى القرآن الكريم فى سـياق تبشير عباد الله المؤمنين الأبرار بما أعده لهم ربهم سبـحانه فى الجنة جزاءً عما برت قلوبهم بما فيها من معرفة الله ومحبته، وعن أعمالهم وطاعتهم لربهم فى الدنيا[١].

وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ [الإنسان].

وتبين الآيتان الكريمـتان أنه مما أعده الله تبارك وتعـالى لهؤلاء الأبرار شرابا لذيذا من خمر قد مُزجت بالكافور، وهذا الكافور فى غاية اللذة. وقيل فى تفسير قوله تعالى: «إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا»: أنه كافور فى طيب رائحته كما نمدح طعاما فنقول هذا مسك[٢]. وقيل: خمر الجنة كالكافور فى بياضة وطيب رائحته[٣].

وتصور الآيتان الكريمتان شـراب الأبرار فى الجنة ممزوجًا بالكافور فى كأس تُغتـرف من عين تُفجـر لهم تفجيـرًا، وربما يكون هذا التصوير بسـبب أن العرب كانت تمزج كئوس الخمر بالكافور حينًا وبالزنجبيل حينًا وزيادة فى التلذذ بها. وعلى العـموم لا يعلم أحـد أو يحدد مـستـوى أو نوع اللذة فى الجنة، فهى فى الـقرآن الكريم أوصاف للتقريب يعلم الله سبـحانه أن الناس لا يملكون سوها لتصور هذا العجيب المحبوب[٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الخامس ص ٣٣٨، الجزء السابع ص ٥٣٢.

(٢) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الرابع ص ٣١٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء التاسع عشر ص ٨٢، معانى القرآن للفراء، الجزء الثالث ص ٢١٥.

(٤) فى ظلال القـرآن لسيد قـطب، المجلد السادس ص ٣٧٨١. اليـوم الآخر فى ظلال القـرآن لأحمـد فائز ص٣١٩.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وذهب بعض المفسرين إلى أن المقصود بالكافور فى الآية الكريمة ليس هو الكافور المعروف، ولكن هو اسم لعين ماء فى الجنة يشبه الكافور فى رائحته وبياضه(١). والله تعالى أعلم بمراده.

١٨ ـ المتكأ

لو فُسر «المتكأ» على أنه نبات، فهو عند الجمهور: الأترج أو الكباد أو النفاش أوالترنج، وكلها أسماء للأترج. وأخرج ابن أبى حاتم عن سلمة بن تمام الشعرى قال: المتكأ بلسان الحبش يعنى الترنج(٢).

وشجيرة الأترج متوسطة الحجم، دائمة الخضرة، ويتراوح طول أوراقها بين ١٠ - ١٨سم، وحواف الأوراق مسننة قليلاً، والثمرة بيضية الشكل ذات قشرة سميكة قوية، وتُصنف ثمار الأترج بين أكثر ثمار الموالح حجمًا حيث يبلغ طولها من ١٥ - ٢٠ سم أو أكثر، ويبلغ قطرها حوالى ١٥سم، ولب الثمرة أصفر ناصل وطعمه حمض.

وينمو الأترج طبيعيًا فى شمال شرقى الهند، ويُزرع تجاريًا فى كورسيكا، واليونان، وجنوبى إيطاليا، وفلسطين المحتلة.

وتؤكل ثمار الأترج طازجة، أو تُستعمل فى عمل الفطائر والحلوى، كما يُستخرج من القشرة زيوتًا عطرية(٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٤١٠. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء التاسع عشر ص ٨٢. تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الثانى ص٥٥٢٠. تفسير النسفى للنسفى، الجزء الرابع ص ٣١٧. معانى القرآن للفراء، الجزء الثالث ص ٢١٥. مصحف الشروق المفسر الميسر ص٦٦٩. صفوة التفاسير للصابونى، المجلد الثالث ص ٤٩٢.

(٢) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى، الجزء الأول ص ٢٩٦. عالم النبات فى حياة الرسول ﷺ للمؤلفين.

(٣) الموسوعة العربية العالمية، المجلد الأول.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المتكأ فى القرآن الكريم

المتكأ من الألفاظ النادرة فى القرآن الكريم؛ فلم يُذكر إلا مرة واحدة فى واحدة من أحسن القصص القرآنى وهى قصة يوسف الصديق عليه السلام مع زليخا زوجة عزيز مصر. فمن خلال أحداث القصة وبعد محاولات الإغراء التى قامت بها امرأة العزيز وفشلها فى الإيقاع بالنبى الصالح «يوسف» أصبح اسمها على لسان كل نساء المدينة، يذكرنها بكل سوء، وكيف أنها راودت فتاها عن نفسه. وعلمت زوجة العزيز بما يدور ويقال عنها، فدعت هؤلاء النسوة، وأعتدت لهن (متكأ)، وأعطت كلا منهن سكينًا، وطلبت من يوسف عليه السلام أن يُخرج عليهن. فلما شاهدن شطر الجمال «يوسف» قطعن أيديهن، وفى ذلك يقول رب العزة: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف].

والحقيقة أن الذى جعلنا نتعرض لهذه للآيات الكريمة هنا هو لفظ (متكأ) الوارد فى قوله تعالى ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾. وللأمانة العلمية نقول أن هناك خلافا فى بيان المقصود بلفظ (متكأ) فى الآية الكريمة، فهناك عدة أقوال يمكن تلخيصها كما يلى:

القول الأول: ويرجح أن يكون المتكأ هو ما يُتكأ عليه من الفراش ونحوها، وقيل: هو النمرق الذى يُتكأ عليه، وقيل هو المجلس المُعد فيه مفارش ومخاد، وقيل هو محل مهيأ بأنواع الفرش والوسائد، وقيل: هو ما يتكأ عليه من الكراسى والأرائك وهو المعتاد فى دور الكبراء[1]. وفى ذلك يقول الإمام سيد قطب: لقد أقامت لهن مأدبة فى مقرها، ويُدرك من هذا أنهن كن نساء الطبقة الراقية، فهن

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثانى ص ٤٣٤. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الثامن عشر ص ١٣٠. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الثانى ص ٢١٦.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اللواتى يُدعين إلى المآدب فى القصور، وهن اللواتى يؤخذن بهذه الوسائل الناعمة المظهر، ويبدو أنهن يأكلن وهن متكئات على الوسائد والحشايا[١].

أما القول الثانى فيقول أصحابه: إذا كان الأمر كذلك وزليخا امرأة العزيز أعدت للنسوة ما يُتكأ عليه من الفرش ونحوها، فما علاقة السكين المذكورة فى الآية الكريمة ﴿وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا﴾؟. ومن هنا قالوا: المتكأ هو الطعام الذى يُتكأ عليه لأنه جامد القوام، أى أنه لا يُقطع إلا بالاتكاء عليه. وقال جويبر عن الضحاك: «المتكأ» كل شىء يُحز بالسكاكين. وقيل: هو كل طعام لايؤكل حتى يُقطع[٢]. وقال بعض المفسرين: الطعام الذى أعدته زليخا للنسوة كان (الزماورد) وهو طعام يُتخذ من البيض واللبن[٣]. وقال كثير من المفسرين: الطعام الذى كان لابد من تقطيعه بالسكين هو الأترج[٤]. وقيل: المتكأ هو الأترج بلغة القبط، وكذلك فسره مجاهد وقال: المتكأ مثقلا هو الطعام، والمتك مخففا هو الأترج[٥]. وقيل: المتكأ بسكون التاء وتنوين الكاف هو الأترج[٦]. ورُوى عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير قالوا: المتكأ هو الأترج أو الأترنج لأنه لا يُقطع إلا بالاتكاء عليه[٧].

وعليه فيمكن القول أن المتكأ قد يكون هو نبات الأترج على أغلب الأقوال وهو الرأى الذى نميل إليه، وقد يكون غير ذلك... والله تعالى أعلم بمراده.

---

(١) صفوة التفاسير للصابونى، المجلد الثانى ص ٤٩.

(٢) تفسيرالمنار لرشيد رضا، الجزء الثانى عشر ص ٢٤١. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الثامن عشر ص ١٣٠. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢١٧.

(٣) معانى القرآن للفراء، الجزء الثانى ص ٤٢.

(٤) المرجع السابق، تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثانى ص ٤٦٤. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء التاسع ص ١١٧. مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٢٦٤. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الثامن عشر ص ١٣٠.

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء التاسع ص ١١٧.

(٦) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الثانى ص ٢١٦.

(٧) تفسير المنار لرشيد رضا، الجزء الثانى عشر ص ٢٤١.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٩ ـ النخيل

النخيل مجموعة من النباتات يعود تاريخها إلى ماض سحيق، فقد عُثر على أحافير لأوراق نخيل تعود إلى عصر الزواحف (قبل حوالى ٢٤٠ مليون إلى ٦٣ مليون سنة). ولقد نما النخيل فى وقت ما فى جميع أنحاء الكرة الأرضية حيث وُجدت أحافيره شمالا حتى جرينلاند[١].

ويوجد أكثر من ٢٧٠٠ نوع من النخيل، وتختلف هذه الأنواع كثيراً فى حجم الأشجار وشكل الأوراق والأزهار والثمار التى تنتجها. ومعظم أنواع النخيل لها ساق واحدة مستقيمة، وفى بعض الأنواع تمتد الساق على الأرض، وفى أنواع أخرى تُدفن السيقان فى التربة، وهناك أنواع من النخيل لها سيقان متعددة تخرج من نفس قاعدة الجذور.

ويمدنا النخيل بالظل، ومواد البناء، والوقود، كما تعتمد عليه صناعة الحبال والمكانس، وتُصنع الحُصر والقبعات والسلال من شرائح سعف النخيل المجدولة. وتمدنا أشجار النخيل أيضًا بالزيت الذى يُستخدم فى الطعام والإنارة. وأحيانا تستعمل بذرة النخيل «النواة» فى عمل أزرار ومنحوتات، كما تُستعمل علفًا للحيوانات بعد طحنها، كما تُستخدم كوقود أيضًا.

ويعتبر نخيل التمر من أهم أنواع النخيل، وهو ينمو فى المناخ الحار والجاف كشمال أفريقيا والشرق الأوسط. وتعتبر نخلة التمر من أقدم ما زرع الإنسان؛ فقد بدأت الحضارات القديمة فى زرع نخيل التمر قبل خمسة آلاف سنة على الأقل، وأقدم الآثار الدالة على زراعة النخيل فى (بابل) منذ أكثر من أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، وفى مصر منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد. وقد عُثر على نخلة صغيرة كاملة بإحدى مقابر سقارة حول مومياء من عصر الأسرة الأولى.

---

(١) الموسوعة العربية العالمية، المجلد الخامس والعشرون.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واهتم العربى القديم بالنخلة وارتبط بها، وليس أدل على اهتمامه بها وبإنتاجها أنه وضع للتمر - وهو أحد منتجاتها - أسماء كثيرة منها: الطلع، الضحك، الأغريض، الغضيض، البسر، الزهو، السياب، البلح، الرطب، التمر، اليبس[1]. وكرم العرب النخلة، وهناك قول مشهور لهارون الرشيد، نظرنا فإذا كل ذهب وفضة على الأرض لا تبلغان ثمن نخل البصرة. وقال شعراء العرب فى النخيل ما لا يحصى من أبيات الشعر، ونذكر منها قول أحمد شوقى:

فيانخلة الرمل لم تبخلى ∴ ولا قصرت نخلات التُّربْ

وأنتُنّ فى الهاجرات الظلال ∴ كأن أعاليكنُ القبب

وأنتن فى جنات القصور ∴ حسانُ الدقى الزائنات الرحب

وقد تنمو نخلة التمر إلى ارتفاع ٣٠ متراً، ولها جذع مستقيم خشن، ذو سمك متساوٍ من أسفل إلى أعلى. وتنتشر أوراقها كالريش على شكل مروحة من أعلى الجذع، ويبلغ طول الأوراق من ٣ - ٦ م. وتنمو نبتات صغيرة تُسمى الفسائل قرب أسفل الجذع، ويمكنها أن تتطور إلى شجيرات جديدة، ولذلك ينمو نخل التمر على شكل مجموعات.

وتحتاج جذور نخلة التمر إلى مقادير مائية منتظمة كتلك التى تتم عن طريق السقى أو الينابيع الموجودة تحت سطح الأرض. ويمكن إنبات نخلة التمر من نواتها، إلا أن المزارعين عادة يزرعونها بالفسائل على شكل صفوف ويبعدون الواحدة عن الأخرى تسعة أمتار. ويبدأ النخيل فى الإزهار وإنتاج الثمار بعد حوالى أربع سنوات من الغرس. وعادة ما يُلقح نخيل التمر صناعيا، وكذلك تتم عملية جنى الثمار. ويُنتج حاليا حوالى ٢,٧ مليون طن مترى من التمور الطازجة سنويًّا. وتُعد المملكة العربية السعودية والعراق من أكبر منتجى التمور، كما تُعتبر الجزائر وإيران ومصر وباكستان من أهم المنتجين كذلك.

ونخيل التمر أشجار وحيدة المسكن بمعنى أن هناك نخلا ذكرا وآخر أنثى. وتزهر أشجار نخيل التمر ما بين شهرى فبراير ويونيو، وتنضج الثمار بين شهرى يونيو وديسمبر.

---

(١) ملاك التأويل للعاصمى، الجزء الثانى ص ٨١١.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتمر ثمرة نخيل التمر بخمسة أطوار رئيسية بعد عملية التلقيح والإخصاب وهى:

١- طور الحبابوك أو الحبمبو: ويبدأ هذا الطور بعد التلقيح مباشرة ويستغرق من ٤ إلى ٥ أسابيع، وتكون الثمرة فيه صغيرة كروية الشكل ولونها قشطى مع خطوط أفقية خضراء.

٢- طور الكمرى: وتصبح الثمرة فيه بيضاوية الشكل ولونها أخضر وطعمها مر.

٣- طور الخلال أوالبسر: وتبلغ الثمرة فى هذا الطور حجمها وشكلها النهائى وقد اصفر لونها وأصبح مشوبًا بالحمرة، وطعمها قابض بعض الشىء، وتستمر هذه الفترة من ٣ إلى ٥ أسابيع.

٤- طور الرطب: ويُطلق هذا الاسم عندما يصبح النصف المدبب السائب البعيد عن نقطة الارتكاز على الشمراخ لحميا، بينما يبقى النصف الآخر كما كان فى مرحلة الخلال. وكثير من التمور تُستهلك فى هذه المرحلة. وتبدأ هذه المرحلة بعد أسبوعين إلى أربعة أسابيع من نهاية طور الخلال.

٥- طور التمر: وهو آخر أطوار نضج ثمار النخيل، ويتم ذلك بعد أن ينضج النصف الثانى من الرطب.

وتحتوى ثمار نخيل التمر على نسبة عالية من الكربوهيدرات المولدة للنشاط والحركة، كما تحتوى على كمية من الفيتامينات التى تقى من مرض البلاجرا. وكذلك تحتوى على مركبات الحديد التى تدخل فى تركيب الدم، وكمية من الكالسيوم التى تدخل فى تركيب العظام والأسنان(١).

أما طلع النخيل فقد أثبتت التحاليل الحديثة أنه يحتوى على ١٧٪ سكر، ٢٢٪ بروتين، ونسبة عالية من الكالسيوم. كما يحتوى على فيتامينى (ب، جـ)، بالإضافة إلى الفوسفور والحديد. كما ثبت أنه يحتوى على هرمون (الإيسترون) الذى يُنشط المبيض وينظم الدورة الشهرية ويساعد على تكون البويضة

---

(١) عالم النبات فى طب وأمثال الأجداد للمؤلفين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى الأنثى. وهذا يفسر حكمة العرب القدامى فى استعمال طلع النخيل مخلوطًا بالعسل كشراب مقوٍّ للناحية الجنسية عند الرجل، كما يُستعمل لبوسًا لعلاج حالات العقم عند النساء.

والطريف أن لنواة التمر مكانة فى الطب الشعبى، فيقال: فإذا غُسل نوى التمر بعد إحراقه، وأُمِرَّ بالميل على رموش العين أنبت الأهداب.

النخيل فى القرآن الكريم

النخيل هو أكثر النباتات ذكرًا فى القرآن الكريم، فقد ذُكرت النخلة أو أحد مكوناتها ما يربو على الأربعين مرة؛ وربما يرجع ذلك إلى أهمية النخلة فى المجتمع العربى قبل الإسلام، ولارتباط الإنسان العربى بها وتأثيرها الكبير فى حياته؛ فكانت النخلة زراعته وغذاؤه وثروته. ومما يؤكد مكانة النخلة فى المجتمع العربى قبل الإسلام وأنها كانت عنوانًا للثروة والجاه وربما القوة والمنعة أيضًا ماجاء على لسان كفار قريش فى أحد حواراتهم الجدلية مع النبى ﷺ والذى سجله رب العزة فى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾﴾ [الإسراء].

وشرف القرآن الكريم النخلة بأن جعلها أحد نعم الله على العباد فى الدنيا، وفى ذلك يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام].

ويقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأنعام].

ويقول عز من قائل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ [النحل].

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويقول رب العزة: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٨) فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٩) ﴾ [المؤمنون].

ويحثنا القرآن الكريم على النظر إلى هذه النعم بعين واعية وقلب مطمئن مفتوح، فيقول تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) ﴾ [عبس].

وأجمعت الآيات الكريمة على أن إخراج النخيل من الأرض وغيره من الزروع هو من الدلالات على كمال قدرة وحكمه الله ورحمته[1].

والغريب أن بعض الناس يرى النعمة ويستمتع بها، ولكنه يعيش معها فقط، ولا يفكر فى المنعم، بل وأحيانا يتبجح وينسب كل شىء لنفسه، وإن أعطى أو أحسن فهو رياء يطلب به رضا الناس. وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) ﴾ [الكهف].

ويقول سبحانه وتعالى فى الآية ٢٦٦ من سورة البقرة مصوراً نهاية أهل الرياء: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢٦٦) ﴾ [البقرة].

وتأخذنا الآية الرابعة من سورة الرعد إلى صورة من صور طلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى وهى إخراج الزروع ومنها النخيل من الأرض واختلاف ثمارها وتنوع غلاتها فيقول تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤) ﴾ [الرعد].

(١) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الثانى ص ٣١.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويشيـر القرآن الكريم فى أكثـر من موضع إلى ارتباط يكاد يكون وثيـقًا بين صورة إخراج الموتى من القبور يوم البعث، وبين صورة إخراج النبات ـ من ضمنه النخيل بـالطبع – من الأرض فى الدنيا، فـإذا أراد القرآن الكريم أن يقرر حـتمـية خروج الموتى من الـقبور ووقـوفهم بين يدى الله للحـساب قَرَّبَ لنـا هذه الصورة بصـورة خروج النخـيل والزروع من الأرض فى الدنيـا، وفى ذلك يقول تعـالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾[ق]

ويقول تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾﴾ [يس].

وربما يكون ما يمـيز النخلة فى القرآن الكريم عن بقـية النباتات أنهـا النبات الوحيد الذى ذُكر بعض أجزائه؛ فكل النباتات الأخرى ذُكرت كلفظ عام (زيتون – رمان – عنب . . .إلخ). أمـا النخلة فذُكـرت كلفظ عام ثم خُص بعض أجـزائها بالاسم. ومن هذه الأجزاء التى ذُكرت فى القرآن الـكريم «أكمام النخلة». ويقول علماء اللغة: الأكمام جـمع كم بالضم، وهو ما يغطى النخل من الليف لأنه يشبه كم القميص[1]. وقـيل: الأكـمـام جـمع كم بكسـر الكاف وهو غـلاف ثمـرة النخيل[2]. وقـيل: الكمـة وعـاء الطلـع وغطاء النَّوَر، والجـمع كـمـام وأكـمـة وأكمام[3]. وجاء لفظ «أكـمام» فى القرآن الكـريم مرة واحدة فى سـورة الرحمن حيث قال تعالى: ﴿وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ ﴿١١﴾﴾ [الرحمن]، وقيل: النخل ذات الأكـمـام أى: ذات الليـف، فإن النخل قد يكتم بالليف، وكمامها ليفها الذى فى أعناقها[4].

---

(١) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الرابع ص ١٥٢.
(٢) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الخامس ص ١٥٢.
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء السابع عشر ص ١٠٢.
(٤) المرجع السابق.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأشار القرآن الكريم لجذع النخلة مرتين فى سورة مريم حيث قال تعالى: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾ [مريم].

وقيل الجذع المذكور فى الآيات الكريمة كان لنخلة خضراء، ولكنه زمان شتاء، فصار وجود الرطب فى غير إبّانه آية. وقيل: كان جذعًا يابسًا فهزته فاخضر وأورق وأثمر فى لحظة(1). وقال ابن عباس - رضى الله عنهما -: كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة، وكان الوقت شتاء، فهزتها فجعل الله لها رأسا وخوصًا ورطبًا. وربما يكون هذا دليل على أن من قدرته سبحانه أن تثمر النخلة اليابسة فى الشتاء كما تحمل وتلد العذراء بغير ذكر(2). وهذا هو الرأى الأقرب لعقولنا؛ لأن الآيات الكريمة تتحدث عن جذع نخلة وليس عن نخلة كاملة. .والله تعالى أعلم بمراده.

ويقول ابن العربى فى كتابه «أحكام القرآن»: دخلتُ بيت لحم سنة خمس وثمانين وأربعمائه، فرأيتُ فى متعبدهم غارا عليه جذع يابس كان رهبانهم يذكرون أنه جذع مريم بإجماع. فلما كان فى المحرم سنة اثنتين وتسعين دخلت بيت لحم فرأيت الغار فى المعبد خاليا من الجذع. فسألت الرهبان به، فقالوا: نخر وتساقط مع أن الخلق كانوا يقطعونه استشفاء حتى تساقط(3).

وجذع النخلة يُجمع على جذوع فيقال جذع وجذوع. وجاء لفظ جذوع مرة واحدة فى القرآن الكريم فى سورة طه فيقول تعالى على لسان فرعون: ﴿ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾ [طه].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الحادى عشر ص ٦٣. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الحادى والعشرون ص ٢٠٤. تفسير النسفى للنسفى، الجزء الثالث ص ١٠.

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثالث ص ١٠٨ - ١١٠. تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الثانى ص ٢٩، ٣٠.

(3) أحكام القرآن لابن العربى، القسم الثالث ص ١٢٥٢، ١٢٥٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتصور الآية الكريمة الموقف العسير الذى وقفه السحرة أمام فرعون بعد أن آمنوا بالله رب العالمين، وأن هذا الفرعون المتكبر أمر بقطع أيديهم وأرجلهم ثم صلبهم فى جذوع النخل .ويظهر من الآية الكريمة أن الصلب فى جذوع النخل كان أحد طرق التعذيب والقتل كاستعمال المشنقة فى عصرنا الحاضر.

وقال المفسرون فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ اختار فرعون النخلة لصلب السحرة لطول جذوع النخل فيزيد ذلك فى عذابهم. وهنا سؤال يطرح نفسه: لماذا اختار القرآن لفظ ﴿فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ رغم أن الظاهر أن الصلب يكون «على جذوع النخل» لأن «على» للاستعلاء، وهم فعلا لن يصلبوا على رءوس النخل، بل فى وسطها، فكانت «فى» أحسن من «على»[1]. وقيل: «فى» يجىء بمعنى «على» كقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ وقيل «فى» ظرفية؛ لأن الجذع للمصلوب بمنزلة القبر للمقبور.

ولعل أقرب الألفاظ إلى «جذوع النخل» هو «أعجاز النخل» وجاء لفظ «أعجاز» مرتين فى القرآن الكريم فى وصف حال قوم عاد بعد أن أهلكهم الله سبحانه وتعالى فيقول فى سورة القمر: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [القمر].

ويقول تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ [الحاقة].

وفى الآيات الكريمة يخبر المولى عز وجل عن قوم عاد وعذابهم، وكيف أن الريح كانت تحمل الواحد منهم فترفعه حتى تغيبه عن الأبصار ثم تسقطه على أم

---

(١) البرهان فى علوم القرآن للزركشى، الجزء الرابع ص ١٧٦. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثالث ص ٢١٤. تفسير النسفى للنسفى، الجزء الثالث ص ٥٩. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء الثانى والعشرون ص ٨٩.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رأسه فيبقى جثة بلا رأس[١]. وقيل: شبه الله سبحانه وتعالى قوم عاد بعد هلاكهم بأعجاز النخل لأنهم كانوا عظام الأجسام[٢]. ويلاحظ القارئ أن الله سبحانه وتعالى قال فى سورة القمر: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ وقال فى سورة الحاقة ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ والحقيقة أنه لا تعارض بينهما فمعنى أعجاز نخل منقعر أى منقلع من أصله، ويقال قُعرت النخلة قعرًا أى قلعت من أصلها. وقيل المنقعر هو المصرعُ من النخل[٣]. أما قوله تعالى: «أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ» فمعناه: أعجاز نخل بالية خربة[٤]. وبالتالى فالمعنيان يكملان بعضهما بعضًا.

أما طلع النخل فذُكر ثلاث مرات فى القرآن الكريم. وقيل الطلع هو الكفرى والوعاء قبل ظهور القنو منه، والعرب تسمى الطلع الكُفُرّى والكوافير وواحدته كافورة وكُفُرّاة. وقيل: الطلع هو عنقود التمر فى أول نباته قبل أن يخرج من الكم[٥]. ويقول تعالى مُذكرًا عباده ببعض فضله عليهم: ﴿وَهُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام].

وفى الآية الكريمة جاء أيضا لفظ «قنوان» وقيل هو عذوق وعراجين البلح، ووصفها الله بأنها دانية قريبة سهلة التناول متدلية. وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾ [ق].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٢٢٣٨. مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٦٠٥. فى ظلال القرآن للسيد قطب، المجلد السادس ص ٣٤٣١.

(٢) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الرابع ص ١٤٦..

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء السابع عشر ص ٨٩. تفسير المراغى للمراغى، الجزء السابع والعشرون ص ٨٧..

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٢٣٧٢.

(٥) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الثانى ص ٥١٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقيل فى تفسير «نضيد» أى المتراكب بعضه على بعض[1]. وقيل: يقال للطلع نضيد ما دام ملتصقا بعضه ببعض، فإذا تفرق فليس بنضيد[2].

والقارئ للقرآن الكريم يلاحظ أن المولى سبحانه وتعالى وصف الطلع مرة بأنه «نضيد» فى سورة (ق). ومرة أخرى بأنه «هضيم». فى سورة (الشعراء) حيث قال تعالى: ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ۝١٤٨﴾ [الشعراء]. وقيل فى تفسير قوله تعالى: «وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ» أى ونخل قد أينع حملها ونضج، وقيل: الهضيم هو الرطب اللين؛ والمعنى أن الطلع لين رطب[3]. وقيل الهضيم هو الذى لانوى له. وقيل: يقال للطلع هضيم ما لم يخرج من كفراه[4].

وذُكر «العرجون» مرة واحدة فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۝٣٩﴾ [يس]. وقيل: العرجون أصل العنقود الرطب إذا عتق ويبس وانحنى[5]. وقيل العرجون هو ما بين الشماريخ إلى النابت فى النخلة. أما العرجون القديم فهو الذى أتى عليه حول[6]. وفى الآية الكريمة شبه المولى عز وجل القمر فى نهاية الشهر العربى بالعرجون القديم فى قدمه، وصغر حجمه، وانحنائه، وهذا دليل ظاهر وبرهان بين على عظمة الخالق وعظمة أوصافه[7].

وفى آية من آيات القرآن الكريم والتى تعتبر فى حد ذاتها سبق علمى يشير القرآن إلى علاقة ما بين سهولة الولادة والرطب فيقول تعالى:

---

(١) مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٥٩.

(٢) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الرابع ص ١١٤.

(٣) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الثالث ص ١٩١. تفسير النسفى للنسفى، الجزء الثالث ص ١٩٢. تفسير المراغى للمراغى، الجزء التاسع عشر ص ٨٩، مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٤١٨. كلمات القرآن - تفسير وبيان للشيخ مخلوف.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثالث ص ٣١٢. الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الثالث عشر ص ٨٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثالث ص ٥٣٣.

(٦) معانى القرآن للفراء، الجزء الثانى ص ٣٧٨.

(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الخامس عشر ص ٢٢. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الخامس ص ٢٩٦٩. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الرابع ص ٢٢٦. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، ص ٣٥٧. مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٤٩٩.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾ [مريم].

ونستشف من الآية الكريمة أن هناك علاقة بين أكل الرطب وسهولة الولادة، وإلا فلماذا اختار المولى عز وجل الرطب بالذات ليكون طعاما لمريم عليها السلام عند ولادتها. ونُقل عن ابن كثير عن عمرو بن ميمون قال: ما من شيء خير للنفساء من التمر والرطب ثم تلا هذه الآية. وللحقيقة نقول: كانت هذه الآية الكريمة هى الطريق الذى هدى العلماء إلى أهمية الرطب للنساء للنفساء، وعن طريق التجارب والتحاليل المعملية ثبت أن الرطب يحتوى على مواد منبهة ومنشطة تعمل على تقوية عضلات الرحم فى الأشهر الأخيرة من الحمل، كما أنها تساعد على انقباض الرحم عند الولادة، والتخفيف فى الوقت نفسه من كمية النزف بعد الولادة[1].

وأشار القرآن الكريم إلى جزء من أجزاء النخلة ألا وهو النواة، ففى آية من الآيات الدالة على قدرة الله والتى لا يدعيها أحد لنفسه مهما كان يقول تعالى عن نفسه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الأنعام].

ولم يقف الأمر عند ذكر النواة، بل تعداه إلى ذكر ما هو أدق وهو النقرة فى ظهر النواة التى سماها القرآن (النقير)[2]. وذُكر النقير مرتين فى سورة النساء، ففى المرة الأول يسخر القرآن من المؤمنين بالطاغوت فيقول تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [النساء].

أما المرة الثانية فُذكر النقير فى تصوير صورة من صور العدل الإلهى المطلق فيقول تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النساء].

---

(١) عالم النبات فى طب وأمثال الأجداد للمؤلفين. عالم النبات فى حياة الرسول ﷺ للمؤلفين.

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٢٩.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى نفس الموضوع وهوتصوير العدل الإلهى المطلق ذكر القرآن الكريم لفظى «فتيل وقطمير». أما الفتـيل فهو القشرة فى بطن نواة البلح على أغلب الأقوال[1].

وفى ذلك يقول النابغة الزبيانى:

يجـمع الجيش ذا الألوف ونفـيـرو   ثم لا يـرزأ الأعــادى فــتـيـــلا

وتقول الدكـتورة بنت الشاطئ فى كـتابها «الإعجـاز البيانى للقـرآن»: جاء لفظى «فـتيل»، ثلاث مرات فى سـورتين[2]. فيقـول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٤٩﴾﴾ [النساء].

ويقول رب العزة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٧٧﴾﴾ [النساء].

ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٧١﴾﴾ [الإسراء].

أمـا القطمير فلفظـة وحيـدة فى القرآن الكريم صيغة ومادة، وقال ابن عباس – رضى الله عنهمـا – : القطمير هو الجلدة البيـضاء التى على النواة[3]. واستشهد بقول أمية بن أبى الصلت:

---

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٢٩. الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى. المجلد الأول ص ٢٧٣.

(٢) الإعجاز البيانى للقرآن لبنت الشاطئ ص ٤٠٩.

(٣) الإعجاز البيانى للقـرآن لبنت الشاطئ ص ٤١٠. تيسير الكريم الرحمن فى تفسـير كلام المنان للسعدى، الجزء السادس ص ٣٠٨. مصحف الشروق المفسر الميسـر ص ٣٠٨. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الثالث ص ٥١٣. تفسيـرغريب القرآن لابن قتيبة ص ١٢٩. الإتقـان فى علوم القرآن للسيوطى، المجلد الأول ص ٢٧٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لم أنل منهم فسيلا ولا زبداً ولا فوفة ولا قطميراً

وقيل: القطمير هو القمع الذى على رأس النواة(١). وقيل: القطمير هو مثلُ يُضرب فى الحقارة(٢)، والرأى الأول هو الأشهر. وجاء ذكر القطمير فى الآية [١٣ من سورة فاطر] حيث يصور القرآن الكريم ضعف وعجز ما يُعبد من دون الله، فيقول تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر].

وتقرر الآية الكريمة أن الملك كله لله سبحانه، وأن ما يُعبد من دون الله من آلهة أو أصنام أو أوثان أو ممن ادعوا الألوهية من البشر، هؤلاء جميعا لايملكون خلق أى شىء حتى ولو كان القطمير ذلك الشىء الحقير.

وكما كانت النخلة إحدى نعم الله على عبادة فى الدنيا، فهى أيضا إحدى نعم الله على عباده فى الجنة. وفى ذلك يقول تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرحمن]. وفى تفسير هذه الآية الكريمة يقول ابن عباس - رضى الله عنهما - : نخل الجنة سعفها كسوة لأهل الجنة، ومنها حللهم، وكربها ذهب أحمر، وجذوعها زمرد أخضر، وثمرها أحلى من العسل، وألين من الزبد، وليس له عجم(٣).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الرابع عشر ص ٢١٥. المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى، ص٤٠٨.

(٢) صفوة التفاسير للصابونى، المجلد الثانى ص ٥٧٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٢٥٢.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢٠ ـ الورد

عرف الإنسان الورد واستخدمه وأحبه منذ زمن بعيد، ولقبه الأغريق منذ أكثر من ٢٦٠٠ سنة بملك الزهور. وكان قدماء الرومان يزينون المواكب الرسمية بالورد، وعنهم ورثنا فكرة مواكب الورود والأزهار. وقال المؤرخ (مارسيال): أهدى المصريون كميات كبيرة من الورود إلى الإمبراطور (ميسيانوس) يوم الاحتفال بعيده، وقد عاش هذا الإمبراطور الرومانى فى أواخر القرن الأول الميلادى. وعندما ارتفع فى سماء مصر نجم الملكة الفاتنة «كليوباترا» ارتفع معها نجم الوردة، فقد كانت زهرتها المفضلة، فمُلئت بها الحدائق، وزُينت بها القصور. وعندما جاء إلى الإسكندرية «أنطونيوس» بوصفه ضابطًا تحت إمرة «يوليوس قيصر» أُهديت إليه باقة من الورد وهو نازل من سفينته.

والورد فى الحقيقة جنس لما يقع تحته من أنواع، والورد نَوَرْ كل شجرة وزهر كل نبته. وللورد عدة ألوان تشمل البنفسجى والأحمر والأصفر والأبيض. ولم ينجح مزارعو الورد حتى الآن فى إنتاج ورد أزرق اللون.

والطريف أن أنواع بعض الورد مثل ورد الشاى تعطى رائحة الشاى، وبعضها له رائحة الفاكهة، وبعضها الآخر له رائحة الورد العطرة[1].

ويعود أصل الورد إلى المناطق الواقعة فى شمال الكرة الأرضية فقط، إلا أنه يُزرع اليوم فى مختلف بقاع الدنيا، ولكنه ينمو جيدا فى الظروف المناخية المعتدلة. ويتكاثر الورد بالعُقل، وتناسب زراعته التربة الطينية الصفراء، ويجب خلط التربة بكمية مناسبة من الأسمدة العضوية:

وبجانب أهمية الورد فى تزيين الحدائق والمنازل، فإنه يُستخرج منه شراب الورد، ومربى الورد، كما يُستخرج منه بالتقطير ماء الورد وعطر الورد.

---

(١) الموسوعة العربية العالمية، المجلد السابع والعشرون.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وللورد استخدامات طبية عديدة، فهو مُسكِّن للصفراء، ومقوٍ للأعضاء، ومُصلح لرائحة العرق إذا استُعمل فى الحمام، وقاطع للثآليل إذا استعمل مسحوقا. وماؤه جيد للكبد، ومربى الورد بالعسل مقوية للمعدة. وشراب الورد نافع لأوجاع الأمعاء وقروحها وغيرها من الاستخدامات التى لا تحصى(١).

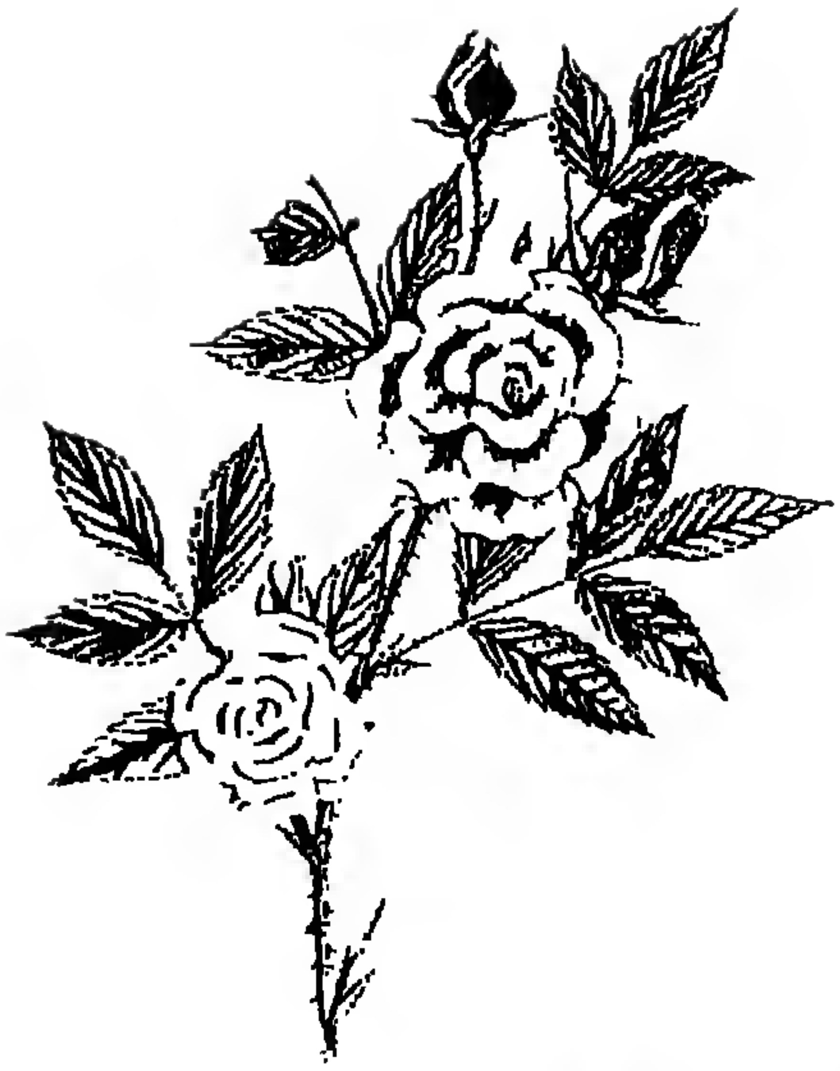

الورد فى القرآن الكريم

فى آيات كثيرة يصف القرآن الكريم يوم القيامة، ويشير فى معظمها إلى وقوع دمار كامل فى السماء وأفلاكها وكواكبها(٢). ففى سورة الرحمن مثلاً يصور لنا القرآن الكريم صورة مما سيحدث يوم القيامة، فالسماء ذلك البناء الشامخ العظيم الذى تجرى فيه الكواكب والنجوم كل فى مساره، . . . . نراها تصدعت واختل نظامها، وانخسف شمسها وقمرها، وتبعثرت أجرامها، وابتعدت كواكبها عن مداراتها، واحمر لونها، وأُذيبت حتى صارت كأنها زيت أو دهن(٣). وفى ذلك يقول مالك يوم الدين: ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الرحمن]. وتصور الآية الكريمة صورة لانشقاق السماء وتفككها وتحولها إلى شيء لين يشبه الورد فى لونه والدهن فى قوامه(٤). وقال المفسرون فى تفسير الآية

---

(١) الطب النبوى للذهبى. عالم النبات فى طب وأمثال الأجداد للمؤلفين.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٢٤٧. تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الثانى ص٤٥٤. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد السادس ص ٣٤٥٧. مشاهد القيامة فى ظلال القرآن لسيد قطب ص ٢١٤.

(٣) تفسير المراغى للمراغى، الجزء السابع والعشرون ص ١٢٠. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدى، الجزء الخامس ص ١٥٦.

(٤) تفسير النسفى للنسفى، الجزء الرابع ص ٢١١. المعجزة الكبرى - القرآن - لمحمد أبو زهرة ص ٢٤٩.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكريمة: ستصبح السماء فى حمرة الورد الأحمر، ويصبح قوامها كالدهن فى إشراق لونه وذوبانه، قال هذا مجاهد والضحاك وغيرهما. وقال سعيد بن جبير وقتادة: المعنى أن السماء ستكون حمراء. وقيل: إن السماء ستصير فى حمرة الوردة وجريان الدهن، أى أنها تذوب مع الانشقاق حتى تصير حمراء من جرارة جهنم[1].

ومما سبق يمكن القول أن لفظ (وردة) جاء مرة واحدة فقط فى الآية [٣٧ من سورة الرحمن] فى وصف حالة السماء إذا قامت القيامة. ونحن نقول: إن هذا الوصف يعتبر من الأدلة التى لا تحصى على مصدر هذا القرآن؛ فمن من البشر مهما بلغ من العلم يستطيع أن يصور لنا هذا الصرح الشامخ (السماء) عندما يذوب ويصبح كالدهن؟. لا أحد غير خالق السماء.. مالك يوم الدين.

٢١ـ اليقطين

يُطلق اسم يقطين على كل نبات يمتد على الأرض وليس له ساق، وإن كان عامة الناس يطلقونه على «القرع» أو «الدباء» بعينه[2].

ويحتمل أن يكون منشأ جنس اليقطين أمريكا الشمالية؛ لأن بذورا من نباتات ذات قرابة به وُجدت فى المكسيك، ويرجع تاريخها إلى ما ٧٠٠٠ و ٥٥٠٠ سنة قبل الميلاد[3].

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء السابع عشر ص ١١٣. صفوة التفاسير للصابونى، المجلد الثالث ص ٢٩٨. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى، الجزء الرابع ص ١٥٥. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣٩. معانى القرآن للفراء، الجزء الثالث ص ١١٧. مصحف الشروق المفسر الميسر ص٦٠٩.

(٢) الطب النبوى للذهبى. الطب النبوى لابن قيم الجوزية.

(٣) الموسوعة العربية العالمية، المجلد السابع والعشرون.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولمعظم أنواع اليقطين أوراق كبيرة مشوكة، تنتج أزهارًا ذكرية وأنثوية. والأزهار الذكرية فقط هى تحمل اللقاح الذى ينقله النحل إلى الأزهار الأنثوية، ثم تتحول الأزهار الأنثوية الملقحة إلى ثمرات. وثمار جنس اليقطين عمومًا مستديرة أو بيضية، وهى ذات قشرة صلبة ولب قاسى الألياف. وبداخل الثمرة فجوة مركزية تحتفظ بالبذور. وتزن ثمرة معظم أنواع اليقطين من ٧ - ١٠ كجم، وفى بعض الحالات يصل وزن الثمرة ٩٠ كجم. ويغلب على معظم الثمار اللون البرتقالى، ولكن بعضها أبيض أو ذو ألوان أخرى.

وتنمو معظم أنواع اليقطين على شكل كرمة أو شجيرات، وبالنسبة للكروم الأرضية فإنها تزرع فى مجموعات تبعد كل منها عن الأخرى بمسافة ٣,٥ سم. وتختلف زراعة الشجيرات حيث تكون الشجيرات متقاربة بل وبدون أى مسافات. وتوافق زراعة اليقطين التربة قليلة الحموضة؛ وتنضج الثمار بعد مضى أربعة شهور من زراعة البذور.

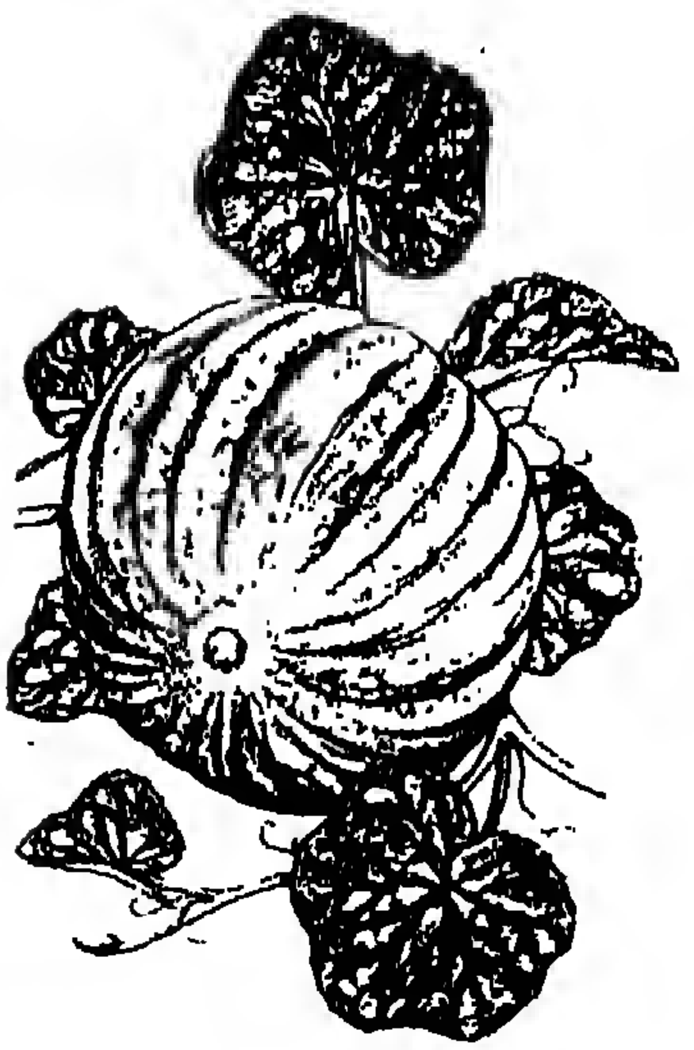

ونباتات اليقطين مصدر هام للبوتاسيوم، وفيتامين (أ)، كما تحتوى بذورها على البروتين والحديد. واليقطين غذاء محبب لكثير من الشعوب، ويقوم بعضهم بتفريغ محتويات اليقطين وتقطيعه إلى شرائح بهيئة أبراج تُستخدم ديكورات. أما الفلاحون فإنهم يستخدمونه أحيانًا علفًا للماشية.

ولليقطين مكانة معروفة فى الطب الشعبى، فهو علاج لكثير من الأمراض[١].

(١) عالم النبات فى حياة الرسول ﷺ للمؤلفين. عالم النبات فى طب وأمثال الأجداد للمؤلفين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اليقطين فى القرآن الكريم

اليقطين كالأثل والبصل والتين والخمط والزنجبيل والطلح والعدس والفوم والقثاء والكافور والمتكأ والورد؛ ذُكر كل منهم مرة واحدة فى القرآن الكريم. وإذا كان البصل والفوم والعدس والقثاء قد ذكروا فى قصة نبى الله موسى عليه السلام مع قومه، والمتكأ ذُكر فى قصة نبى الله يوسف عليه السلام مع زليخا. . فإن اليقطين ذُكر فى قصة نبى الله يونس عليه السلام مع قومه. وهى قصة معروفة ومشهورة وملخصها أن الله سبحانه وتعالى قد بعث يونس عليه السلام نبيًّا إلى قومه ليعظهم ويدعوهم إلى عبادة الله وحده. وكعادة الناس لم يتقبلوا الدعوة فى أول الأمر، وظن يونس عليه السلام أن الهلاك نازل بهم لا محالة، فلم يصبر عليهم وتركهم مغاضبًا. ركب يونس عليه السلام سفينة من على الشاطئ، وصارت السفينة بمن فيها فى وسط البحر، وفجأة أشرفت على الغرق. وهنا قال الملاحون: إن فيكم عاصيًا، وإلا فما سبب ما فى السفينة من غير ريح ولا سبب ظاهر؟. وقال بعضهم: لقد جربنا مثل هذا من قبل، وكنا نقترع فمن خرج سهمه نلقيه منها؛ فلأن يغرق واحد خير من غرق الكل. ووافق الجميع على القرعة. ومن المدهش أن سهم نبى الله يونس عليه السلام خرج ثلاثة مرات متتالية، أى أن عليه أن يلقى نفسه فى الماء. وألقى يونس عليه السلام نفسه من السفينة، فابتلعه حوت. وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى الحوت: لا تكسر منه عظمًا، ولا تقطع له صلاة. وفى بطن الحوت بدا ليونس عليه السلام أن يدعو ربه بهذه الكلمات: **«لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين»**. وقيل: أقبلت الدعوة تحن بالعرش، قالت الملائكة: يارب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد بعيدة غريبة. فقال الله تبارك وتعالى: أما تعرفون ذلك؟. قالوا: يارب ومن هو؟. قال عز وجل: عبدى يونس. قالوا: عبدك يونس الذى لم يزل يُرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة، قالوا: يارب ألا ترحم من كان يصنع فى الرخاء فتنجيه فى البلاء؟. قال تعالى: بلى، فأمر الحوت فطرحه بمكان خال من الأشجار، ويقال أن الحوت طرح يونس عليه السلام على ساحل قرية من قرى الموصل بالعراق[1]. ووصف بعض المفسرين

---

(١) تفسير سورة الصافات لمحمد البهى ص ٣٨. قصص القرآن لسليمة، القصة الثامنة عشر ص ٣ - ١٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حالة يونس عليه السلام ساعة أن طرحه الحوت فقالوا: كان عليه السلام كالفرخ المنتوف لا شعر ولا لحم، فأنبت له الله سبحانه وتعالى شجرة من يقطين كان يستظل بها ويأكل من ثمارها، ثم إن الأرضة أكلت الشجرة، فحزن يونس عليه السلام لذلك وقال: يارب كنت أستظل تحت هذه الشجرة من الشمس والريح، وأمص من ثمارها، وقد سقطت. فقيل: يا يونس تحزن على شجرة نبتت فى ساعة واقتلعت فى ساعة ولا تحزن على مائة ألف أو يزيد تركتهم وراءك؟. فانطلق يونس عليه السلام إليهم فوجدهم قد آمنوا بالله ورُفع عنهم العذاب..»[1]. والله أعلم بحقيقة الواقعة. وأشار الله سبحانه وتعالى إلى هذه القصة فى سورة الصافات فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الصافات].

والحقيقة أن ما يهمنا هنا من هذه القصة هو «اليقطين» الذى أنبته الله على يونس عليه السلام. وقال بعض العلماء: اليقطين كل شجرة لاساق لها مثل القرع والحنظل والبطيخ[2]. وذهب بعض المفسرين إلى أن اليقطين هو شجرة التين، وقيل: هى شجرة الموز تغطى يونس عليه السلام بورقها واستظل بأغصانها وأكل من ثمارها[3].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ١٩، ٢٠. تفسير الفخر الرازى للرازى، الجزء السادس والعشرون ص ١٩٦. مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٥٠٩.

(٢) تفسير سورة الصافات لمحمد البهى ص ٣٨. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الثالث ص ٣٨٢. فى ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الخامس ص ٢٩٩٩. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٧٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، الجزء الخامس عشر ص ٨٤، ٨٥. تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الثانى ص ٣٠٢.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما جـمهور المفـسرين فذهب إلى أن المقـصود باليقطيـن فى الآية الكريمة: ﴿وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾. هو القرع[1]. وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: طُرح يونس عليه السلام بالعراء، فـأنبت الله عز وجل عليه اليقطينة. قيل له يا أبا هريرة ومـا اليقطينة؟. قال: شـجرة الدباء[2]. وقيل لرسول الله ﷺ أنك لتحب القرع؟. قال: أجل، هى شجرة أخى يونس[3].

وحاول بعض المفسرين أن يسـتنبط سببًا لاختيار الله سبحـانه وتعالى لشجرة اليقطين لينبتـها على نبيه يونس عليه السـلام. وتوصل جمهور المفسـرين إلى شبه إجـماع على أن لليـقطين فوائد منـها: سـرعة إنبـاته ونموه، وتظليل ورقه لكبـره ونعومته، ثم إن ثمـرته تؤكل نيئة ومطبوخة. وهناك ميزة أخـرى لا تقل عما سبق وهى أن الذباب لا يقرب شجرة اليقطين[4]. ولنا أن نتصور ماذا يمكن أن يصيب نبى الله يونس عليـه السلام من أمـراض إذا هاجمه الذبـاب وهو على حالتـه بعد خروجه من بطن الحوت؟. ولأن الله رحـمن رحيم فما كان لينقذ نبـيه يونس عليه السلام من بطن الحوت ويلقيه للذباب.

(١) تفسيـر الفخر الرازى للرازى، الجـزء السادس والعشرون ص ١٦٧. مـعانى القرآن للفراء، الجـزء الثانى ص٣٩٢. كتـاب التـسهيل لعلـوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الثـالث ص ٣٨٢. فى ظلال القرآن لـسيد قطب، المجلد الخامس ص ٢٩٩٩. كلمات القرآن - تفسير وبيان - للشيخ مخلوف.

(٢) تفسير القـرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ١٩، ٢٠. الجامع لأحكام القـرآن للقرطبى، الجزء الخامس عشر ص ٨٤، ٨٥ تفسير البيضاوى للبيضاوى، المجلد الثانى ص ٣٠٢.

(٣) تيسيـر الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للـسعدى، الجزء الرابع ص ٢٦٠. تفسيـر النسفى للنسفى، الجزء الرابع ص ٢٩.

(٤) تفسير القـرآن العظيم لابن كثير، المجلد الرابع ص ٢٠. تفسير النـسفى للنسفى الجزء الرابع ص ٢٩. تفسيـر الفخر الرازى للرازى، الجزء الـسادس والعشرون ص ١٩٧. صفـوة التفاسيـر للصابونى، المجلد الثالث ص ٤٤. معانى القـرآن للفراء، الجزء الثانى ص ٣٩٣. كتاب التسـهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلى، الجزء الثالث ص ٣٨٢. فى ظلال القرآن لـسيد قطب، المجلد الخامس ص ٢٩٩٩.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خـــــاتمــة

. . . وبعد.

فمـما لا شك فيـه أنه كلما رسـخت قدم الإنسان فى علـوم الكون ضعف الشك وقوى اليـقين وازداد الإيمـان. والباحث فى علم كـعلم النبات يكون أكـثر العباد إيمانًا بقدرة الله وأول الخاشعين لجلاله العظيم.

ولقد كان موضوع هذا الكتاب فرصة ذهبية لنا للاطلاع والتعلم؛ فكل كتاب فتحناه وكل حرف قرأناه زادنا قربًا من الله وخشية منه.

ولعل الكتاب يطرح من الأسئلة الكثـيرة بعضها ذو إجابات محـددة، وكثير منها تعددت فـيه الإجابات واختلفت. ويرجع ذلك إلى الإعجاز اللغـوى والبيانى للقرآن الكريم، فكثيـر من الألفاظ يمكن تفسيرها بأكثر مـن معنى. وهناك فرصة عظيمـة فى هذه الألفاظ للمـجتهـدين الذين يحاولون أن يسـتشعـروا المعانى بين الحروف وخلف الألفاظ.

ولا ندعى أننا بهذا البحث قد بلغنا درجة الكـمال، فالكمال لله وحده. فإن وفقنا فبتوفيق من عند الله سبحانه، وإن جـانبنا التوفيق فحسبنا أنا قد بذلنا جهدنا، ولا يسـعنا إلا أن ندعو العلى القـدير بقوله تعـالى: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

والحمـد لله أولا وآخرا، وصلى الله على سيدنا محـمد وعلى آله وصحـبه وسلم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المراجع

القرآن الكريم:

* أحكام القرآن (القسم الثانى والثالث). أبو بكر محمد بن عبد الله - المعروف بابن العربى. تحقيق على محمد البجاوى. دار المعرفة بيروت - لبنان.
* أسرار العلاج بالفواكه والخضراوات (طبعة ١٩٩٣م). د. وفاء عبد العزيز بدوى،مكتبة ابن سينا - القاهرة.
* أعشاب ونباتات فى خدمة الجنس اللطيف (طبعة ١٩٩٣م). د. أيمن الحسينى. مكتبة ابن سينا - القاهرة.
* الإتقان فى علوم القرآن (المجلد ١، ٢، ٣). (الطبعة الثالثة ١٩٩٥م) أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبى بكر السيوطى. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.
* الإسلام والعلم التجريبى. (الطبعة الأولى. ١٩٨٠م) د. يوسف السويدى. مكتبة الفلاح. الصفاة. دولة الكويت.
* الأشجار والشجيرات بالمملكة العربية السعودية (الطبعة الأولى ١٩٧٩م) د. سيد فرج خليفة. مطابع الخالد للأوفست. الرياض. المملكة العربية السعودية.
* الأطلس العلمى (عالم النبات) (طبعة ١٩٨٣م). زهير الكرمى ومحمد سعيد، دار الكتاب اللبنانى. بيروت - لبنان.
* الإعجاز البيانى للقرآن ومسائل ابن الأزرق (الطبعة الثانية ١٩٧٧م) د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ). دار المعارف. مصر.
* البرهان فى علوم القرآن. (الأجزاء ١، ٢، ٣، ٤) (الطبعة الثانية، ١٩٧٢م) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية. صيدا - لبنان.
* التبيان فى علوم القرآن (الطبعة الأولى ١٩٨٥م). محمد على الصابونى عالم الكتب. بيروت - لبنان.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* التداوى بالأعشاب والنباتات قديمًا وحديثًا. (الطبعة الثانية ١٩٩١م) أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.
* التداوى بالعنب (طبعة ١٩٨٣م). باسيل شالكتون. ترجمة محمد الشيخ عمر. مطبعة المدنى- القاهرة.
* التصوير الفنى فى القرآن (الطبعة الثانية عشر ١٩٩٢م). سيد قطب دار الشروق. القاهرة وبيروت.
* الجامع لأحكام القرآن (الأجزاء ١ - ٢٠) (الطبعة الخامسة ١٩٩٦م) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.
* الزراعة (سلسلة العلم فى خدمة الإنسان) د. محمد الشحات. مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة.
* الطب النبوى. الأمام محمد بن أحمد الذهبى. مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع - القاهرة.
* الطب النبوى الإمام ابن قيم الجوزية (جزء ١، ٢) (١٩٩٢). من مطبوعات كتاب الجمهورية - دار التحرير للطبع والنشر - القاهرة.
* الفواكة المستديمة الخضرة والمتساقطة الأوراق (إنتاجها وأهم أصنافها فى الوطن العربى) (الطبعة الثانية ١٩٩١م) د. طه عبد الله نصر. دار المعارف. القاهرة.
* المعتمد فى الأدوية المفردة. الملك المظفر يوسف بن عمر بن على الغسانى التركمانى - صححه وفهرسه مصطفى السقا. دار المعرفة. بيروت - لبنان.
* المعجزة الكبرى «القرآن». الشيخ محمد أبو زهرة. دار الفكر العربى. القاهرة.
* المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (الطبعة الرابعة ١٩٩٤م). محمد فؤاد عبد الباقى. دار المعرفة. بيروت - لبنان.
* المفردات فى غريب القرآن (طبعة ١٩٩٦م). أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى. تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر.
* الموسوعة العربية العالمية - مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع. الرياض - المملكة العربية السعودية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* الموسوعة العلمية المصورة للنشئ الحديث (المجلد الثانى: عالم النبات والتربة الزراعية). د. عز الدين فراج ود. محمود العليمى ود. محمد رضا خورشيد ود. منى عز الدين فراج. مكتبة الرياض الحديثة - المملكة العربية السعودية.
* النباتات الزهرية (نشأتها - تطورها - تصنيفها الطبعةالأولى ١٩٩٤). د. شكرى إبراهيم سعد. دار الفكر العربى - القاهرة.
* النباتات الطبية (الطبعةالأولى ١٩٨٧م). د. فوزى قطب. شركة كيمفنكو للنشر - القاهرة.
* النباتات الغذائية والطبية. د. محمد الشافعى ود. حلمى شاروبيم. مكتبة الأنجلو - القاهرة.
* الوصفات الشعبية (١٩٩٢م). د. أيمن الحسينى. دار الطلائع للنشر والتوزيع- القاهرة.
* اليوم الآخر فى ظلال القرآن. (الطبعة السادسة ١٩٨٣م) جمع وإعداد أحمد فائز. مؤسسة الرسالة بيروت - بيروت.
* أمثال القرآن (الطبعة الثانية ١٩٨٢م) شمس الدين محمد بن أبى بكر الزرعى الدمشقى الحنبلى المعروف بابن قيم الجوزية. تحقيق ناصر سعد الرشيد. مطابع الصفا. مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية.
* تصوير الألوهية كما تعرضه سورة الأنعام (الطبعة الأولى ١٩٨١م) د. إبراهيم زيد الكيلانى. مكتبة الأقصى. عمان المملكة الأردنية الهاشمية.
* تفسير البيضاوى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) (مجلد ١، ٢) (الطبعة الأولى ١٩٨٨م). ناصر الدين أبى سعيد عبد الله بن عمر بن محمد
* الشيرازى البيضاوى. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
* تفسير الجلالين. جلال الدين محمد بن أحمد المحلى وجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى. دار المعرفة - بيروت - لبنان.
* تفسير الفخر الرازى المشهور بـ «التفسير الكبير ومفاتيح الغيب» (الأجزاء ١ - ٢١) (طبعة ١٩٩٣م). الإمام محمد الرازى فخر الدين. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت - لبنان.
* تفسير القرآن العظيم (مجلد ١، ٢، ٣، ٤). الإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى. راجعه ونقحه الشيخ خالد محمد محرم. المكتبة العصرية. صيدا وبيروت - لبنان.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* تفسير المراغى (المجلد ٥، ٧، ٩). أحمد مصطفى المراغى دار الفكر. بيروت - لبنان.
* تفسير المنار (الأجزاء ٩، ١٠، ١١، ١٢). السيد محمد رشيد رضا. الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة.
* تفسير النسفى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) (المجلد الثانى) أبو البركات عبدالله النسفى. دار الفكر، بيروت - لبنان.
* تفسير سورة الأعراف (الطبعة الثانية ١٩٧٤م). د. محمد البهى. دار الفكر. بيروت - لبنان.
* تفسير سورة الأنعام (الطبعة الأولى ١٩٧٤م) د. محمد البهى. دار الفكر. بيروت - لبنان.
* تفسير سورة الصافات (الطبعة الثانية ١٩٧٤م) د. محمد البهى. دار الفكر. بيروت - لبنان.
* تفسير سورة النحل (الطبعة الأولى ١٩٧٤م). د. محمد البهى. دار الفكر- بيروت - لبنان.
* تفسير سورة النور (الطبعة الثانية ١٩٨٢م). أبو الأعلى المودودى. دار الاعتصام. بيروت - لبنان.
* تفسير غريب القرآن (طبعة ١٩٨٧م). أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. تحقيق السيد أحمد صقر. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.
* تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان (الأجزاء ١ - ٦) (الطبعة الثانية ١٩٩٣م). الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى. عالم الكتب. بيروت - لبنان.
* حديقة الأزهار فى ماهية العشب والعقار (الطبعة الثانية ١٩٩١م). أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم الغسانى الشهير بالوزير. حققه وعلق عليه محمد العربى الخطابى. دار الغرب الإسلامى. بيروت - لبنان.
* دراسات فى التفسير الموضوعى للقرآن الكريم. (الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ) د. زاهر بن عواص الألمعى.
* دنيا الزراعة والنباتات وما فيها من آيات (من إصدارات كتاب أخبار اليوم ١٩٨٦م). عبد الرزاق نوفل. مطابع أخبار اليوم - القاهرة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* صفـوة الآثار والمفاهيم من تفـسير القـرآن العظيم. (مجلد ١، ٢) (الطبـعة الثـانية ١٩٨٤م). عبـد الرحمـن بن محمـد الدوسرى. مـكتبة الـرشد. الرياض- المملكة العربية السعودية.
* صفـوة التفاسـير (المجلد ٢، ٣) (الطبـعة الخامسة ١٩٨١م) محـمد على الصابونى. دار القرآن الكريم. بيروت - لبنان.
* عـالم الـنبـات فى طب وأمـثـال الأجـداد (الطبـعـة الأولى ١٩٩٦م). د.عبـد المنعم فهيم الهادى ود. دينا محسن بركة. توزيع دار الفكر العربى - القاهرة.
* عالم النبات فى حياة الرسول ﷺ. (الطبعة الأولى ١٩٩٧م). د.عبد المنعم فهيم الهادى ود.دينا محسن بركة. دار الفكر العربى. القاهرة.
* علوم القـرآن الكريم (الطبعـةالثانيـة ١٩٨٣م). د. عبد المنعم الـنمر. دار الكتاب اللبنانى. بيروت - البنان.
* فى رحاب القـرآن الكريم «الجزء الأول» د. مـحمـد سالم المحـيسن. دار الجيل. بيروت - لبنان.
* فى ظلال القرآن «المجلد ١ - ٦» (الطبـعة الثالثة والعشـرون ١٩٩٤م) سيد قطب. دار الشروق. بيروت - لبنان.
* قصص القرآن. (الطبعـة الثانية ١٩٨٥م). محمد موفق سليـمة. مكتبة دار الفتح والمكتب الإسلامى. بيروت - لبنان.
* كتـاب التسهـيل لعلوم التنزيل (الأجزاء ١ - ٤). أبو الـقاسم محـمد بن أحمد بن جزى الكلى الغرناطى. تحقيق محمد عبد المنعم اليونس وإبراهيم عطوة عوض. أم القرى للطباعة والنشر - القاهرة.
* كلمات القـرآن - تفسير وبيـان - (الطبعة الأولى ١٩٩٣م) الشيخ حـسين محمد مخلوف. دار اليوسف للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة.
* كيف تحضـر دواءك بنفسك من تذكرة داود. مخـتار محمد كـامل. مكتبة الروضة للنشر والتوزيع- القاهرة.
* لمحات فى علوم القرآن واتجاهات التفسير (١٩٧٣م) محمد الصباغ. المكتب الإسلامى. بيروت - لبنان.
* مبـاحث فى علوم القرآن (الطبـعة الثالثـة ١٩٩٦م) مناع القطان. مؤسـسة الرسالة. بيروت - لبنان.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* مجلة الخفجى «أعداد متفرقة». مجلة شهرية تصدرها شركة الزيت العربية المحدودة (دائرة الإعلام والنشر). المملكة العربية السعودية.
* مجلة العلوم والتنمية «أعداد متفرقة». مجلة علمية تصدرها مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية. الرياض - المملكة العربية السعودية.
* مجلة القافلة «أعداد متفرقة». مجلة ثقافية شهرية تصدرها إدارة العلاقات العامة فى شركة أرامكو السعودية. المملكة العربية السعودية.
* مشاهد القيامة فى القرآن ، سيد قطب. دار الشروق - بيروت - لبنان. والقاهرة - مصر.
* مصحف الشروق المفسر الميسر (مختصر تفسير الإمام الطبرى). دار الشروق. القاهرة.
* معالم القرآن فى عوالم الأكوان. (١٩٨٧م). الشيخ أحمد محيى الدين العجوز. دار الندوة الجديدة. بيروت - لبنان.
* معانى القرآن (الأجزاء ١ - ٣). أبو زكريا يحى بن زياد الفراء. دار السرو. بيروت - لبنان.
* معجزات الشفاء فى الحبة السوداء والعسل والثوم والبصل. (الطبعة السابعة ١٤١٠هـ). أبو الفداء محمد عزت محمد عارف. مطابع المجموعة الإعلامية. المملكة العربية السعودية.
* مقدمة فى تصنيف النباتات الزهرية (١٩٩٤م). د. فوزى محمود سلامة. الدار الدولية للنشر والتوزيع. القاهرة.
* ملاك التأويل القاطع بذوى الإلحاد والتعطيل فى توجيه المتشابه اللفظ من آى التنزيل (جزء ١ - ٢) (الطبعة الأولى ١٩٨٣م) الإمام أحمد بن إبراهيم
* ابن الزبير الثقفى العاصمى الغرناطى. تحقيق سعيد الفلاح. دار الغرب الإسلامى. بيروت - لبنان.
* مناهج الجدل فى القرآن الكريم. د. زاهر عواض الألمعى. مطابع الفرزدق التجارية. المملكة العربية السعودية.
* مناهل العرفان فى علوم القرآن (مجلد ١ - ٢). الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى. دار الفكر بيروت - لبنان.
* نحو منهج لتفسير القرآن. (الطبعة الثالثة ١٩٧٩م) محمد الصادق عرجون. الدار السعودية للنشر والتوزيع. المملكة العربية السعودية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ملحق

ألفاظ عالم النبات
الواردة في
القرآن الكريم

Converted by Tiff Combine - (no stam, s are a, , lied by re, istered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ألفاظ عالم النبات التى وردت فى القرآن الكريم

الموضوع	اللفظ	اسم السورة ورقم الآية
الزراعة	الزرع	الأنعام (١٤١)، النحل (١١)
	زرع	الرعد (٤)، إبراهيم (٣٧)
	زرعا	السجدة (٢٧)، الزمر (٢١)، الكهف (٣٢)
	كزرع	الفتح (٢٩)
	الزراع	الفتح (٢٩)
	زروع	الشعراء (١٤٨)، الدخان (٢٦)
	تزرعون	يوسف (٤٧)
	تزرعونه	الواقعة (٦٤)
	الزارعون	الواقعة (٦٤)
	العصف	الرحمن (١٢)، الفيل (٥)
الحرث	الحرث	البقرة (٧١)، (٢٠٥)، آل عمران، (١٤) الأنعام (١٣٦)، الأنبياء (٧٨).
	حرث	آل عمران (١١٧)، الشورى (٢٠)، الأنعام (١٣٨)
	حرثه	الشورى (٢٠)
	حرثكم	القلم (٢٢)
	تحرثون	الواقعة (٦٣)
الحصاد	حصاده	الأنعام (١٤١)
	حصدتم	يوسف (٤٧)
	الحصيد	ق (٩)
	حصيدا	يونس (٢٤)، الأنبياء (١٥)
	حصيد	هود (١٠٠)
المرعى	مرعاها	النازعات (٣١)
	المرعى	الأعلى (٤)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الموضوع	اللفظ	اسم السورة ورقم الآية
	ارعـــوا	طه (٥٤)
	قـضــبـا	عبس (٢٨)
	آبـــــا	عبس (٣١)
	تسيمون	النحل (١٠).
النبـات	نبـــات	الأنعـــام (٩٩)، يونـس (٢٤)، الكـهف (٤٥)، طه(٥٣).
	نبـــاتا	آل عمران (٣٧)، نوح (١٧)، النبأ (١٥)
	نبـــاته	الأعراف (٥٨)، الحديد (٢٠)
الحـبـة	حـبــة	البقـرة (٢٦١)، الأنعام (٥٩) الأنبياء (٤٧)، لقـمان (١٦)
	الحَــبُّ	الأنعام (٩٥)، الرحمن (١٢)
	حـبــا	الأنعام (٩٩)، يس (٣٣)، النبـأ (١٥)، عبس (٢٧)
	حَـــب	ق (٩)
الإنبـات	أنبــتـنا	الحـجر (١٩)، الشـعـراء (٧)، النمل (٦٠) لقمـان (١٠)، الصافات (١٤٦)، ق (٧،٩) عبس (٢٧).
	أنبــتت	البقرة (٢٦١)، الحج (٥)
	أنبـتـهـا	آل عمران (٣٧)
	أنبــتكم	نوح (١٧)
	تـنـبـت	البقرة (٦١)، المؤمنون (٢٠)، يس (٣٦)
	تنبـتـوا	النمل (٦٠)
	يـنـبـت	النحل (١١)
الســاق	ســوقــة	الفتح (٢٩)
الورقــة	ورقـــة	الأنعام (٥٩)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الموضوع	اللفظ	اسم السورة ورقم الآية
	ورق	الأعراف (٢٢)، طه (١٢١)
السنبلة	سنابل	البقرة (٢٦١)
	سنبلات	يوسف (٤٣، ٤٦)
	سنبلة	يوسف (٤٧)
	سنبلة	البقرة (٢٦١)
الثمرة	الثمرات	البقرة (٢٢، ١٢٦، ١٥٥، ٢٦٦). الأعراف، (٥٧، ١٣٠). الرعد (٣). إبراهيم (٣٢، ٣٧). النحل (١١، ٦٩)، محمد (١٥).
	ثمرات	النحل (٦٧). القصص (٥٧). فاطر (٢٧). فصلت (٤٧)
	ثمرة	البقرة (٢٥)
	ثمر	الكهف (٣٤)
	أثمر	الأنعام (٩٩، ١٤١)
	ثمرة	الأنعام (٩٩، ١٤١). الكهف (٤٢). يس (٣٥)
الفاكهة	فاكهة	يس (٥٧)، ص (٥١)، الزخرف (٧٣)، الدخان (٥٥)، الطور (٢٢)، الرحمن (١١، ٥٢، ٦٨)، الواقعة (٢٠، ٣٢) عبس (٣١).
	فواكه	المؤمنون (١٩)، الصافات (٤٢)، المرسلات (٤٢).
الشجرة	شجر	النحل (١٠)، الواقعة (٥٢)
	الشجر	النحل (٦٨)، الحج (١٨)، يس (٨٠)، الرحمن(٦).
	شجرها	النمل (٦٠)
	الشجرة	البقرة (٣٥)، الأعراف (١٩، ٢٠، ٢٢)، الإسراء (٦٠)، القصص (٣٠)، الفتح (١٨).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الموضوع	اللفظ	اسم السورة ورقم الآية
	شجرة	إبراهيم (٢٤، ٢٦)، طه (١٢٠)، المؤمنون (٢٠)، النور (٣٥)، لقمان (٢٧)، الصافات (٦٢، ٦٤، ١٤٦)، الدخان (٤٣).
	شجرتها	الواقعة (٧٢).
الأثل	أثل	سبأ (١٦)
البصل	بصلها	البقرة (٦١)
التين	التين	التين (١)
الخردل	خردل	الأنبياء (٤٧)، لقمان (١٦)
الخمط	خمط	سبأ (١٦)
الرمان	الرمان	الأنعام (٩٩، ١٤١).
	رمان	الرحمن (٦٨)
الريحان	الريحان	الرحمن (١٢)
	ريحان	الواقعة (٨٩)
الزقوم	الزقوم	الصافات (٦٢)، الدخان (٤٣)
	زقوم	الواقعة (٥٢)
الزنجبيل	زنجبيلا	الإنسان (١٧)
الزيتون	الزيتون	الإنعام (٩٩، ١٤١)، النحل (١١)، التين (١)
	زيتونا	عبس (٢٩)
	زيتونة	النور (٣٥)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الموضوع	اللفظ	اسم السورة ورقم الآية
السدر	سدر	سبأ (١٦)، الواقعة (٢٨)
	السدرة	النجم (١٦)
	سدرة	النجم (١٤)
الطلح	الطلح	الواقعة (٢٩)
العدس	عدسها	البقرة (٦١)
العنب	عنب	الإسراء (٩١)
	عنبا	عبس (٢٨)
	أعناب	البقرة (٢٦٦)، الأنعام (٩٩)، الرعد (٤)، الكهف (٣٢)، المؤمنون (١٩)، يس (٣٤)، النحل (١١، ٦٧)، النحل (١١، ٦٧
	الأعناب	النبأ (٣٢)
الفوم	فومها	البقرة (٦١)
القثاء	قثائها	البقرة (٦١)
الكافور	كافوراً	الإنسان (٥)
المتكأ	متكأ	يوسف (٣١)
النخل	النخلة	مريم (٢٣)
	النخل	الأنعام (٩٩، ١٤١)، طه (٧١)، ق (١٠)، الرحمن (١١)
	نخل	الكهف (٣٢)، الشعراء (١٤٨)، القمر (٢٠)، الرحمن (٦٨)، الحاقة (٧)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الموضوع	اللفظ	اسم السورة ورقم الآية
	نخـــلا	عبس (٢٩)
	النخـيل	النحل (١١، ٦٧)
	نخـــيل	البقرة (٢٦٦) الرعد(٤) الإسراء (٩١) المؤمنون (١٩) يس (٣٤)
	جــذع	مريم (٢٣، ٢٥)
	جــذوع	طه (٧١)
	طلعـهـا	الإنعام (٩٩)، الشعراء (١٤٨)
	طـلـع	ق (١٠)
	قـنـوان	الإنعام (٩٩)
	رطبـــا	مريم (٢٥)
	الـنـوى	الإنعام (٩٥)
	فـتيـلا	النساء (٤٩، ٧٧)، الإسراء (٧١)
	نقـيـر	النساء (٥٣، ١٢٤)
	قطمـير	فاطر (١٣)
	أعـجـاز	القمر (٢٠)، الحاقة (٧٠)
	هضـيم	الشعراء (١٤٨)
	العرجون	يس (٣٩)
	الأكمـام	الرحمن (١١)
الـــورد		
	وردة	الرحمن (٣٧)
اليقطين		
	يـقطـين	الصافات (١٤٦)

رقم الإيداع	٩٦٥٧ / ٩٨
الترقيم الدولى I. S. B. N	977 - 10 - 1162 - 6

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stam, s are a, , lied by re, istered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ماهى الشجرة التى نهى الله سبحانه آدم وزوجه عليهما السلام من الأكل منها فى الجنة

ما نوع الشجرة التى نادى الله تعالى موسى عليه السلام عندها.

ما هى الشجرة التى تمت تحتها بيعة الرضوان؟ وهل حقا قطعها عمر بن الخطاب؟

ما هو الزقوم؟ وهل له مثيل فى دنيانا؟

ما المقصود بالطلح والفوم والبقل والأبّ والقضب والريحان والزنجبيل والكافور المذكورين فى القران؟

لماذا فضل بنى إسرائيل البصل والقثاء على المن والسلوى؟

ما وجه الشبه بين القمر فى نهاية الشهر العربى والعرجون القديم؟

لماذا لا يعتبر بعض المفسرين الرمان من الفاكهة؟

متى تكون شجرة الزيتون لا شرقية ولا غربية؟

ما هى شجرة اليقطين التى أنبتها الله سبحانه وتعالى على نبيه يونس عليه السلام؟

دكتور/ عبد المنعم فهيم الهادى

* بكالوريوس فى العلوم (نبات خاص) بتقدير جيد جدا.
* ماجستير فى العلوم تخصص (ميكروبيولوجى).
* دكتوراه الفلسفة فى النبات تخصص (بيئة وكيمياء النبات).
* مدرس البيئة النباتية بقسم النبات بكلية العلوم جامعة الزقازيق.
* ساهم فى الإشراف على بعض رسائل الماجستير فى مجال البيئة النباتية وكيمياء النبات.

دكتوره/ دينا محسن بركة

* بكالوريوس فى العلوم (نبات وكيمياء) بتقدير جيد جدا.
* ماجستير فى العلوم تخصص (بيئة وكيمياء النبات).
* دكتوراه الفلسفة فى النبات تخصص (بيئة وكيمياء النبات).
* مدرس البيئة النباتية بقسم النبات بكلية العلوم جامعة الزقازيق ـ فرع بنها.

* شارك المؤلفان بأبحاث منشورة فى العديد من المؤتمرات العلمية التى تهتم ببيئة النباتات البرية.

صدر للمؤلفين

- كتاب أوائل الطلبة فى العلوم للصف الثالث الإعدادى.
- كتاب عالم النبات فى طب وأمثال الأجداد.
- كتاب عالم النبات فى حياة الرسول ﷺ.